

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



حِوَالَةُ النِّسَاءِ

فِي حَسَنِ مِنْهَلٍ وَسَاءِ

أول كتاب من نوعه وأجمع سفر في موضوعه يبحث في النساء وما يجب فيهن وما يكره منهن وفي صفاتهن الفاضلة ونقائصهن الباطلة وما يجب لهن وعليهن مؤيدا ذلك بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وحكم وأمثال العرب وروائع الخطب، وآلئ النثر، ودرارى الشعر.

أَلِفٌ

الاستاذ العلامة الفاضل الأديب الشيخ محمد كمال الدين الادهمي

الطبعة الأولى

سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م : حق الطبع محفوظ للمكتبة

تطلب من المكتبة المحمودية التجارية بميدان الجامع الازهر الشريف بمصر

لصاحبها: «محمود على صبيح

58421

المطبعة المحمودية التجارية بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله خالق النساء ، وفاطرهن على ما حسن وساء ، بما اشتملن عليه من عفة وأهواء
وهداية وإغواء ، فمن محل تباين الاشياء ، وجمع اختلاف الازياء ، في الاموات
والاحياء . والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الانبياء ، الصادق الانباء
الطيب البنات والابناء ، ابن عبد الله الاغر وآمنة الغراء ، وأبي البضعة البتول
فاطمة الزهراء . وبعل الحصائف ، الكرام العفاف ، خديجة الكبرى ، وعائشة
الصديقة الطهرى ، وغيرهما من الازواج الطاهرات ، أمهات المؤمنين والمؤمنات
صغارا وكبارا . (أزواجا مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات سائحات صائمات
ثبات وأبكارا) ورضى الله تبارك وتعالى عن جميع آل بيته الطاهرين ، وكافة أصحابه
الطيبين ، إنهم (التائبون العابدون الحامدون السائحون - الصائمون - الراكعون
الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر
المؤمنين) الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه (ولا يعرفونهم عن العمل به ذهول
ولا غفلة ولا سنه) أولئك هم المفلحون) الناجحون الراجحون

أما بعد : فهذا كتاب جمعت فيه بعض ما جاء في النساء من ثناء وثناء ،
ومدح وهجاء ، وأخذ ورد ، وحل وعقد ، وفصل ووصل ، وبخل وبذل ،
وكل ماله علاقة بهن ، من تعليم لواجبهن ، وتبيين لحالتهن ، مما لم يجمع مثله في
كتاب ، ولا طرق له باب ، على كثرة ما ألف بهذا الخصوص ، من أصداف
وفصوص ، وأفكار ونصوص . وإنى أقسم بالله وآياته ، ومشعر الحج وميقاته
إنه خير كتاب أخرجته يد العلم الى منفعة النساء وهدايتهن ، لما فيه سعادتهن
وسلامتهن في دنياهن وآخرتهن . ما قرأته امرأة أقرى لها ، إلا انتفعت به أو نفعها
ولا عملت بما فيه إلا كانت من المرضيات المقبولات ، عند الله تعالى وعند العاقلين

والعاقلات . لأن كل مافيه مؤيد بالآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، وعلم العلماء ، وحكم الحكماء ، وأقوال الادباء ، وأفكار الشعراء ، وفلسفة الفلاسفة وثمرات تجارب أهل المعرفة ، لا ترى فيه عوجا ولا أمثا ، ولا افتراء ولا بهتان كما أنه ليس بحاجة إلى تقرير مقرظ ومدح ممدوح ، وإن كان لا يخلو من تشنيع مشنع وقبح قاذح . سنة الله في خلقه ، بحقه وبغير حقه . وما على فان ماذ كرت فيه ، يغنيه عن المدح والاطراء ويكفيه . ومع هذا فأنى أعوذ بالله من الافتتان باطراء المادح وإغضاء المسامح . كما أعوذ به من ازراء القادح ، وهتك الفاضح . ولست أدعى في هذا المجال ، العصمة والكمال . كلا فانهما لله وحده ، ولرسله عليهم الصلاة والسلام بعده . ولا تزكية النفس فيما ألفت وصنفت ، ففوق كل ذى علم عليم أكثر مما عرفت . وإنما أقول ذلك تحذرا بنعمة الله ، جل جلاله وعم نواله ونداه ، والقصد من تأليفه ، وتبويبه وتصنيفه ، تبصير أخواتنا النساء بأمرهن ، وتعريفهن بقدرهن ، وإعلامهن بأن هن من الحقوق مثل ما عليهن ، فلا يتعدين حدودهن ، ولا يفرطن في معرفة ما هن ، ولا يكن مسلمات على الرجال ، ولا أسيرات هن بغير اعتدال . ولا يغتررن بمن يزخرف هن القول تغريرا ، ليوقعن بما يقبح عاجلا ويفضح مصيرا . فانهن رقيقات القلوب ، دقيقات الجيوب ، يصدقن كل ما يقال ، ويحسن كل شجرة في ظلها يقال . فتخرج دررهن من أصداف الصيانة والعفاف ، ويزاحن الرجال من كل الجهات والاطراف والغواني أفقدتهن هواء ، ومن التبصر في العواقب خلاء ، يغرهن الثناء ، ويخدع الواحدة منهن قول أنت حسناء . وقد لا تكون من ذوات الحسن ، أو إنها لا يقام لحسنها وزن ، وإنما زينها الشيطان في عين من يراها ، ووراء الأكمة ما وراها ولذلك كان من واجب كل ذى مروءة ودين ، أن يتلافى الشر القاطع للوتين ، باجتنب كل ما يعد قوله عيبا وفعله عارا ، عملا بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) وبصيحة يسديها كل فرد من أفراد عقلاء الجنس الشريف - الرجال - إلى كل واحدة من آحاد النوع اللطيف - النساء - كل بحسب استطاعته ، وبسط علمه وسعته ، بادئا أولا بأهله وذوى رحمه ، ومن ينفذ عليهم محكم كلمه . ضمن دائرة

الشرع الذى هو بالحكمة موصوف ، عملاً بحديث « من أمر بالمعروف فليكن أمره
بمعروف » * رواه البيهقى - عن عبد الله بن عمر - مبتغياً بذلك وجه الله تعالى ، وخدمة
الامة الاسلامية نساء ورجالا . ليكون له من الحق جل وعلا عظيم الاجر ، ومن
الخلق جميل الذكر . وهذا ما يقتضيه شرع الله الذى أنزله على نبيه ، من حيث
اتباع أمره واجتناب نهيه ، فلا يقال طارت الغيرة من الرأس ، أو أن فلانا قلبه
منكوس . وقد نرى ذكور العجماوات على إناسها تغار ، إلا الخنازير ومن هو من
هذا العيار . وأى عيب فى الناس هو أقبح من عيب إعراضهم ، عن حفظ شرفهم
وصون أعراضهم . وهما من الستة التى حفظها على كل مسلم وجب ، الدين والنفس
والعرض والعقل والمال والنسب . وقد جعلت كتابى هذا تبصرة وذكراً ، وإنداراً
وبشرى ، أولاً لزوجتى وابنتى ، وأهل بيتى وعترتى ، ثم لكل فرد وفئة ، من كل
رجل وامرأة . لاسيما أرباب الأزواج ، وأهل النسل والنتاج . كى لا يظن ظان
أن القصد من التزوج أن تكون الزوجة غلاف بضعه ، وفريسة شهوته وطبعه
كما قال قائل فى امرأة له ماتت ، وأمنيته منها فاتت :

وكنت فريستى وغلاف بضعى فأضحى البضع ليس له غلاف
فلا ينظر فى عاجل أمرها ، ولا آجل عمرها ، إلا بما تحكم عليه شهوته ، وتسوقه اليه غلبته
فهى عنده غادية رائحة ، مثل البهيمة السارحة . أو كمن يتزوج بها لمطعم ، فلا
يبالى بما تصنع ، وقد تذهب محمولة وتعود حامله ، وهو غافل أو متغافل وهى غير
غافله . وما المرأة إلا مثل قطعة الشمع فى يد الرجل ، قابلة للانطباع بكل شكل
وفىها الاستعداد التام للخير والشر ، والقابلية الزائدة للنفع والضرر ، قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم - وكفى بقوله إيماناً وتصديقاً - « فجور المرأة الفاجرة
كفجور ألف فاجر ، وبر المرأة الصالحة كعمل سبعين صديقاً » - رواه أبو الشيخ بن
حبان عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما - فليتنبه الرجل لحسن
القيام على من يعول ، وليضرب بعرض الحائط كل سفسطة وفضول ، وليعلم أنه
راع وكل راع عن رعيته مسئول ، وكل ما يري فى النساء من قصور أو اعوجاج

أو نقص أو خداج ، فاللوم والتبعة فيه على ولاية أمورهن ، من آباء أو أبناء أو إخوة أو أزواج :

وما الزوج إلا حيث يجعل عرسه كما هو أيضا حيث يجعل نفسه ومن أراد أن ينعم حاله ، ويرتاح باله ، ويلتذ بمباه يتمتع ، فلتكن أطوار أهله بمرأى منه ومسمع ، فيقرهن على ما حسن وطاب ، ويصدهن عما فيه اللوم والعتاب ، ولا يكن ملقى الآذان ، مستسلم الجنان . لشاعر يقول ، مالا تقبله العقول :

كل الليالى ليلة القدر اعتبر وكل من تلقاه ظنه الخضر

كلا فان هذا من الترهات ، وسيدنا الخضر عليه السلام مات من زمن طويل وفات . وخيل الرهان في حلبة الاختبار أسبق ، ولسان التجربة من كل قول بعد قول الله ورسوله أصدق . ومن أطيب حالا ، وأنعم بالا ، ممن تكون زوجته معه صادقه ، ولطبعه موافقه ، ولقوله سميعة ، ولأمره مطيعه ، لا تبغيه خيانة في نفسها ولا تكتمه شيئا من غمها وأنسا ، وهو لحسن مسراها معه مقدر ، وعليها وحدها مقتصر . وجميع ما في هذا الكتاب من الأحاديث مأخوذ من تفسير الدر المنثور ومن الجامع الصغير وكلاهما للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ ومن كتاب كنز العمال لعلي علاء الدين البرهانفوري الهندي المتوفى قتلا سنة ٩٧٥ وهو في الأصل الجامع الكبير للجلال السيوطي إلا ما عزوته إلى مأخذه من الكتب وفيه الصحيح والحسن والضعيف . وأرجو أن لا يكون فيه حديث موضوع إن شاء الله تعالى ، وعلى فرض أنه وجد فإني أبرأ إلى الله تعالى منه حيث لم أتعمد نقله وإنما العدة والتبعة على من ذكره وهو يعلم أنه موضوع . وسميت كتابي هذا (مرآة النساء) وليس للمرأة عن المرأة استغناء ، والله يلهمنا رشدنا ، وينعم بوسائل الاخلاص قصدنا ، فما كان لله فهو المتصل ، وما كان لغيره فهو المنفصل .

اللهم اصرفنا عن مذاهب الشهوات ، وارشدنا في غياهب الشبهات ، وأطلق سراحنا من قيد الاهواء ، وحررنا واعتقنا من رق الاغواء ، وبنور وجهك اهدنا ، كما ريبتنا في مهدينا ، وابعثنا من فراش الغفلة منتبهين ، واجعلنا من

الصالحين أو بهم متشبهين ، وهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إماما ، ومتعنا بما أنعمت به علينا من نعمك الظاهرة والباطنة تماما ودواما ، ولقنا فى هذه الحياة نضرة وفى المات سلاما ، واصرف عنا عذاب جهنم (إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما) وحسبنا الله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .

باب

— ١ —

(فى ذكر بعض ماورد فى مدح النساء ، والامر بالرفق بهن والاعتناء)

لم يذكر الله تعالى نساء الدنيا بصفة مدح لهن لجمالهن وحسن صورتهم ، بل ذكرهن بما هو أرفع وأعلى من ذلك وهو الصلاح والعفة والامانة وغير ذلك من الصفات الشريفة التى هى المطلوبة من المرأة فقال تعالى (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) وإنما ذكر نساء الجنة بأوصاف خلقية وخلقية لاثباتها دار تشریف لادارتكليف ، وليكون ماوصفهن به وسيلة لاقتداء نساء الدنيا بهن مما يمكن الاقتداء به فقال تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا) أى أن الله سبحانه وتعالى أوجدهن مرة واحدة من غير ولادة من آباء وأمهات وجعلهن أبكارا دائما كلها دنا منهن أزواجهن وجدوهن أبكارا من غير أن يجدن ألم البكارة عند التماس لائن الجنة منزهة عن الآلام والأقذار وقوله تعالى عربا أى متحبيات لازواجهن وأترابا أى بسن واحدة لاتفاوت بينهن . وفى هذه الآية دليل على أن المطلوب من الزوجة أن تكون بكرا وان تكون متحبة لزوجها متناسبة فى السن معه وفى هذا حصول الائلفة ودوام العشرة وقال تعالى (وعندهم قاصرات الطرف أتراب) أى إن نساء أهل الجنة لايتطلعن لغير أزواجهن بل هن مقتصرات عليهم لايردن بهم بديلا . وهكذا ينبغى أن تكون المرأة فى الدنيا لاتطمح نفسها لغير زوجها كيفما كان وقال تعالى (حور مقصورات فى الخيام لم يطمسهن إنس قبلهم ولا جان) وصف الله تعالى نساء الجنة بملازمتهم لمساكنهن لا يخرجن منها وإنهن ليس لهن قبل

أزواجهن أزواج غيرهم، وفيه الإشارة الى لزوم النساء بيوتهن والاكتفاء بأزواجهن
 لا أن يخرجن من بيوتهن تابعات لاهوائهن، ولا أن يرغبن عن أزواجهن لغيرهن
 بأن يخاصمنهم حتى يحملنهم على تطليقهن ليتزوجن بغيرهم، فالمرأة ليست كفوطة
 الحمام تنقل من وسط مغتسل الى وسط آخر، ولذلك كان بين البكر والثيب فرق
 في المعاملة في ابتداء الزواج بحكم الشرع، وهذا الفرق ناشىء عن التفاوت بين البكر
 والثيب. فعلى المرأة أن تحرص على أن تكون زوجة لزوج واحد لا لأكثر فهو
 أكمل لها وأجل بها وقال تعالى (ولهم فيها أزواج مطهرة) أى إن أزواج أهل
 الجنة ليس فيهن ما يؤنف منهن من حيض واستحاضة ونفاس ومرض رحم وتن
 عرق وقذر بدن ووساخة ثوب أو مكان وغير ذلك، بل هن طاهرات نظيفات
 وفيه الإشارة الى أنه يلزم النساء أن يكن كذلك فلا تتأخر الحائض عن التطهر عند
 ما ينقطع حيضها، وكذلك عند نفاسها، وفي جميع الأحوال التى تقتضى فيها النظافة
 وكل هذا ممكن لهن والذى ذكره الله تعالى عن النساء في القرآن إنما هو أمر لهن ونهي
 وإخبار عما سلف من أحوال النساء الحسنة والسيئة ليعتبرن ويتصحن، لأن المطلوب
 من المرأة الدين والاخلاق الحسنة وحسن الإدارة والاطاعة للزوج وحسن القيام
 على رؤية أمور المنزل وغير ذلك من الواجب عليها، وأما الجمال والمال والحسب
 والاصالة فهى فى الدرجة الثانية بعد الدين، فاذا اجتمعت لها هذه الاربعة مع الدين
 كانت نورا على نور كما قال الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والافلاس بالناس

وأما ما ورد من الأحاديث الشريفة في مدح النساء والائتمار بالرفق بهن والعناية
 بشأنهن فمنها حديث: «حبب الى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في
 الصلاة» - رواه الامام احمد والنسائي والحاكم والبيهقى عن أنس بن مالك -
 وحديث: «كلما ازداد المرء إيمانا ازداد حبا في النساء» وحديث: «ما أكرم
 النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم» - رواه ابن عساكر عن علي بن أبي طالب -
 وحديث: «إنما النساء شقائق الرجال» - رواه الامام احمد بن حنبل وابوداود

والترمذى عن عائشة والبخاري عن أنس - وحديث : « الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » - رواه الامام احمد ومسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو ابن العاص - وحديث : « هن أغلب » - رواه الطبراني عن أم سلمة - وحديث : « أمركن مما يهمنى بعدى وليس يصبر عليكن إلا الصابرون » - رواه الحاكم عن عائشة - وحديث : « الحياء عشرة أجزاء فتسعة في النساء وواحد في الرجال ولولا ذلك ما قوى الرجال على النساء » - رواه الديلمي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما - وحديث : « النساء خلقن من ضعف وعورة فاستروا عوراتهن بالبيوت وعلنوا على ضعفهن بالسكوت » وحديث : « حاملات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين لازواجهن دخل مصلياتهن الجنة » - رواه الامام احمد وابن ماجه والطبراني والحاكم عن أبي أمامة - وحديث : « أمروا النساء في بناتهن » - رواه ابو داود والبيهقى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما - وحديث : « اتقوا الله في الضعيفين المملوك والمرأة » - رواه ابن عساكر عن عبد الله بن عمر - وحديث : « احملوا النساء على أهوائهن » - رواه ابن عدى عن عبد الله بن عمر - وحديث : « إني أخرج عليكم حق الضعيفين المرأة واليتيم » - رواه الحاكم والبيهقى عن أبي هريرة - وحديث : « استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان (أسيرات) عندكم لستم تملكون منهن غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » - رواه البخارى ومسلم عن أبي هريرة - وحديث : « رفقاً بالقوارير » - رواه البخارى - وحديث : « عليكم باللطف والرفق بنسائكم لا تظلموهن ولا تضيقوا عليهن فان الله يغضب للبرأة اذا ظلمت كما يغضب لليتيم » وحديث : أطعموهن مما تأكلون واكسوهن مما تكتسون ولا تضربوهن ولا تقبحوهن » - رواه ابو داود عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده -

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما أنه وجدت امرأة مقتولة في بعض المغازى فبلغ رسول الله ﷺ قتلها فنهى عن قتل النساء والصبيان .
وآخر ما وصى به رسول الله ﷺ وهو في مرض موته أن قال : « الله الله في النساء فانهن عوان عندكم لا يملكن لانفسهن شيئا أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله واستوصوا بهن خيرا »

معنى أحاديث الرفق بالنساء

قال السكّال أحسن الله تعالى اليه : وبعض الفسقة يحفظون من الاحاديث الشريفة احاديث يؤولونها حسب أهوائهم ، ويجعلونها حجة لهم ووسيلة الى اقتناص أو ابد النساء كحديث « حبيب الى من دنيا كم الطيب والنساء » مقتصرين على هذين الشيئين من غير حفظ بقية الحديث وهي « وجعلت قرعة عيني في الصلاة » وحديث « كلما ازداد المرء إيماناً ازداد حبا في النساء » وحديث « ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم » وحديث « إنما النساء شقائق الرجال » وحديث « رفقا بالقوارير » ويتوسلون بها الى اغواء النساء وإفسادهن تحت ستار الدين ، والاستشهاد بقول رسول رب العالمين ، وليس مورد الاحاديث المذكورة هو كما يؤولونه ويريدونه كلا وإنما حب النساء وإكرامهن والرفق بهن إنما يكون بتعليمهن أمور دينهن وحفظهن وصيانتهم من كل ما يلوث عفتهم ويدنس شرفهن لا بترك حبيلهن على غاربهن وابتذالهن وهتك سترهن باطلاق السراح لهن يغشين مسارح اللهو وبؤر الفسق والفجور ، ويخالطن الرجال ويخاصرنهن ويرقصن معهم ويشربن الخمر . وهل يقال لمن عنده درة ثمينة ألقاها في المزابل إنه احترامها وصانها أم إنه هو ابتذالها وامتهنها ؟ فاعلم ذلك ولا تصرف قول الرسول المعصوم ﷺ الذي جاء بالهدى والنور الى ما يوافق الهوى والشهوة . وعلى المرأة أن تعلم وتفهم أن كل معاملة لها يوافق الشرع عليها فهي إكرام لها وصيانة لعرضها وحفظ لشرفها سواء أكانت تلك المعاملة قاسية أو لينة ، وأن كل معاملة لها لا يوافق الشرع عليها فهي إهانة لها وانتهاك لحرمتها وابتذال لشرفها سواء أوافقها أم لم توافقها ، والنفس أمارة بالسوء ميالة الى اللهو إلا من رحم الله قال رسول الله ﷺ « حفت الجنة

بالمكاره وحفت النار بالشهوات ، — رواه الامام احمد بن حنبل ومسلم والترمذى عن أنس ومسلم عن أبي هريرة أيضا وأحمد عن ابن مسعود أيضا —
وأما ما ورد من مدحهن والعناية بهن من غير الآيات والاحاديث فكثير أيضا في القديم والحديث قال قونفوشيوس كبير البراهمة المتوفى قبل سيدنا عيسى عليه السلام بنيف أربعة قرون : المرأة أكمل المخلوقات . وقال بعض الحكماء : ما أنس الانسان ولا عمر المكان ولا سلى الاحزان ولا أعان على نوب الزمان مثل البيض العوان (النساء) وقال آخر : المرأة مرآة الأئمة . وقال آخر : المرأة ريحانة لا قهرمانه وقال آخر : فاقت المرأة الرجل بحسن خلقها ولطف خلقها فاذا فاقت في العلم والفضيلة لم يبق للرجل عليها سوى قوة ضئيلة . وقال بعض الشعراء :

إن النساء رياحين خلقن لنا وكلنا يشتهي شم الرياحين

وقال الكمال أحسن الله تعالى اليه : الدنيا دار سكنى بالاجارة رجالها قاعة الزيارة والنساء فيها ضياء ، وليس لأحد عن النور استغناء :

ونحن بنو الدنيا وهن بناتها وعيش بنينا في لقاء بناتها

وقد أكثر الشعراء في القديم والحديث من ذكر النساء والتشبيب بهن فلا تخلو قصيدة من أن تفتتح بذكرهن ، والناس يتلقون ذلك بالقبول والاستحسان حتى إن كعب بن زهير مدح رسول الله ﷺ بقصيدته المشهورة بيات سعاد وتغزل فيها بذكر سعاد وسمعها رسول الله ﷺ منه فلم ينكر عليه شيئا منها . وهذا من مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متمم إثرها لم يقدم مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول

ومن احترام النساء وتكريمهن أن أبا الفضل ابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠
والصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ وغيرهما وهما من الأدب في المكانة العليا

كانوا يكنون عن البنت الكبيرة بالكريمة ، وعن البنت الصغيرة بالريحانة ، وعن الأم بالجرة ، وعن الأخت بالشقيقة وعن الزوجة بكبيرة البيت ، أو بمن وراء الستار وعن الزفاف بتألف الشمل ، واتصال الحبل . والترك يعبرون عن الزوجة بالرفيقة ، والعرب يكنون عنها بالحليلة والظعينة والقرينة والقعيدة ، وقعيدة البيت والربض والحنة والطة والسكنة - بفتح الطاء والكاف - والعرس والسكن واللباس والازاروقد جاء القرآن الكريم بوصف الزوجين باللباس فقال تعالى (هن لباس لكم وأتم لباس لهن) وأهل مصر يخاطبون الزوجة ويعبرون عنها بالسست فيقول الزوج لزوجته : ياسسى ويخبر عنها فيقول سسى قالت وسسى فعلت . قال الشاعر الأديب بهاء الدين زهير المصري المتوفى سنة ٦٥٦ هـ :

بروحى من أسميها بسسى فتنظر لى النحاة بعين مقت
يرون بأننى قد قلت لحننا وكيف ولأتى لزهير وقى
ولكن غادة ملكت جهاتي فلا لحن إذا ماقلت سسى

وكل هذه الكنايات من حرص الرجال على أن لاتذكر النساء بالآفواه ، وتبتذل بالأسماع ، فضلا عن أن يطالع على مسمياتهن ، أو يتعرض لهن بذاتهن . وإنما يضمن بالضمين وينافس بالثمين

باب

- ٢ -

(في مدح النساء من حيث أنهن إناث وللحياة من أنفس الإناث)

ليس فى هذا الباب أفضل ولا أصدق من قول الرسول الاعظم ﷺ « البنات هن المشفقات المحبذات المباركات ، من كانت له ابنة واحدة جعلها الله له سترا من النار ، ومن كانت عنده ابنتان أدخله الله الجنة بهما ، ومن كانت عنده ثلاث بنات أو مثلهن من الأخوات وضع عنه الجهاد والصدقة » وقوله : « ما من مسلم له ابنتان فيحسن اليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة » - رواه ابن ماجه والحاكم وابن حبان عن ابن عباس - وقوله : من عال جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو ، وضم أصابعه أى معا » - رواه مسلم عن أنس - وفى حديث آخر « إذا ولدت

الجارية بعث الله عز وجل اليها ملكا يزف البركة زفا يقول ضعيفة خرجت من ضعيفة ، القيم عليها معان إلى يوم القيامة ، وإذا ولد الغلام بعث الله اليه ملكا من السماء فقبل بين عينيه وقال الله يقرؤك السلام « وفي حديث آخر « من عال ثلاث بنات فأدهن وزوجهن وأحسن اليهن فله الجنة » — رواه ابو داود عن أبي سعيد الخدري — « وفي حديث آخر « من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من النار » — رواه البخاري ومسلم والترمذي عن عائشة —

ودخل عمرو بن العاص المتوفى سنة ٢٣ على معاوية بن أبي سفيان المتوفى سنة ٦٠ رضى الله تعالى عنهم وعنده ابنته عائشة فقال : من هذه يا معاوية ؟ فقال هذه تفاحة القلب وريحانة العين وشمامة الانف ، فقال له أطمأ عنك قال معاوية ولم ؟ قال عمرو لأنهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الشحناء ويثرن البغضاء ، قال معاوية لا تقل ذلك يا عمرو فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الزمان ولا أذهب جيش الاحزان مثلهن ، وإنك لو اجد خلا قد نفعه بنو أخته ، وأبا قد رفعه نسل بنته ، فقال عمرو دخلت عليك يا معاوية وما على الأرض شيء أبغض الى منهن وإني لا أخرج من عندك وما عليها شيء أحب الى منهن . وقال معن بن أوس المتوفى سنة ٢٣ :

رأيت رجلا يكرهون بناتهم وفيهن لانكذب نساء صوالح
وفيهن والايام يفتكن بالفتى خوادم لا يملكنه ونوائح
وقال عمران بن حطان الدوسي المتوفى سنة ٨٩ :

لقد زاد الحياة الى حبا بناتي إنهن من الضعاف
مخافة أن يذقن البؤس بعدى وأن يشربن رنقا بعد صافي
ولولاهن قد سومت مهري وفي الرحمن للضعفاء كافي
وقال حطان بن معلى الاسدي :

لولا بنيات كزغب القطا رددن من بعض الى بعض

لكان لي مضطرب واسع في الأرض ذات الطول والعرض
 وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض
 إن هبت الريح على بعضهم امتنعت عيني من الغمض
 وقال الكمال (مؤلف الكتاب) أحسن الله تعالى إليه في ابنته أمة الرحيم وهي بنته
 الوحيدة العجبة وقتئذ أي اليتيمة من الام وقد ولدت سنة ١٣٤٠ هـ - ١٩٢١ م:
 يارب بنتي من الضعاف والحال ليس عليك خافي
 يارب حطها وقم عليها بالصون والستر والعفاف
 وقال فيها أيضا وقد ترعرعت :

يارب بنتي في حماك ودیعة من كل شيء في الحياة يشينها
 يارب أنبتها نباتا طيبا بحمال حال في الانام يزينا
 وأتح لها بعلا إذا أبقيتها بعفافه وتقاه رب يصونها
 ثم جاءته هبة الكريم درية من زوجة أخرى سنة ١٣٥٢ هـ ابتلاها الله
 ببيتها من أمها وهي بنت سبعة أشهر جبر الله يتيما ورحم أمها . وقال رجل من العرب
 لامرأته وقد ولدت له بنتا : ولدتها تمان ولا تمون ، وتضان ولا تصون ، وتزدرها العيون
 فقالت بل ولدتها تكثر مال أهلها ، وتعمر بيت بعلمها ، وتسره بدلها * وغاضب
 رجل من العرب زوجته واعتزلها لأنها ولدت له بنتا فقالت :

مالائي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا
 يغضب أن لاند البينا وإنما نأخذ ما أعطينا

وباختيار الله قد رضينا

فأعجبه قولها واتعظ به فرضى عنها ورجع إليها . وعيرت إعرابية بنت
 ولدتها فقالت :

ماذا على إن ولدت جاريه تمشط رأسي وتكون فاليه
 خير من ابن عاره علانيه يجر في كل أوان داهيه
 وقالت امرأة أخرى من العرب بهذا الخصوص :

وما على أن تكون جاريه تحفظ بيتي وتضيء ناريه

وترفع الساقط من خماريه حتى إذا تمت لها ثمانيه
أو تسعة من السنين الوافيه زوجته مروان أو معاويه
أزواج صدق ومهور غاليه

وقال بعض الشعراء :

أحب البنات وحب البنات
تفرض على كل نفس كريمه
فان شعيبا من أجل ابنتيه
أخدمه الله موسى كلمه

يشير إلى قوله تعالى (قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن
تأجرني ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك) الآية . وليس سيدنا موسى عليه
السلام بأول من أجر نفسه للخدمة في سبيل الزوج بدلا عن المهر ، بل سيدنا يعقوب
عليه السلام قبله تزوج بينت خاله واسمها راحيل بخدمته لخاله سبع سنوات كما
ذكره ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٢٦ في كتابه المعارف .

وقال الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ في كتابه سحر البلاغة : الدنيا مؤنثة والناس
يخدمونها ، والذكور يعبدونها . والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت
الذرية . والسماء مؤنثة وقد حليت بالكواكب ، وزينت بالنجوم الثواقب ، والنفس
مؤنثة وهى قوام الأبدان ، وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف
الأجسام ، ولا تحرك الأنام . والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون اه
وكتب صاحب ابن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ مهنثا بينت : أهلا وسهلا بعقيلة
النساء وأم الأبناء ، وجالبة الأضهار ، والأولاد الأظهار ، وتمثل بقول المتنبى المتوفى
سنة ٣٥٤

ولو كان النساء كمثل هذى لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيا ولا التذكير فخرا لللهلال

وكتب أبو الفرج البغاء عبد الله بن نصر المتوفى سنة ٣٩٨ مهنثا بأثنى :
اتصل بنى خبر المولودة المسعودة كرم الله غرتها وأبنتها نباتا حسنا ، وما كان من
تغيرك عند اتصال الخبر ، وإنكارك ما اختاره الله تعالى لك في سابق القدر ، وقد

علمت أنهم أقرب من القلوب ، وأن الله عز وجل بدأ بهم في الترتيب ، فقال عز من قائل (يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور) وما سماه الله تعالى هبة فهو فبالشكر أولى ، وبحسن التقبل أخرى اه والعرب يقولون لمن تولد له الجارية : هنيئاً لك بالنافجة (النافجة وعاء المسك)

باب

— ٣ —

(في مدح المرأة من حيث أنها زوجة عاقلة ، وربة بيت فاضلة)

في الحديث الشريف: « خير النساء التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره » - رواه الامام احمد والنسائي والحاكم عن أبي هريرة - وفي حديث آخر « خير نسائكم العفيفة الغلبة ، عفيفة في فرجها ، غلبة على زوجها - رواه الديلمي عن أنس - وفي حديث آخر « من رزق حسن صورة وحسن خلق وزوجة صالحة وسخاء فقد أعطى حظه من خيرى الدنيا والآخرة » وفي حديث آخر « أربع من أعطيهن فقد أعطى خيرى الدنيا والآخرة ، لسان ذاكر وقلب شاكر وبدن على البلاء صابر وزوجة صالحة لا تبغيه خوفاً في نفسها ولا ماله صالحة تعين أحدكم على دينه » - رواه الطبراني والبيهقي عن عبد الله بن عباس - وفي حديث آخر « أربع خصال من سعادة المرأة ، أن تكون زوجته صالحة وأولاده أبراراً وخطاؤه صالحين ومعيشته في بلده » - رواه بن عساكر والديلمي عن عبد الله بن الحكم عن أبيه عن جده - وفي حديث آخر « أربع من السعادة ، المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء » - وفي حديث آخر « خير ما يكنز الرجل المرأة الصالحة إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته » وفي حديث آخر « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » - رواه الامام احمد بن حنبل ومسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص - وفي حديث آخر « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليقت الله في الشطر الباقي » - رواه الحاكم عن أنس -

وفي حديث آخر « ما استفاد المؤمن بعد تقوي الله خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله » - رواه ابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي - وفي حديث آخر « اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي من أى أبواب الجنة شئت » - رواه ابن حبان عن أبي هريرة -

وفي حكمة سليمان بن داود عليهما السلام : المرأة العاقلة تبنى بيتها والمرأة السفهية تهدمه . وقال حكيم : الجمال كاذب والحسن مخلف وإنما تستحق المدح المرأة الموافقة . وقال آخر : الهناء كله موكل بالخليلة الصالحة ، والبلاء كله موكل بالقرينة السوء . وقال الاصمعي المتوفى سنة ٢١٣ : حدثني ابن أبي الزناد عن عروة بن الزبير قال مازف أحد نفسه بعد الايمان بالله تعالى بمثل منكح صدق ، ولا وضع نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سوء . وقال الامام الاعظم أبو حنيفة / المتوفى سنة ١٥٠ رضى الله تعالى عنه : المرأة الصالحة تشبه الوالدة والاخت والصديق ، والمرأة السوء تشبه الربة (زوجة أبي الولد) والعدو والسارق . وقال الحريري المتوفى سنة ٥١٦ في إحدى مقاماته : القرينة الصالحة ترب بيتك ، وتلبى صوتك ، وتغض طرفك ، وتطيب عرفك ، وبها ترى قرعة عينك ، وريحانة أنفك ، وفرحة قلبك ، وخلد ذكرك . وقال الحمجاج بن يوسف الثقفي المتوفى سنة ٩٥ لايوب بن القرية البليغ المتوفى سنة ٨٤ ما تقول في التزويج ؟ فقال : وجدت أسعد الناس في الدنيا وأقرهم عينا وأطيهم عيشا وأبقاهم سرورا وأرخاهم بالا وأثبتهم شبابا من رزقه الله زوجة مسلمة أمينة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة مطيعة إن ائتمنها زوجها وجدها أمينة وإن قتر عليها وجدها قانعة وإن غاب عنها كانت له حافظة وقد ستر حلما جهلها وزين دينها عقلها فزوجها ناعم وجارها سالم ومملوكها آمن وصبيها طاهر فتلك كالريحانة والنخلة لمن يحتنينا وكاللؤلؤة التي لم تثقب والمسكة التي لم تفتق قوامه صوامه ضاحكة بسامة إن أيسرت شكرت وإن أعسرت صبرت فأفلح وأنجح من رزقه الله مثل هذه وإنما مثل المرأة السوء كاللحم الثقيل على الشيخ الضعيف يحرقه في الارض

جرا فبعلها مشغول، وجارها متبول، وصيها مرذول، وقطها مهذول. وفي لسان العرب لابن منظور الافريقى المتوفى سنة ٧١١ خير النساء الخفزة فى قومها المتبدلة لزوجها. يعنى التى لاتتصنع له فى قول ولا عمل. وقال مسلمة بن عبد الله المرأة الصالحة خير للمرأة من عينيه ويديه. وقال بعض السلف: المرأة الصالحة إحدى الحسنيين. وقال حكيم: سعادة الأسرة تتوقف على المرأة أكثر من توقفها على الرجل. وقال آخر: المرأة الجميلة تملك القلوب والمرأة الفاضلة تسترق العقول وقال بعض العارفين: الزوجة قوت النفس، وسبب طهارة القلوب. وسئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقبل امرأته فى رمضان فقال « لا بأس ريحانة يشمها » وقال شاعر:

سعادة المرء فى خمس لقد جمعت صلاح جيرانه والبر فى ولده

وزوجة حسنت أخلاقها وكذا خل وفى ورزق المرء فى بلده

وقال بعض العارفين: المرأة الصالحة أقرمتاع الدنيا لعين المرء ولا يسكن لشيء كسكونه لزوجته. وقد صدق فقد قال الله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) وقال عز وجل (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها) وللزوج من زوجته منزلة رفيعة لاسيما إذا كان موافقا لها فى هواها، عاملا بما فيه رضاها، مجاريا لها على ما تريد. ففي الحديث الشريف « إن للزوج من المرأة لشعبة ما هى لشيء » رواه الحاكم وابن ماجه عن محمد بن عبد الله ابن جحش - والمراد بما تقدم من ذكر الزوجة الصالحة ذات الدين والفكرة الطاهرة والشعور الشريف والخلق اللطيف والأخلاق الكريمة والصبر الجميل والعفة الحقيقية والنظافة الدائمة فى نفسها وملبسها ومسكنها وأولادها المواتية لزوجها الموافقة له المعينة فى المنشط والمكروه لما يريد، المؤدية ما يجب له عليها بعد تأدية واجبها لربها من طهارة وصلاة وصيام، القائمة بلازم بيتها من عمل بالذات أو نظارة عليه إذا كان لها خدام يقمن به، المحبة لزوجها محبة لا تبغى معها بدلامنه مهما يكن زوجها وضيعا وغيره رفيعا، فهذه هى المرأة الصالحة التى تكون سبب السعادة لزوجها وأولادها ولا يشترط فيها أن تكون غنية أو شريفة فى قومها بل مجرد

دينها وأدبها كافيان لها يغنيانها عن غيرهما . وكم أعلم من امرأة فقيرة بل خادمة تزوجت بفقير فكانت سببا في انعاشه وإنقاذه من مخالب فقره حتى وصل إلى درجة الوجوه والأعيان ، وصار منزله محطا لوفود الرجال من جميع الطبقات وأصبحت زوجته تلك الخادمة الفقيرة سستا كبيرة أو سيدة جليلة وليس هذا بالأساطير ولا الخرافات ولا الأقاصيص ، بل هوشى حق شاهدته بعيني لم أسمع به بأذى . وبالعكس منها كم أعلم من امرأة أصيلة غنية وزوجها على شاكلتها مازالت تعمل أعمال البذخ والسفه والسرف حتى أهلكت زوجها بسوء إدارتها مالا وحالا فأمسى في حالة يرثى لها ، وكانت عاقبة أمرهما خسرا وهلاكا نعوذ بالله من الحور بعد الكور ، ومن سوء الادارة المؤدية للخسارة . والمرأة عنوان كل خير وشر ، وجمع بحري النفع والضرر ، إذا صلحت صلح كل ما يتعلق به ويتعلق بها ، وإذا فسدت فسدت الجميع والله الحافظ الواقى .

باب

— ٤ —

(في مدح المرأة من حيث الحمل والولادة ، وما تجرى فيه بذلك العادة)

لما كان القصد من الزواج حصول النسل وبقاء أفراد العالم إلى آخر الوقت المقدر له ، ولا يحصل ذلك إلا بكلفة ومشقة على النساء من الحمل والوحم والطلق والولادة والنفاس والارضاع وتربية الولد وطفامه ، تفضل الله تعالى على المرأة التي تبلى بحمل هذه المشاق والشدائد بالفضل العظيم من نحو إيجاب الشكر على الولد لأمه أولا ثم لأبيه ثانيا كما قال الله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير) وتقديم الأم على الأب بالبر والشكر مفهوم من الأحاديث الشريفة كحديث « أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب » - رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم عن معاوية بن حيدة وابن ماجه عن أبى هريرة - ومن نحو ماورد في الأحاديث الشريفة مما أعده الله للحاملات والوالدات كحديث « المرأة في حملها إلى وضعها إلى

فصالحها كالمرباط في سبيل الله ، فان ماتت فيما بين ذلك فلها أجر شهيد » - رواه الطبراني عن عبد الله بن عمر - وحديث « المرأة إذا حملت كان لها أجر الصائم القائم المحبب المجاهد في سبيل الله ، فاذا ضربها الطلق فلا تدري الخلاق ما لها من الأجر ، فاذا أرضعت كان لها بكل مصة أورضة أجر نفس تحييها ، فاذا فطمت ضرب الملك على منكبيها وقال استأنفى العمل » وحديث « الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله ، المقتول في سبيل الله شهيد ، والمطعون شهيد ، والغريق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبطون شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع (١) شهيد » - رواه الامام مالك وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر بن عبد الله - وحديث « أما ترضى إحداكن أنها إذا كانت حاملا من زوجها وهو عنها راض أن لها مثل أجر الصائم القائم في سبيل الله ، فاذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والارض ما أخفي لها من قرة أعين ، فاذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة ولم يمص من ثديها مصة إلا كان لها بكل جرعة وبكل مصة حسنة ، فان أسهرها ليلة كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعتقهم في سبيل الله » - رواه الطبراني وابن عساكر والحسن بن سفيان عن سلامة حاضنة ابراهيم ابن رسول الله ﷺ

والحمل والولادة أمران صعبان ، والتهلكة فيهما ملحوظة قال سيدنا علي رضي الله تعالى عنه : رسول الموت الولادة . وقد صدق فيما قال فكم من حامل ماتت وهي تلد أو في أثناء نفاسها ، ولذلك كان فضل الله تعالى على النساء عظيما ، لوعرفن ذلك الفضل فقدرنه حق قدره وشكرنه حق شكره . وينبغي أن تطعم النفساء التمر في أثناء نفاسها ، فان من كان طعامها في نفاسها التمر كان ولدها حليما (وفي هذا حديث)

(١) جمع بضم الجيم وسكون الميم أى تموت وهي حامل

(فوائد لتسهيل الولادة)

العمدة في هذا الباب على ما عند القابلة الطيبة من العلم والمعرفة بحسب ما تعلمته وقد ترقى فن الطب ترقيا زائدا سهل على كل والدته ولادتها، فيجدر بالحامل أن تستحضر القابلة الطيبة لأن تسترسل في اتباع ما هو مألوف عندها وعند أهلها من أنها لا تبغى بالقابلة فلانة العجوز بدلا حيث أنها ولدتها وولدت من ولدتهم من أهلها فإن كونها ولدتهم ليس يقتضى التمسك بها مادام في الامكان تسهيل أمر الولادة باستخدام القابلات الطبييات، وكم من تهلكة وقعت فيها الحامل بسبب تمسكها بقديمات الصنعة من غير علم ولا معرفة ففاسدت من الالهوال، وصرفت من الاموال ما كانت في غنى عنه، ومع هذا فلا مانع من استعمال ما جاء في كتب الطب المادى والروحانى من الفوائد المسهلة للولادة لاسيما في الآماكن التي لا يوجد فيها قابلات طبييات. وقد ذكرت في كتابي (الفوائد الكمالية في المنافع الدينية والدنيوية) قسما منه وهذا هو: ذكر الشريشى المتوفى سنة ٦١٩ في شرح المقامة العمانية من المقامات الخيرية عن ابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ بسند متصل بسيدنا عبد الله بن عباس المتوفى سنة ٦٨ رضى الله تعالى عنهما أنه قال: مر عيسى ابن مريم عليهما السلام على بقرة قد اعترض ولدها في بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله أن يخلصنى، فقال: يا خالق النفس من النفس، ويا مخرج النفس من النفس، خلصها. فألقت ما في بطنها. فاذا تعسرت على امرأة ولادتها يكتب ذلك في إناء ويمحى بماء وتسقاه وعن ابن عباس أيضا أنه يكتب لمتعسرة الولادة في جام (قدح) وتسقاه؛

بسم الله لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا ساعة من نهار، بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) وأخرج البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ في كتاب الدعوات عن ابن عباس موقوفا في المرأة التي تتعسر عليها ولادتها أنه يكتب في قرطاس ثم يمحي وتسقى، بسم الله الذى لا إله إلا هو الحليم الحكيم، سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة

من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسفون) وعنه أيضا أن من عسر عليها النفاس أو الولادة يكتب لها في إناء جديد ويمسح به بطنها والموضع الطاهر من فرجها (إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت ، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ، لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ ، لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ذكره الجلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١ في كتابه الرحمة في الطب والحكمة وقال إنه صحيح مجرب وذكر في الاتقان برواية ابن السني المتوفى سنة ٣٦٢ عن فاطمة رضي الله تعالى عنهما أنها لما دنت ولادتها أمر رسول الله ﷺ زوجته أم سلمة وزينب بنت جحش أن تأتيها فتقرأ عندها آية الكرسي وقوله تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنك ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلاتذكرون) وأن تعوذها بالمعوذتين * وفي كتاب نزهة المجالس للصفوري المتوفى آخر القرن التاسع أنه تسقى معوقة الولادة أربعة مثاقيل من قشر خيار الشنبر اليابس ، أو درهمين من الزعفران ، فإنها تلد سريعا وأنه ينبغي لمن قربت ولادتها أن تستحم كل يوم . وفي كتاب تسهيل المنافع اذا عقدت مرجانة بخيط في فخذ المرأة اليسرى يخرح الولد سريعا ، وإن شرب ثلاثة دراهم من القرقة يسهل الولادة في الحال ، وإن التبخر بشعر نفسها يسهل خروج الولد * وفي شرح المقامات الحريية للشريشي أن الزبد البحري (وهو حجر رخو رقيق شديد البياض) إذا علق على المرأة التي أخذها الطلق سهل ولادتها . وشرب السعتر المنقوع بالماء يوما وليلة وشم الزعفران والتبخر بخاف حمار أو بذبله أي روثه وشرب درهمين من زهر الياسمين الأبيض أو أربعة مثاقيل من قشر خيار الشنبر اليابس ، أو شرب درهمين من الزعفران كل ذلك يسهل الولادة

(فصل فى الحبل والعقر والعقم والاجهاض والحيض)

القصد من الزواج التناسل وتكاثر أفراد العالم ليقبى إلى آخر اليوم المعين لبقائه، فإذا أراد الله تعالى إنهاء العالم وإفناء أوحى إلى الارض أن لا تنبت ، والى الارحام أن لا تحمل . فياخذ الموجود فى النقصان الى أن يعتريه الفناء ، وما دامت الارض تنبت والارحام تحمل فان وقت نهاية العالم لم يحن بعد ولم يحى . ومن فضل الله تعالى أن جعل النساء يحبلن ويلدن لبقاء العالم إلى نهاية وقته المراد وأقل القليل ممنهن التى لا تحبل إما لمانع طبيعى أو عرضى ، ولكن ليس فى الامكان الحكم على امرأة ما قبل النكاح والدخول بها أنها تحمل وتلد أولا ، وإنما يستأنس لذلك بالقياس على ذوات قرابتها فى الغالب . والحبل معلوم لا يحتاج إلى تعريف ، والصفة منه حابلة وحبل وحبلانه ، ولم ترد هذه المادة فى القرآن ولا فى الحديث على ما أعلم وإنما الذى ورد الحمل وما يشق منه . والعقر أن لا يكون فى المرأة قابلية الحمل والولادة ولا يعرف ذلك إلا بعد دخولها فى سن الياس وهو سن انقطاع حيضها ، والصفة منه عاقر قال الله تعالى (وكانت امرأتى عاقرا) والعقم موت كل من الزوجين بلا ولد سواء أكان لهما ولد ومات فى حياتهما أو لم يكن لهما أصلا ، والصفة منه عقيم . والاجهاض تعمد إسقاط الجنين لسبب ما وهو حرام وبمباشرة قتل النفس لاسيما اذا تخلق ودبت فيه الروح ، وجناية تعاقب المحاكم عليها فاعلته ، ولا يجوز بحال من الاحوال ولو كان الجنين من سفاح . وإثمه على أبويه ليس على الولد منه شىء ، والمعاونة على إسقاط الجنين والدلالة على كيفية الاسقاط فى الاثم والجرم كالاجهاض . وأما سقوط الجنين من غير تعمد إسقاطه فلا إثم فيه لانه من علة فى الرحم مانعة من بقاء الجنين ونموه فيه ، ويجب على المبتلاة بسقوط جنينها التداوى . والحيض هو دم يخرج من رحم امرأة بالغة سليمة من الاعذار فى أوقات معينة ، وتحرم معه الصلاة والصيام والطواف وقراءة القرآن ودخول المساجد وقربان الزوج ما تحت إزار زوجته حتى تطهر . ومدة الحيض ومدة الطهر معروفتان عند كل امرأة بحسب حالها ، ولا مانع من أن ينام الزوج مع زوجته فى فراش

واحد وهي حائض ما دام يملك شهوته ، وإن خاف غلبة شهوته عليه فعليه أن ينام منعزلاً عنها حتى تطهر . ومن الغريب في حالة الحائض ما ذكره ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٣٧٦ في كتابه (تأويل مختلف الحديث) أن المرأة - الطامث أى الحائض - تدنو من اللبن لتسوطه - أى تخلطه - وهي منظفة الكف والشوب فيفسد اللبن ! وقد تدخل البستان فتضر بكثير من الغروس فيه من غير أن تمسها اه واليهود يأنفون من الحائض ويحسبونها كل الاجتناب في أثناء حيضها فلا يجالسونها ولا يضاجعونها ولا يؤاكلونها ولا تطهر عندهم إلا باغتسالها بالماء البارد ، ولو صادف حيضها أيام البرد القارص ، وليس في الاسلام شئ من ذلك إلا اعتزال ملامستها فيما دون الازار حتى تطهر ، ويكفى في الشرع الاسلامي انقطاع حيضها لقربها وإن لم تغتسل (ما جعل الله عليكم في الدين من حرج)

(فوائد للحبل وحفظ الجنين من السقوط)

وهذه بعض فوائد تعين على الحبل وتحفظ الجنين من السقوط نقلاً عن كتابي (الفوائد السكالية في المنافع الدينية والدنيوية) قال ابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ في كتابه العقد الفريد : كل امرأة أودابة تبطئ عن الحبل ؛ اذا واقعها الفحل أو الرجل في الايام التي يجري فيها الماء في العود فانها تحبل باذن الله تعالى اه وفي كتب الطب والخواص أن التحمل بالانفحة أيا كانت بعد الطهر من الحيض ، أو شرب المرأة لبن فرس وهي لا تعلم ثم وطؤها عقبه ، وأكل الرجل خصية الأوز ثم وطؤها عقبه وتحمل المرأة بالخزأى بعد الطهر من الحيض ثلاثة أيام متوالية ، وشربها مغلى القرنفل ثلاثة أيام متوالية كل يوم درهمين بعد الطهر ، كل ذلك يعين على الحبل اذا لم يكن في أحد الزوجين مانع يمنع منه . وشرب مغلى الكمون يقي الجنين من السقوط . وفي الطب الحديث وسائل كثيرة للحبل ووقاية الجنين فعلى من هو مبتلى بشئ من ذلك أن يراجع الاطباء المختصين بذلك ويعمل بما يقولون .

باب

- ٥ -

(في حسن المرأة وجمالها ، وأدبها وكماها)

في الحديث الشريف « النظر الى المرأة الحسناء والخضرة يزيدان في البصر » -
رواه أبو نعيم في الحلية عن جابر بن عبد الله - وفي حديث آخر « ثلاثة فائتات الشعر
الحسن والوجه الحسن والصوت الحسن » وقال أصحاب الاختصاص في تعيين
الجمال والحسن :

صاحب الحسن والجمال بحق من تمل القلوب طرا اليه

كلما لاح حسنه في مكان كثرت زحمة العيون عليه

وقال آخرون : بل الحسن والجمال في أعضاء مخصوصة بكيفيات مخصوصة من
كانت فيه كان حسنا جميلا . وقال قائل : الجمال هو عبارة عن ميل الذوق واستحسانه
لشيء . ورد هذا القول بأن الاذواق تختلف والطباع تتباين ، فكم من محبوب عند
قوم مكروه عند آخرين . وقال ابن أبي طالب الانصارى المتوفى سنة ٧٢٧ في كتابه
(السياسة في علم القراصة) قال صاحب البرجاني : إذا اجتمعت في المرأة الرباعيات
فهي الكاملة الجمال والحسن ، سواد أربعة : شعر الرأس ، وشعر الجفون ، وشعر
الحاجبين ، وسواد الحديقة ، وبياض أربعة : بياض لحمها ، وبدنها ، وأسنانها ،
وكفيها ، بياضا نقيا ، واحمرار أربعة : اللسان ، والشفيتين ، والوجنة ، واللثة ،
وتدوير أربعة : الرأس ، والكعبين ، والكفل ، والنهدين ، وطول أربعة :
القامة ، والعنق ، والحاجب ، والشعر ، وطيب أربعة : رائحة الانف ، والفم ،
والابط ، والفرج ، ودقة أربعة : الشعر ، والخصر ، والانف ، واللسان ، ورقة
أربعة : الشفتين ، والبشرة ، وأصابع اليدين ، والرجلين ، وصغر أربعة : الفم ،
والانف ، والكف ، والقدمين ، وحرارة أربعة : البدن ، والنفس ، والفرج ،
والقدمين ، وقبقة أربعة : الظفر ، والفرج ، والشدى . وظهر الكفين ،

ورخوصة أربعة : العنق ، والكفين ، والبطن ، والقدمين ، وسبوطة (١) أربعة :
العنق ، والساقين ، والساعدين ، والكفين ،

وهي مع هذا متناسبة مقادير الاعضاء والرأس والوجه ، معتدلة القد بين الهزال المفرط والعبالة الزائدة ، معتدلة اللحم بين الصلابة والرهولة ، دعجاء الطرف زجاء الحاجبين ، مقلجة الثغر ، مرتجة الكفل ، حلوة الكلام . دون الطويلة وفوق القصيرة ويقول صاحب كتاب (السياسة في علم الفراسة) أيضا إن العيون في الحجازيات ، والخصور في اليمنيات ، والشعور في الكرجمات اه وقال بعض الشعراء مشيرا الى نساء قبائل من العرب اختصاص بشئ من الجمال :

خزاعية الاطراف كندية الحشا فزارية العينين طائية الفم
وفي كتب اللغة تفصيل لجمال النساء ولكل نوع اسم وهو ، الوضيئة — هي التي فيها مسحة من جمال ، الحسانة — بوزن جمانه — هي التي يشبه جمال بعضها بعضا الغاية — هي المستغنية بجمالها عن الزينة ، الوسيمة — هي ذات الحسن الثابت القسيمة — هي ذات الحظ الوافر من الحسن ، الرائعة — هي التي تسر من ينظر اليها الباهرة — هي الفارقة على غيرها بحسنها ، الخود — هي الحسنة الخلقة الغادة — هي الناعمة وهي أيضا الاملود والرود والبرهره ، البضة — هي الرقيقة الجلد الرعبوبة — هي البضاء الناعمة ، الهيفاء — هي الضامرة البطن ، الغيداء — هي المثنية من اللين ، الممسودة — هي المشوقة القد ، البهانة — هي الطيبة الريح ، العطولة — هي الطويلة العنق ، الخريدة — هي الحبيبة ، العروب — هي المتحبة لزوجها

قال كعب بن زهير رضى الله عنه في قصيدته (بانث سعاد) المشهورة

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشكى قصر منها ولا طول

وذكر أبو الفرج الاصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦ في كتابه (الاغاني) في أخبار

(١) السبوطة ضد التجعد والتعقد بأن يكون لنا مسترسلا

عمر بن أبي ربيعة المخزومي المتوفى غرقاً سنة ٩٣هـ أن الثريا بنت علي بن عبد الله ابن الحارث بن أمية الأصغر التي كان عمر يشب بها كانت على جانب عظيم من الجمال وتمام حسن الخلقة، وذكر أنها كانت تصب عليها جرة ماء وهي قائمة فلا يصيب ظاهر فخذيهما منه شيء لعظم عجيزتها اه وقال شاعر:

أبت الروادف والندى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا

ويقال في تقسيم الحسن : إن الصباحة في الوجه ، والوضاءة في البشرة ، والجمال في الأنف ، والحسن في الوجه ، والحلاوة في العينين ، والملاحاة في الفم ، والظرف في اللسان ، والرشاقة في القد ، واللباقة - بالباء الموحدة - في الشمايل ، والبراعة في الجيد ، والرقعة في الخصر . كما هو مذكور في كتاب فقه اللغة للشعالبي المتوفى سنة ٤٣٩هـ وفي كتاب أسرار النساء (لسليمان أعوان) أن الشعور لنساء الغانج - في أفريقية - والآنوف للروم ، والافواه للانكليز ، والقامات للشرا كسة ، والالوان للألمان والاسنان للمصريات والسواعد للبلجيكيات ، والافخاذ للايطاليات ، والعيون للاسبانيويات ، والأرجل للصينيات . واللطافة للفرنسويات ، فمن كانت فيها هذه الأشياء فهي الجميلة اه

فصل في ترتيب سن المرأة

مادامت صغيرة فهي طفلة ، فإذا تحركت فهي وليدة ، فإذا كعب ثدياها فهي كاعب فإذا زاد تكعبهما فهي ناهد ، فإذا أدركت فهي معصر ، فإذا ارتفعت عن حد الأعصار فهي عانس ، فإذا توسطت الشباب فهي خود ، فإذا جاوزت الأربعين فهي مسلف ، فإذا كانت بين الشباب والتعجيز فهي نصف ، فإذا وجدت مس الكبير فهي شهلة وكهلة ، فإذا عجزت وفيها تماسك فهي شهيرة ، فإذا صارت عالية السن ناقصة القوة فهي حيزبون ، فإذا انحنى قدها وسقطت أسنانها فهي قلعم ، ولطاط ، يكسر اللامين

(مباراة الجمال بين الفتيات)

أحدث بعض الدول الأوروبية بدعة المباراة فى الجمال بين فتيات العالم ممن يحببن الاشتراك فيها ، وليس هذا الاحداث من الامور الهامة ، بل هو إلى السخف أقرب منه إلى الجد . حيث أنه ليس فى وسع أحد أن يكون سابقا فى الجمال على غيره إذ هو من المواهب لا من المكاسب ، ولا يمكن الاتفاق بين العالم كله على تخصيص فتاة بأنها هى الوحيدة فى الجمال فى العالم لاختلاف الاذواق فيه ، إلا أنه لا يخلو من فائدة اعتنائهن بصحتهن فهو من هذه الجهة حسن .

باب

-٦-

(فى ذكر جوامع أعداد ، لها بمدح النساء اعتداد)

أنقل من كتابي (لوامع الاسعاد فى جوامع الاعداد) ماله علاقة بمدح النساء من أعداد جامعة ، لاشياء رافعة ، من أحاديث نبوية ، وأقوال حكمية ، وأبيات شعرية ، مشيراً إلى الحديث بحرف الحاء ، وتاركاً ما هو غيره بلا إشارة على السواء .

(عدد الاثنى)

« حبيب إلى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرعة عيني فى الصلاة » (ح) -
رواه الامام أحمد والنسائى والحاكم والبيهقى عن أنس بن مالك - « انى أخرج
عليكم حق الضعيفين المرأة واليتيم » (ح) - رواه الحاكم والبيهقى عن أبى هريرة -

(عدد الثلاثة)

« ثلاثة لا تمسهم النار ، المرأة المطيعة لزوجها ، والولد البار بوالديه ، والمرأة الصبور على غيرة زوجها » (ح) ، « لهُو المؤمن باطل إلا في ثلاث ، تأديبه فرسه ، ورميه عن قوسه وملاعبته مع أهله » (ح) « ثلاثة تقرأ العين المرأة الموافقة ، والولد الأديب ، والاخت الودود ، » ثلاثة تنسى المصائب ، مر الليلي ، والمرأة الحسنة ، ومحادثة الرجال « الأنس في ثلاثة . الولد البار ، والزوجة الموافقة ، والصديق المصافي » العيش في ثلاثة ، سعة المنزل ، وكثرة الخدم ، وموافقة الأهل ، « لا سمر بعد العشاء إلا لثلاث ، مؤانسة ضيف ، أو محادثة أهل ، أو مدرسة علم » « ذهبت اللذات إلا من ثلاث ، شم الصبيان ، وملاقة الإخوان ، والخلو مع النسوان »

(عدد الأربعة)

« أربع من السعادة المرأة الصالحة ، والمسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب الهنيء » (ح) « أربع من سعادة المرأة ، أن تكون زوجته صالحة ، وأولاده أبرار ، وخلطاؤه صالحين ، وأن يكون رزقه في بلده » (ح) - رواه ابن عساکر والديلمي عن علي وابن أبي الدنيا عن عبد الله بن الحكم عن أبيه عن جده - « أربع من أعطين فقد أعطى خير الدنيا والآخرة ، لسان ذاك ، وقلب شاكر ، وبدن على البلاء صابر ، وزوجة لا تبغيه خوفاً في نفسها ولا ماله صالحة تعين أحدكم على دينه » (ح) - رواه الطبراني والبيهقي عن ابن عباس عن أبي هريرة - « تنكح المرأة لأربع ، لمالها ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » - رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه -

عدد الخمسة

« خمس لا تنال بخمس ، مودة النساء بالغلظة ، ومودة الاخوان بالجفاء ، والآخرة بالرياء ، والعلم بالدعة ، والفضل بالهزل » « كمال المرأة في خمسة أحوال مرضاة ربها ، وإطاعة زوجها ، وحفظ لسانها ، وزهدها في متاع الدنيا ، وصبرها على المصيبة ».

عناية الاسلام بشأن المرأة

كانت المرأة قبل الاسلام مضطهدة أسيرة ذليلة لا قيمة لها عند جميع الشعوب والامم من عرب وغير عرب ، قال الاستاذ الفاضل الشيخ رشيد افندي رضا وهو اليوم في عشرين الثمانين من سنى حياته الحافلة بجلال الاعمال الدينية في كتابه المسمى (نداء للجنس اللطيف) (كانت المرأة تشتري وتباع كالبييمة والمتاع ، وكانت تسكره على الزواج وعلى البغاء ، وكانت تورث ولا ترث وتملك (بضم التاء) ولا تملك (بفتحها) وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل وكانوا يرون للزوج الحق في التصرف بماله من دونها ، وقد اختلفت الرجال في بعض البلاد في كونها إنسانا ذا نفس وروح خالدة كالرجل أم لا ، وفي كونها تلقن الدين وتصح منها العبادة أم لا ، وفي كونها تدخل الجنة أو الملكوت في الآخرة أم لا ؟ فقرر أحد المجامع في روميه (في إيطاليا) أنها حيوان نجس لا روح له ولا خلود ولكن يجب عليها العبادة والخدمة وأن يكفمها كالبعير والكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام لأنها أحبولة الشيطان ، وكانت أعظم الشرائع تديح للوالد بيع ابنته ، وكان بعض العرب يرون أن للآب الحق في قتل بنته بل في وأدها - دفنها حية - وكان فيهم من يرى أنه لا قصاص على الرجل في قتل المرأة ولادية ، وكان أهم إنصاف للمرأة منحها إياه الشعب الفرنسى في أوروبا بعد ولادة النبي ﷺ بخمس عشرة سنة ولم يكن يدري هو ولا غيره ماسيحي به النبي ﷺ من الاصلاح

البشرى العام والنسوى الخاص اه قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : وقد حصل ذلك كله بصور كافية وافية بالغرض المقصود (للمرأة في الشرع حرة مختارة ترث وتورث وتملك (بفتح التاء) ولا تملك ولا تكره على فعل أى شئ يراد منها من مقبول ومردود، ولا حجر عليها فيما تملكه إلا بسبب، وليس لزوجها الحق في التصرف بمالها إلا باذنها، وهى إنسان عاقل مكلف بمثل ما يكلف به الرجال مما يصح اشتراك التكليف فيه بينهما تتعلم وتعلم وتثاب على كل عمل خير تعمله في الدنيا والآخرة إذا أرادت به وجه الله تعالى، وتدخل الجنة في الآخرة إذا ماتت مسلمة مؤمنة وإلا فلا نعم إن عليها واجبات لزوجها كما لها عليه كما قال تعالى: (ولهن مثل الذى عليهن) وفي النساء الصالحة ومن هى حباله من حبال الشيطان، ويقاص قاتلها ومريد السوء بها مادة أو معنى ويحرم دفنها وهى حية إلى غير ذلك من الأحكام والحقوق مما هو مفصل موضح في الشرع الاسلامى). وفي هذا الكتاب شئ كثير منه وكل ما يرى يحسب الظاهر أن فيه شدة على المرأة هو بالحقيقة ونفس الامر تخفيف عليها ورحمة بها كالحجاب مثلا فان القصد منه صونها من أن تمتد اليها العيون أولا ثم الأيدي ثانيا بما لا يحل مد العين واليد فيه، فالمتحجبة المستترة مصونة من وصول شر الاشرار اليها قولا وعملا بخلاف المتبرجة المتكشفة فانها عرضة الى كل خطر يدنس العرض ويلوث الشرف، لاسيما أن حالتها هذه كناية عن تعرضها لمن يريد هاء، ولو أن في المتبرجات من لا يقصد هذا ولكن العبرة للغالب. وقد قيل من سالف الأزمان: كاد المريب أن يقول خذونى. وقال الأستاذ شمس الدين الغريانى الموظف بدار الكتب المصرية فى مقالة نشرها فى جريدة المقطم: لم تكن المرأة فى عهد القانون الرومانى شيئا يؤبه له، فهى قبل زواجها تحت سلطة والدها فاذا تزوجت دخلت تحت سلطة زوجها فلا تستطيع التصرف فيما تملكه فهى أشبه بالعبيد الأرقاء، ثم أخذت تستعيد حريتها شيئا فشيئا حتى نالت منها قسطا ولكنه غير كامل وسبب سوء معاملتها ضعفها عن حماية نفسها. وأما القانون الفرنسوى فانه ترك للفتاة العذراء والأرملة كل حقوقها وحريتها من غير ولاية لأحد عليها مادامت بالغتين سن الرشد، وأما المتزوجة فهى تحت سلطة زوجها المطلقة لالضعفها

بل لوجوب طاعتها لزوجها فأهليتها لما كانت فتاة غير متزوجة أو أرملة تزول بزواجها لالكونها امرأة بل لكونها زوجة ، فالمتزوجة لا تستطيع أن تتناول شيئاً من ممتلكاتها ببيع أو هبة أو غير ذلك إلا بترخيص من زوجها مالم يكن غائباً غيبة طويلة يتعذر معها أخذ الاذن منه ، ولا تستطيع مزاوله مهنة إلا بعد موافقة زوجها ، وللزوج السلطة الواسعة في مراقبة شئون زوجته الشخصية فله أن يمنعها من الاجتماع بأي شخص لا يريد اجتماعه بها ولا اجتماعها به ، وله أن يطلع على ما تكتبه وتراسل به وأن يفتح مكاتيبها المرسلة منها والمكاتيب الواردة اليها ، وله أن يمنعها من قراءة أى كتاب لا يليق بها أن تقرأه . وهو مع ذلك يخاطبها بلفظ سيدتى افعلى كذا أو سيدتى لا تفعلى كذا اه قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : وأين هذا التذبذب والتفريق في المعاملة بين الابكار والارامل والمتزوجات من نساء فرنسا من قانون العدل والاحسان قانون الشرع الاسلامى في معاملة النساء من غير تفريق في الصفة حيث قال تعالى (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) فالمرأة في الشرع الاسلامى لا بد لها من ولى وهى حرة فيما تملكه وتتصرف به مالم تكن سفينة أو مبذرة ، وليس لزوجها أن يطلع على أسرارها إلا إذا حدث منها ما يوقعه في الشبهة ، وليس له أن يسافر بها إذا شرط لها أن لا يخرجها من بلدها ، وأما إذا لم يشترط لها ذلك فقد كان الحكم الشرعى أن لا يسافر بها من بلدها قدر مدة السفر ، ثم أفقئ شيخ الازهر السابق الشيخ محمد مصطفى المراغى بلزوم ذهاب الزوجة مع زوجها أينما ذهب عملاً بقول بعض أئمة الفقه من غير أصحاب المذاهب الأربعة للحكمة المقتضية لذلك ، وهى لزوم أن تكون الزوجة مع زوجها والزوج مع زوجته ليحصل التعاون بينهما على الحياة المعاشية لا سيما في هذه الاوقات التى كثرت فيها وسائل المناقلات ، فلم يبق مجال لأن يقال بعد وقرب يخشى منه عليها ، فأبعد مكان يتوصل اليه بأقرب مدة وهذا أمر حق فانه لا ينكر تغير الاحكام بتغير الأزمان مما فيه المصلحة للناس والرفق بهم والحمد لله على دين الاسلام فانه دين تسهيل ورفق ويسر كما قال تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) اللهم

أحينا مسلمين وأمئتنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين

باب

- ٧ -

﴿ في ذكر ما جاء من ذم النساء والأمر بمعاملتهن بالشدة والجفاء ﴾

كل شيء يحد ذاته قابل لأن يمدح ويذم ، ويقبل ويرد ، باعتبار ما تركب منه من العناصر . فالنساء يمدحن ما كن متمسكات بالشرع الاسلامي من اتباع أمر واجتناب نهى ، كما أنهن يذمن اذا خالفن أمر الله تعالى إيجابا وسلبا بالرغم مما فيهن من طبائع وأخلاق وعادات كادت تكون جبلة فيهن ، وإنما التعليم الديني يزيل تلك المنكرات كلها أو يخفف وطأتها ، وما من داء إلا له دواء . وقد وصف الله تعالى النساء في القرآن الكريم بأوصاف كثيرة مذمومة منها كونهن شهوة ، ونقص عقولهن ، وعجزهن عن القيام بأموهن ، واحتياجهن لولى يقوم عليهن ، ولهن يحصنهن ونسبته حصول كثير من المنكرات لهن ، واذاعتن الأسرار والخيانة لأزواجهن . والكيد وقوة الشهوة والوقاحة والافتراء وغير ذلك مما هو مذكور في القرآن الكريم وليس بالقليل . وتجد سورة يوسف عليه السلام فيها كثير من تلك الأوصاف المذمومة فيما حصل بينه وبين امرأة العزيز وهى واحدة من النساء :

وما أتى من مثله واحد فجائز إتيان أمثاله

ولا يقال إن ذلك خاص بالمرأة فى واقعة حال مفردة ، كلا فان القاعدة الأصولية أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب كالقوانين التى تضعها الحكومات فانها قد تكون بسبب واقعة حصلت وإنما يطبق عليها كل ما كان من شكلها فلا يقال إن هذه المادة أو هذا القانون كان بسبب الحادثة الفلانية فلا يطبق على غيرها وهذا لا يختلف فيه اثنان

أما كون النساء شهوة فدليلة قوله تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين) الخ الآية . عدد الله تعالى جملة أشياء وصفها بأنها شهوة بادئا منها بالنساء دليلا على أن الأهم المقدم ولذلك قالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها من شقوتنا أن الله تعالى قدمنا حين ذكر الشهوات اه والشهوة حركة النفس لطلب ما يلائمها والنفس أمارة بالسوء فلا تطلب إلا ما فيه هواها ورداها فالشهوة إذن هى

اتباع هوى النفس من غير تقيد بشرع أو عرف ، وتطابق في الغالب على الأمور البهيمية من الملامى والاستمتاع وغير ذلك ، وعلى قدر قوتها في النفوس تكون الخسرة والضرعة بنظر أهل العقول الصحيحة السليمة ولا يرد عليه أن ما ذكره الله تعالى في الآية بعد ذكر النساء من البنين وكثرة المال والخيل والأنعام والحراث شهوة أيضا لأنه ذكره في آيات أخرى في معرض المدح والامتنان به على خلقه . ولا يمن بما هو مذموم قال الله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ولا تكون الزينة مذمومة إلا إذا اشتملت على منكر وقال حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام مع قومه (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين) ولا تكون نتيجة الاستغفار الانعام بالشيء المذموم ، فالأموال والبنون تمدح وتذم بحسب ما يترتب عليها ، أما الشهوة فانها مذمومة لذاتها لانها لا تكون موافقة للشرع ، ولا هي محل للثواب عليها . والشهوة ما تذكر إلا وهي مذمومة قال شاعر :

رب مستور سبته شهوة فغرى عن ستره وانتهكا

صاحب الشهوة عبد فاذا ملك الشهوة أضحى ملكا

وقد كانت زوجتى السيدة قدسية كريمة الشيخ جمال الدين القاوقجي رحمهما الله تعالى لا تحب أن تسمع منى كلمة شهوة وذلك إني إذا سألتها عما تريده قائل لها الرجل يأكل بشهوة عياله؟ تقول لى : لا تقل بشهوة عياله فانه عيب بل قل باشتهاء عياله اه وفى قوله تعالى زين بالبناء لما لم يسم فاعله ما يفيد أن المزين غير الله لما فى آيات أخرى تدل على أن المزين هو الشيطان كقوله تعالى (الشيطان زين لهم) وقوله تعالى (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) وقوله تعالى (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم)

(وأما نقص عقولهن وضعف ضبطهن فزليله قوله تعالى (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتضل إحداهما الآخرى) وقد ذكر الفقهاء : أنه لو شهدت ألف امرأة

ليس معهن رجل لم تصح شهادتهن ، نعم إنه تقبل شهادة اثنتين فما فوق فيما لا يعلم إلا من جهتهن كشهادة امرأتين أو أكثر على أن فلانة حبلى ، أو غير حبلى ، فانهما تقبل شهادتهما من دون أن يكون معهما رجل للضرورة وشى عدم جواز اطلاع الرجل على عورة المرأة ليعلم أنها حبلى أو غير حبلى مثلا والضرورة تقدر بقدرها كما هي القاعدة الأصولية

وأما عجزهن عن القيام بأمورهن بأنفسهن فدليلة قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) وإنما يقام القيم على العاجز والقاصر والضعيف والمعتوه والسفيه والمبذر لما في كل أولئك من معنى العجز عن حفظ كيانه وصيانة ماله وحماية نفسه والمرأة من هذا القليل ، فلذلك كان قيام الرجل عليها لازما ولا تصح تصرفاتها إلا بموافقة وليها وولى المرأة أبوها أو ابنها أو أخوها أو زوجها والاقرب لولايتها زوجها ، فان لم يكن لها زوج فابنها ، فان لم يكن لها ابن فأبوها ، فان لم يكن لها أب فأخوها ، فان لم يكن لها أخ فعمها ، فان لم يكن لها عم فالأقرب اليها نسبا .

وأما كون إحصانهم من غيرهن لا من أنفسهن فدليلة قوله تعالى (والمحصنات من النساء) ذكرهن الله بصيغة اسم المفعول إشارة إلى أن إحصانهم من غيرهن وهو الولي عليهن ، ولذلك لا يصح أن تزوج امرأة نفسها من غيرها بلا ولاية ولي عليها لعدم تمييزها بين معرفة ما ينفعها وما يضرها في عاجل أمرها وآجله ، إذ ليس عندها من النظر والتفكير ما يسوغ لها زواجها نفسها ، وكمن امرأة استبدت بأفعال نفسها فكانت عاقبة أمرها خسرا . وبمقابلة ذكر الله تعالى المحصنات بصيغة اسم المفعول ذكر الرجال بصيغة اسم الفاعل فقال تعالى (محصنين غير مسافحين ولا متخذين أخدان) إشارة إلى أن إحصان الرجال من أنفسهم لا بسبب غيرهم

وأما نسبة حصول المنكرات لهن فدليلة قوله تعالى (فان أتيتن بفاحشة) وقوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة) حيث نسب إتيان الفاحشة اليهن وقدم الزانية على الزاني إشارة إلى أنه لا يزني رجل بامرأة إلا

بموافقتها ورضاها في الغالب مهما ظهر منها أباء وامتناع ، قال بشار بن برد المتوفى
سنة ١٦٨

لا يؤيسنك من مخدرة قول تغلظه وإن قبحا
عسر النساء إلى مياسرة والصعب يركب بعدما جمحا

وقال الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ في كتابه المحاسن والأضداد : وقيل لو أن أقبح
الناس وجها ، وأنتنهم رائحة ، وأظهرهم فقرا ، وأسقطهم نفسا ، وأوضعهم حسبا ،
قال لامرأة والله يا مولاتي لقد أسهرت ليلي ، وأرقت عيني ، وشغلتنى عن مهم
أمرى فما أعقل أهلا ولا ولدا لمالت اليه وأحبته ولو كانت أبرع الناس جمالا
وأكملهم كمالا ، وأملحهم ملاحه . وكانت أم الدرداء أو معاذة القيسية أو
رابعة العدوية اه وفي تقديم الزانية على الزاني في هذه الآية السالفة الذكر وتأخير
السارقة عن السارق في آية (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) إشارة إلى مسارعة
النساء في شهواتهن أكثر من مسارعتهن لسد حاجاتهن ودفع ضرورتهن ، لأن
السارق إنما يسرق عن احتياج لاعتناء شهوة ، وأما الزانية فإنها تزني عن شهوة لاعتناء
احتياج ، لأن احتياجها يمكن تلافيه بعمل غير الزنا ، وليس لها مهما اشتدت
بها الحاجة والضرورة أن تنتهك عرضها . وقد قيل من القديم تموت الحرّة ولا تأكل
بثديها ، فكيف بفرجها على أن أكلها بثديها أى إرضاعها طفل غيرها بأجرة ليس
محظورا شرعا ، ولا منفورا منه عرفا ، فلم يبق إلا أن زناها أمراً أقرب الى تسكين
شهوتها من دفع حاجتها .

وأما إذا عتنت للأسرار وعدم كتمانها لها فدليلة قوله تعالى (واذ أسر النبي
الى بعض أزواجه حديثا فلما نبات به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن
بعض) نعم إن المرأة تقدر على كتم سر عمرها فانها تبلغ الخمسين أو ما فوقها ويظهر
عليها آثار الكبر والانحطاط وإذا سئلت عن عمرها قالت إنها دون الثلاثين ، أو
أن فلانة التي هي في عداد أولادها أكبر منها ، كأن مر السنين لا يؤثر على سنى عمرها
تأثيرا تزيد فيه . وأعرف امرأة كنت أرغب أن أتزوج بها سنة ١٣١٥ هـ وهى

في ذلك التاريخ لا تقل عن خمس عشر سنة تقول اليوم ونحن في سنة ١٣٥٣ إن عمرها ما بلغ الثلاثين بعد ، ولها ولد من الزوج الذي تزوجت به لا يقل عمره عن اثنتين وعشرين سنة اليوم ، وقد تزوج وولده ولدان . وهذا التشدد في كتم سن أعمارهن مما لا مزيد عليه عند المتشددين * وفيه نساء تعرف أن الكذب مذموم ولا تكذب وأما خيانتهم لأزواجهن فديلها قوله تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) والخيانة أنواع ؛ تكون في العهد والمال والعرض ، وأشدّها ضررا خيانة الزوج في عرضه بأن يكون لها صاحب تستسلم اليه فيمتنع بها ، وربما حملت منه فكان الحمل لزوجها إذ لا يعلم بحقيقة الأمر ، فتحمل به وتاده على اعتبار أنه ابنه يشارك أهل أبيه في النسب والمال ولا ضرر أعظم من خيانة الزوجة لزوجها في عرضه ، ولذلك ورد في الحديث الشريف أن عليها نصف عذاب هذه الأمة . ولفظ الحديث « إن التي تورث المال غير أهله عليها نصف عذاب هذه الأمة » — رواه عبد الرزاق عن ثوبان — وفي حديث آخر « اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم ولدا ليس منهم يطلع على عوراتهم ويشرّكهم في أموالهم » — رواه البزار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب — وفي حديث آخر « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله عنه وفضحه على رؤس الأولين والآخرين يوم القيامة » — رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان ورواه الحاكم أيضا عن أبي هريرة —

وحكايات خيانات الزوجات لأزواجهن كثيرة مستفيضة شائعة لا يخلو منها زمان ولا مكان ، وقد كانت تسطر في الكتب فصارت في هذا العصر تنشر على صفحات الجرائد ويتناقلها الركبان في جميع أقطار الأرض بسبب ما للجرائد من قوة الذبوع ووسائط الانتشار ، وما قصة خيانة لطفية من آل اليافى لزوجها فوزى الغزى بمجهولة عند أحد من الناس وقد صدق من قال عنهن : عقولهن في فروجهن .

وأما الكيد وهو المكر والخبث والحيلة والزيادة في إظهار الظلم تهويلا

للأمر بالكذب فهو من صفات النساء اللازمة لهن، وقد وصفه الله تعالى بالعظم فقال (إنه من كيد كن إن كيد كن عظيم) وهون كيد الشيطان أمام كيد النساء فقال تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) فالنساء بكيدهن أشد من الشيطان بكيده على الرجال وقد استعاذ رسول الله ﷺ من كيد النساء فقال « اللهم إني أعوذ بك من امرأة تشينني قبل المشيب ». وقال في حديث آخر « اللهم إني أعوذ بك من فتنة النساء ». رواه الخرائطي عن سعد - قال العلامة الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ في تفسيره والخطاب عام للنساء مطاقا وكونه لها - أي لامرأة العزيز - ولجواربها كما قيل ليس بذلك، وتعميم الخطاب للتنبيه على أن الكيد خلق لهن عريق بهن، كما قال أبو تمام الشاعر المتوفى سنة ٥٣١ هـ :

فلا تحسبأهندا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند

ولربيات القصور منهن القدح المعلى من ذلك لأنهن أكثر تفرغا من غيرهن، ولعظم كيد النساء اتخذهن إبليس وسائل لاغواء من صعب عليه إغواؤه، ففى الخبر ما أيس الشيطان من أحد إلا أتاه من جهة النساء. وحكى عن بعض العلماء أنه قال أنا أخاف من النساء ما لا أخاف من الشيطان، فإن الله تعالى يقول (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) وقال للنساء (إن كيد كن عظيم) ولأن الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به. وما قيل إن ما ذكر من نسبة الكيد محكى عن قطفير (عزيز مصر) لا يصلح للاستدلال به ليس بشيء، لأن الله سبحانه وتعالى قصه من غير تكبير فلا جناح فى الاستدلال به، وكان بعض الرجال الأتخيار المبتلين بالنساء الاشرار يقول: إني لا أستعيز بالله من شر زوجتى أكثر مما أستعيز به من شر الشيطان الرحيم، لأن الله تعالى يقول خطابا للشيطان (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) وأنا من عباده إنشاء الله تعالى، وأما النساء فليس فى القرآن ما يحفظنى منهن حتى لا أستعيز بالله من شرهن اه والمرأة الشريرة أشد على الرجل من الشيطان، وقدرتها على البكاء والشهيق والصراخ تعينها على أن تظهر بمظهر المظلومة وهى الظالمة فى كثير من الأحوال، ومن ظلمها يلقى الرجال أنواع الأهوال.

وأما قوة الشهوة فظاهرة من مراودة امرأة عزيز مصر ليوسف عليه السلام عن نفسه وهي امرأة كبيرة سنا ومقاما فلم يمنعها كبر سنها ولا علو مقامها من أن تتغلب على شهوتها وتحفظ شرفها من أن تبذله بعرض نفسها على من يعد بحسب الظاهر أنه خادم لها ولم تكتف بذلك بل أصرت عليه وهددته بالسجن والتعذيب إن لم يفعل ماطلبت منه ، وفي ذلك دليل بين على ما عندها من قوة الشهوة .

وأما الوقاحة والافتراء في النساء فهو أيضا ظاهر من قصة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام ، فقد حصص الحق وتبين أنه بريء معصوم وأنها هي المتعرضة له ومع ذلك ما خجلت ولا استحييت ولا وارتبت في كلامها بل أصرت عليه وطلبت تنفيذه بالقوة والعنف ، وهذا منتهى الوقاحة . والشهوة في النساء على الإطلاق أقوى منها في الرجال ولا سيما نساء البلاد الحارة ، ومن أجل ذلك كان من امرأة العزيز ما كان باعتبار أنها امرأة في بلاد لئربتها تلك ، الخاصة ، والمرأة لا تتبدل قوة شهوتها بكبر سنها ورقة جلدها ، بل هي فيها على حالة واحدة . وإنما يمنعها من الجهر بها عدم اعتقادها بمن ياي طلبها ، لان الناس لا يألفون قرب العجائز مهما يكونوا ذوى شهوة قوية الا ما ندر ، فالطعن في السن لا يؤثر عليها مادامت حية تسعى . وأما شهوة الرجل فانها محدودة بحد اذا بلغته لا تتعداه بل تأخذ بالتقهقر والانحطاط حتي يصل الى درجة لا يشتهي معها النساء ، وليس لذلك سن معينة بل هو بحسب قوة البنية وضعفها وصحة الجسم ومرضه .

وأما المكر فهو ظاهر من قوله تعالى : (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنها في ضلال مبين) حيث لم يكن هذا القول منهم غيرة عليها ولا لتألم من سوء حالها ، ولكن لتسمع به امرأة العزيز فستدعيهن فينظرن يوسف حيث بلغن من جماله ما شغل بالهن ، وقد ورد في الأحاديث أنه أعطى نصف الحسن ، وعلى أمل أن يستخلصه لانهن ، فعلبت زليخاء وهي امرأة العزيز (وقيل اسمها راعيل) بما قصدنه وأردنه وعرفت أنه مكر منهن كما قال الله تعالى : (فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعدت لهن متكئا وآتت كل واحدة منهن سكينا

وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا
 إن هذا إلا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
 ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) وقد روى أنهن قلن له أطع
 مولاتك واقض حاجتها لتأمن من عقوبتها فانها المظلومة وأنت الظالم . وروى أن
 كل واحدة منهن طلبت الخلوة به لنصحها ، فلما خلت به دعتة لنفسها فيالله من مكر
 النساء وعهرهن يقلن عن امرأة العزيز (إنا لنراها في ضلال مبين) ثم ينصحنه بأن
 يطيعها ، ثم يطلبن الخلوة به لنصحها ، حتى إذا خلت كل واحدة به طلبت منه أن يقع
 عليها فهل بعد هذا مكر فوق هذا المكر اه قال الكمال أحسن الله تعالى اليه :
 ويستنبط من قصة زليخاء امرأة العزيز وما وقع ليوסף عليه السلام معها غير ما
 ذكرناه أن النساء ينصر بعضهن بعضا بحق وبلا حق حيث قلن له أطع مولاتك
 وأتهمنه بأنه ظالم لها لعدم إجابته وإنها مظلومة حيث منعها ما أرادت ، وهذا طبيعة
 في النساء لا يتبدل . فانه مهما حصل من خلاف بين النساء والرجال وكان الحق ظاهرا
 مع الرجل ينقلبن عليه وينتصرن لمن هي منهن سواء أكن يعرفنها أم لم يعرفنها
 وأن عزيز مصر كان حليما سليما حيث لم ينبض له عرق ولا تهيج له دم ، وقد علم
 وتحقق ما فعلته امرأته بل اكتفى بقوله : (يوسف أعرض عن هذا واستغفرى
 الذنبك إنك كنت من الخاطئين) قال العلامة الألوسى : كان قطفير عزيز مصر
 رجلا حليما كما روي عن الحسن ، ولذا اكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها . وروى أنه
 كان قليل الغيرة . وفي البحر أن تربة إقليم قطفير اقتضت ذلك اه ما قاله

باب

— ٨ —

((فيما جاء من الأحاديث في ذم النساء))

وأما ما ورد من الأحاديث في ذم النساء فهذا بعض منها قال رسول الله ﷺ
 « النساء حبائل الشيطان » - رواه البيهقي وابن عساكر عن عقبة بن عامر -
 وفي حديث آخر : « النساء لا يستشرن ولا يختبرن » وفي حديث آخر « إن أقل ساكني
 الجنة النساء » - رواه الامام أحمد ومسلم عن عمران بن حصين - وفي حديث

آخر « عامة أهل النار النساء » - رواه الطبراني عن عبد الله بن حصين - وفي حديث آخر : « ألا إن النار خلقت للسفهاء وهن النساء إلا التي أطاعت بعلمها » وفي حديث آخر : « إن إبليس الملعون يخطب شياطينه فيقول عليكم باللحم وبكل مسكر وبالنساء فاني لم أجد جماع الشر إلا فيها » وفي حديث آخر : « لولا النساء لعبد الله حقاً » - رواه الديلمي عن أنس وابن عدى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وفي حديث آخر : « لولا المرأة لدخل الرجل الجنة » - رواه الثقفى عن أنس - وفي حديث آخر : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء والأغنياء » - رواه عبد الله بن الإمام أحمد ابن حنبل عن عبد الله ابن عمرو بن العاص - وفي حديث آخر : « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم (١) الذي إحدى رجله بيضاء » - رواه الطبراني عن أبي أمامة - وفي حديث آخر : « الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فنأظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا والنساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء » وفي حديث آخر : « لئلا تين على الناس زمان لو وقع حجر من السماء إلى الأرض ما وقع إلا على امرأة فاجرة أو رجل منافق » - وفي حديث آخر : « إذا كان الشؤم في شيء ففي ثلاث المرأة والدار والفرس » وفي حديث آخر « النساء غل قمل يقذفه الله في عنق من يشاء ثم لا يخرج منه إلا هو » - وفي حديث آخر : « ما صعب على الشيطان أمراً فأتاه من جهة النساء إلا هان عليه » وفي حديث آخر : « ما أخاف على أمتي فتنة أخوف عليها من النساء والخمر » - رواه يوسف الخفاف عن علي بن أبي طالب وفي حديث آخر : « ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء » - رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد بن حنبل عن أسامة بن زيد - وفي حديث آخر : « ما رأيت ناقصات عقل ودين أسبى للب ذوى الألباب منكن » - رواه أبو نعيم عن عبد الله بن عمر - وفي حديث آخر : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى لب من إحداهن أما نقصان العقل فإن شهادة امرأتين بشهادة رجل وأما نقصان

الدين فان إحدا كن تفطر رمضان وتقيم أياما لا تصلي « يعنى فى حالتى الحيض والنفس . وقد بينت الأحكام الفقهية ان الحائض والنفساء تقضى صيام رمضان ولا تقضى ما تركته من الصلاة - وفى حديث آخر « اتقوا الدنيا واتقوا النساء فان إبليس طلاع رصاد وما هو بشئ من فخوخه بأوثق لصيده فى الاتقياء من النساء » - رواه الديلمى عن معاذ - وفى حديث آخر : « استعينوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر » وفى حديث آخر « شاوروهن وخالفوهن فان البركة فى خلافهن » - وفى حديث آخر « أخروا النساء من حيث أخرهن الله » وفى حديث آخر « يقطع الصلاة الكلب والحمار والمرأة » وفى حديث آخر : « اذا استقبلتك المراتان فلا تمر بينهما خذ يمينه أو يسره » - رواه البيهقى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وفى حديث آخر : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » - رواه البخارى والترمذى والنسائى واحمد ابن حنبل عن أبى بكره - وفى حديث آخر : « كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد » - رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه واحمد ابن حنبل عن أبى موسى الأشعرى وفى حديث آخر : « طاعة النساء ندامة » - رواه البيهقى وابن عساكر عن عائشة - وفى حديث آخر : « هلك الرجال حين أطاعت النساء » - رواه الامام أحمد والطبرانى والحاكم عن أبى بكره - وفى حديث آخر : « أريت النار فاذا أكثر أهلها النساء لانهن يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنن إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت ما رأت منك خيرا » وفى حديث آخر : « من تسع وتسعين امرأة واحدة فى الجنة وبعيتهن فى النار - وفى حديث آخر : « يامعشر النساء تصدقن فانى رأيتكن أكثر أهل النار قلن وبهم يارسول الله ؟ فقال تسرعن اللعن وتكثرن الطعن وتكفرن العشير اذا جمعتن دفعتن (١) وإذا شبعتن أشرتن - وفى رواية حجلتن »

(١) دفع رضى بالدون من المعيشة وساء احتمالها للفقير ولصق بالتراب ذلًا وفقرًا وأشر بطرو حجل رفع رجلا ومشى مترثًا على رجله الاخرى كناية عن البطر م - ٦ - مرآة

وفي حديث آخر : « رأيت كأن امرأة سوداء نائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت بمهيعة فأولت أن وباء المدينة نقل إليها » - رواه البخاري والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - ومناسبة ذكر هذا الحديث مع ما قبله كون وباء المدينة تمثل لرسول الله ﷺ بصورة امرأة إشارة الى أن بين النساء والوباء مناسبة وعلاقة - فهذه ثلاثة وثلاثون حديثا في ذم النساء . وروى أيضا أنهم محملات الآصار ومكفات الاوزار وأكثر أهل النار لا يصبر عليهن إلا الاخيار

باب

- ٩ -

(فيما جاء في ذم النساء عن الحكماء)

وأما ما قيل من غير الآيات والاحاديث في ذمهن فكثير منه ما جاء في حكمة داود عليه السلام وهو : وجدت من الرجال واحدا في العدد ولم أجد واحدة في النساء جميعا . وفي العقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ أجمعت العرب والعجم على أربع كلمات ؛ فقالوا لا تحملن مالا تطيق ، ولا تعمل ما ليس لك فيه فائدة ، ولا تثق بامرأة مهما تكن ، ولا تغتر بمال وإن كثر . وفي كتاب مروج الذهب للمسعودي المتوفى سنة ٣٣٦ قال الحجاج بن يوسف الثقفي المتوفى سنة ٩٥ للوليد بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء . ولا تطلعن على سرى ومكيدة عدوك ، ولا تطعن في غير أنفسهن ، ولا تشغلن بأكثر من زينتهن ، وإياك ومشاورتهن في الأمور فإن رأيهن إلى أفن ، وعزمهن إلى وهن ، واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك لهن ، ولا تملكن من الأمور ما يجاوز أنفسهن ، ولا تطمعن أن يشفعن عندك لأحد ، ولا تطل الجلوس معهن فإن ذلك أوفر لعقلك ، وأبين لفضلك . وفي كتاب اللطائف والظرائف للشعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ كان الخليفة المأمون المتوفى سنة ٢١٨ يقول : النساء شر كلهن ومن شر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن اهو قال لقمان الحكيم لابنه : يا بني إذا أردت أن تقوي على الحكمة فلا تملك نفسك للنساء ، فإن المرأة حرب ليس فيها صلح ، إن أحبتك أكلتك ، وإن أبغضتك أهلكتك . وقال أيضا : اتق المرأة السوء فإنها تشييك قبل المشيب ، واتق شرار النساء

وكن من خيارهن على حذر . وقال معاوية بن أبى سفيان المتوفى سنة ستين رضى الله تعالى عنه النساء يغلبن الكرام ويغلبن اللئام . وقالت الحكماء : لم تنه امرأة قط عن شئ إلا فعلته . وسئل بعضهم أى النساء أحب اليك الطويلة أو القصيرة ؟ فقال القصيرة قيل ولم ؟ قال لأن النساء شركهن ، وما قصر من الشركان أقل ضررا مما طال . وقال الشيخ احمد الألبشيهى المتوفى سنة ٨٥٢ فى كتابه المستطرف قال حكيم : آخر عمر الرجل خير من أوله ، يشوب حله ، وتتقل حصاته ، وتحمد سريره ، وآخر عمر المرأة شر من أوله ، يذهب جمالها ، ويذرب لسانها ، ويعقم وحمها ، ويسوء خلقها . وقال حكيم آخر : أضر الأشياء بالدين والعقل والجسم والمال الغرام بالنساء ، فان النساء متى عرفن قلبك بالغرام ، ارعن أنفك بالرغام - أى أذلنك - وقال آخر : لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة إلا بعد موتها وقال طفيل الغنوى :

إن النساء متى ينهين عن خلق فانه واقع لا بد مفعول

ينهين بفتح الياء وضمها وقال الزمخشري المتوفى سنة ٥٤٧ فى كتابه نوابغ الكلم : أنت من نسوة من اتخذ النسوة له أسوة وقال يتهكم بالنساء :

إن قوى تجمعوا وبقتلى تحدثوا

لا أبالى بجمعهم كل جمع مؤنث

وقالت بعض فضليات النساء : إنما النساء أغلال فليختر أحدكم غلا ليدع وعنقه وفى كتاب تعبیر الأعلام للشيخ الأكر محي الدين بن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ لا يعتد برؤيا المرأة لعدم الثبوت منها فى أطوارها يقظة . وفى غيره من كتب تعبیر الأعلام أن النعل تعبیر بالمرأة فمن رأى فى منامه أنه خلع نعله دل على أنه يطلق امرأته والعوام إذا أرادوا أن يدعوا على أحد بشر قالوا يضربه عفلق والعفلق فى اللغة المرأة الخرقاء البذيئة المنطق ، كأنهم يرون ابتلاء المدعو عليه بمثل تلك المرأة أشد ما يأتى عليه والترك يقولون المرأة طويلة الشعور قصيرة الشعور على كثفتها خرج ، فما كان من خير رأته من زوجها فهو فى الجهة التى وراء ظهرها وما كان من شر زعمته فهو فى الجهة التى أمامها . قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : وقد قال الترك هذا القول وقتما

كانت النساء تفتخر بطول شعورها ، وأما اليوم فقد أصبحن يقصصنه كما يقصصه الرجل فأصبحن بلا شعور ولا شعور ، وهم يسمون القملة كهلة ، والكهلة في العربية المرأة التي هي بين الثلاثين والاربعين من عمرها ، فكأنها بنظرهم وهي في سن الفتاة وبلوغ الرشد والاشد بمنزلة القملة ودرجتها وقيمتها ، فبالك بمن هي فوقه أودونه وقال سيدنا علي رضي الله تعالى عنه : لاتتخذوا النساء على حال ، ولا تأمنوهن على مال ، ولا تدعوهن يدبرن أمر العيال ، فانهن إن تركن وما يردن أفسدن السالك وأوردن المهالك . وقد وجدناهن لا ورع لهن عند شهواتهن ، ولا مروءة لهن عند خلواتهن يتهافتن على العصيان ، ويتمادين في الطغيان ، ينكرن الكثير اذا منعن القليل . ينسين الخير ويذكرن الشر ، صوالهن غادرات ، وطوالهن فاجرات ، وأما المعصومات فهن المعدومات . إذا ائتمن على مال ضاع ، أو على سر شاع . فاستعينوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن . وفي كتاب الاوائل والاواخر للجلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١ أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء - أي من جهة قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام - وذكر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ في كتابه المحاسن والاضداد أن تحية الدخول على ملوك الفرس أن يقول الداخل : عشت أيها الملك بسعادة الجد ورزقت الظفر على الأعداء ، وأعطيت الخير ، وجنبت طاعة النساء . وفي كتاب ألف باب لابن الحجاج يوسف بن محمد البلوى المتوفى سنة ٦٠٥ قال بعض الحكماء القدماء النساء نار توهج وسلم إلى كل بلاء ، وهن مثل شجرة الدفلى لها رونق وبهاء ، فاذا أكل منها البعير أدته إلى التوى - الهلاك - وقيل لسقراط الحكيم المتوفى قبل ظهور سيدنا عيسى عليه السلام ٣٧٧ سنة : أي السباع أحسن صورة ؟ فقال النساء . ورأى امرأة عوراء فقال : ذهب نصف الشر . ورأى امرأة تركب البحر فقال : شريحنى شرا ورأى رأس امرأة معلقا على شجرة فقال : ليت كل الشجر يشمر مثل هذا الثمر . وقال بعض الحكماء : من كانت لذته في النساء وقع في أعظم البلاء ، ومن أراد أن يعيش عيش الرغد ، ويحيى حياة بلا نكد ، فلا يشغل فكره بشهوة النساء ، ولا يومى اليهن بطرف ولا يد . وقال آخر : كل أسير يفتك إلا أسير النساء فانه غير مفكوك ، وكل

مالك يملك إلا مالك النساء فانه مملوك . وقال المرحوم عبد الرحمن الكواكبي المتوفى سنة ١٣٢٠ في كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد : النساء هن النصف المضّر ، لانهن اقتسمن أعمال الحياة مع الذكور قسمة ضيزى ، إذ جعلن نصيبهن هين الاشغال بدعوى الضعف ، وجعلن نوعهن مطلوباً عزيزاً بايهاهم العفة ، وجعلن الشجاعة والكرم سيئتين فيهن ، وجعلن نوعهن يهين ولا يهان ، ويظلم ولا يظلم أو يظلم فيعان فالبدوية تسلب الرجل نصف ثمره عمله ، والحضرية تسلبه ثلثه ، والمدنية تسلبه خمسة أسداسه . وقال الكمال أحسن الله تعالى اليه في كتابه ثمرات التجارب : ذوات الحر ، نصف العالم المضّر ، كيدهن عظيم ، وقيدهن أليم ، يشكين وهن الظالمات ، ويتمنعن وهن الراغبات ، يكفرن العشير ، وينكرن الكثير ، يحفظن الاساءة وينسين الاحسان ، على طول الزمان ، ناقصات عقل ودين ، وأسيرات شهوات جمعاء لا أجمعين ، وهن والطفل الصغير ، يحسبان ان الرجل على كل شيء قدير ، وقال أيضاً : النساء كفالك الله البلاء ، قدود مائسة ، وأفكار يابسة ، وأجسام حالية ، ولكنهن من العقول خالية ، وروائح عطره ، على أبدان قذره ، ما بين غيض وفيض ، ونفاس وحيض ، يونس منظرهن ، ويوسف مخبرهن ، يبددن الأموال ، ويستعبدن الرجال ، يتغالين في زينتهن ، ويتعالين في مؤنتهن ، من غير أن ينظرن لأصلهن ، ولا لمقدرة رجالهن ، أهملن واجباتهن كل الاهمال ، وقعدن عالة على مناكب الرجال ، يأخذن منهم معلوماً ، ويعطينهم معدوماً أو موهوماً ، فالرجل يكده ، ويكده ، ويجد ويمزح ، ويداوى ويجرح ، ويخسر ويربح ، حتى يكون له عندهن محل ، ومنهن أهل ، وفيهن جمع شمل ، فيالحقة العقل ، وقال أيضاً : البلاء كل البلاء ، في مقاربة النساء ، المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب ، - نوع من الطيب - والاسم اسم زينب ، - الزينب شجر حسن المنظر طيب الرائحة - والفعل فعل عقرب ، جمرة مغطاة بتمرة ، وشهوة تحتها حسرة ، صوت المرأة يخرق أحشاء القلوب ، ومسها نار تحرق أستار العيوب :

ومن خبر الغواني فالغواني ضياء في بواطنه ظلام

وقال أيضا : ما أشبه النساء بالمنائر ، فى اعوجاج الباطن واستقامة الظاهر ، يتبعن من التطاول كل سبب ، ولا ينتهي لهن طلب .

وقال سليمان غزالة الطبيب : المرأة تيه وطيش وأشر ، وحرب وخصام بين البشر
وقال المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ يصف النساء بقلّة الثبات وركوب متن الالهواء ويحذر من الوثوق بوفائهن ومن الاكتراث لجفائهن :

إذا غدرت حسناء أوفت بعهدا ومن عهدها أن لا يدوم لها عهد
وإن عشقت كانت أشد صباة وإن فركت فارقب فمافركها قصد
وإن حقدت لم يبق فى قلبها رضا وإن رضيت لم يبق فى قلبها حقد
كذلك أخلاق النساء وربما يضل بها الهادى ويخفى بها الرشد

وقال شاعر :

إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين
فهن أصل البليات التى ظهرت بين البرية فى الدنيا وفى الدين

﴿ جوامع أعدادها بدم النساء اعتداد ﴾

عدد الاثنين : ومن جوامع الاعداد التى لها بدم النساء اعتداد ما جاء فى عدد الاثنين المرأة والطفل الصغير يحسبان الرجل على كل شىء قدير . وقول الشاعر :

شيثان يعجز ذو الرياضة عنهما رأى النساء وأمره الصبيان
أما النساء فميلن مع الهوى وأخوا الصبايحرى بغير عنان

وقول شاعر آخر وهو أبو الشيص المتوفى سنة ١٩٤ :

شيثان لا تصبو النساء اليهما حلى المشيب وحلة الانقراض

وقولهم فى عدد الثلاثة ، ثلاثة يدعون الله تعالى فلا يستجاب لهم ؛ رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه ، ورجل آتى سفيها ماله وقد قال الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) وهذا حديث رواه الحاكم عن أبى موسى الأشعرى ، وفى حديث آخر « ثلاثة لا يقبل

الله لهم صلاة ولا تصعد لهم الى السماء حسنة ، العبد الآبق حتى يرجع الى مواليه
فيضع يده في أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو» .
رواه ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي عن جابر بن عبد الله - وفي حديث آخر « ثلاثة
لا يدخلون الجنة أبدا ؛ الديوث والرجلة من النساء ومد من الخمر » - رواه الطبراني
عن عمار بن ياسر - ثلاثة لا تنتظر من ثلاثة ؛ الحرمة من الفاسق ، والنصيحة من العدو
والوفاء من المرأة . ثلاثة الاقدام عليها خطر ، شرب السم للتجربة ، وركوب البحر
للغنى ، وإفشاء السر الى النساء . ثلاثة لاراحة إلا بمفارقتها ، السن المتأكلة ، والخادم
الفاسق ، والمرأة السليطة . ثلاثة من خواص المرأة ، اذا طعنت في السن يعقم رحمها
ويذو أسنانها ، ويسوء خلقها . بخلاف الرجل فانه اذا طعن في السن يستجمع رأيه وتذهب
حدته ، ويحسن خلقه . كدر العيش في ثلاثة ؛ الجار السوء ، والولد العاق ، والمرأة السليطة .
وقولهم في عدد الاربعة « أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في غضب الله
المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، والذي يأتي البهيمة
والذي يأتي الرجال » وفي حديث آخر « أربعة لعنوا في السماء ، رجل خلقه الله ذكرا
فتأنث ، وامرأة خلقها الله أنثى فتذكرت تشبه بالرجال ؛ والذي يضل الأعمى ، ورجل
حضور (١) ولم يجعل الله حضورا إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام » - أجمعت العرب
والعجم على أربع كلمات فقالوا ، لا تحملن مالا تطيق ، ولا تعمل ما ليس لك
فيه فائدة ، ولا تثق بامرأة مهما تكن ، ولا تغتر بمال وإن كثر . أربع من الشقاء
« المرأة السوء والجار السوء والمركب السوء والمسكن الضيق » وهذا
حديث . وفي حديث آخر : « أربع يمتن القلب ، الذنب على الذنب ، وكثرة
مصاحبة النساء وحديثهن وملاحاة الأئحمق تقول له ويقول لك ، ومجالسة الموتى »
قيل يا رسول الله وما مجالسة الموتى ؟ قال « كل غنى مترف وسلطان جائر » أربعة
تسلب القرار ، المرأة السوء ، والولد العاق ، والعشير المخالف ، والعبد اللئيم ، أربعة لا يطاقون .

(١) الحضور الذي ليس له شهوة في النساء والمبالغ في حبس النفس عن .

الشهوات والملاهي والمراد هنا المعنى الأول

عبدملك، ونذل شعيع، وأمة ورثت، وقيحة تزوجت. اربعة من الشقاء، كثرة العيال
وقلة المال، وجار السوء، والزوجة الخائنة. من أراد طول البقاء فعليه بأربعة أشياء،
مباكرة الغداء - وتأخير العشاء - وتخفيف الرداء (الدين) والاقلال من غشيان
النساء. لاتعبأ بأربعة، زهد الخصى. وتوبة الجندی، ونسك النساء، وعبادة الصبيان
وقولهم في عدد الخمسة : خمسة من مصائب الدنيا، موت الأحاباب، وذهاب المال، وشماتة
الأعداء، وطول السقم، والمرأة الشريرة اه نقلا من كتاب لوامع الاسعاد في
جوامع الأعداد للمؤلف

(أقوال الافرنج في ذم النساء)

قال الفيلسوف شوبنهاور الالماني: يسألونني عن الأفعى اللينه الناعمة الملمس وهي
أمامهم في كل وقت بل في كل لحظة، إلا وهي المرأة! لتكن المرأة ملكا ظهرا أو شيطانا
رجيما فمالنا ولها أجارنا الله من شرها وأذاها. الحب وردة والمرأة شوكتها، أتركوا
للمرأة حريتها ولا تجعلوا عليها رقيقا، ثم قابلوني بعد سنة واخبروني عن النتيجة. إن
قولنا عن المرأة أنها سيدة لغة يجب القضا. عليها حتى لا يبقى الانساء غارقات في الشؤون
المنزلية فقط، يجب أن تبقى المرأة امرأة. وقال وولته سكوت الكاتب الانكليزي: جمال
المرء في عقله، وعقل المرأة في جمالها. وقال شكسبير الشاعر الانكليزي: لو سقيت
الأرض بدموع النساء لانتبت كل قطرة حية وقال أرسطو من حكماء اليونان
الاقدمين: اذا عجزت الطبيعة عن خلق الذكر خلفت أنثي. وقال نه زوب من قدماء الحكماء
أحسن ما خلقتة الطبيعة وأقبحه المرأة وقال سن غرهوار الفرنسي: وجود امرأة
صالحة أصعب من وجود غراب أبيض. وقال بيلقو: المرأة توصف ولا تعرف
وقال زاغاره بللا: المرأة قارورة عطر مختومة، اذا لم تفتحها لم تستفد منها، وانما
تبقى بيدك زينة، فاذا فتحتها طار ما فيها ولم يبق بيدك غير القارورة. ويقول الانكليز
المرأة في سن طفولتها بعوضة، وفي سن صباها ذبابة، وفي زمن تعلمها في المدارس
صرصور، وفي زمن شبابها جراده وفي أيام زواجها نحلة وبعد زواجها زنبور. وفي

هم مهاتعبان . ويقولون أيضا إنما لم يخلق الله للنساء لحي ولا شوارب ليعلم من يراهن
أنهن ناقصات . ويقولون أيضا إنما يرغب الرجال بالنساء الجميلات ليقال إن فيهن
نوعا من الصفات الحسنة ولو صورة لانهن خاليات من الحسن بالمرّة . والفرنسيون
إذا سمعوا بحادثة جنائية ولم يعلموا مسببها قالوا ابحث تجدها بسبب المرأة لان تسعين
في المئة من الوقائع الجنائية التي تحصل في العالم إنما تحصل بسبب النساء فهن أصل
الشر ومنبع الفساد في العباد والبلاد

باب

- ١٠ -

﴿ في ذم المرأة من حيث أنها زوجة حمقاء جاهلة

وربة بيت بذينة خرقاء عاطلة ﴾

سعادة الأسرة وشقاؤها متوقفة على المرأة ، فالعاقلة ترقى بزوجها وأولادها الى
أوج السعادة والراحة والهناء ، والحمقاء تهوي بزوجها وأولادها الى مكان سحق
من النحوس والتعب والشقاء ، وكثيرا ما يكون خراب البيوت وهلاك النفوس
بسبب النساء ولعظم ضررهن كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه « اللهم إني أعوذ
بك من امرأة تشينني قبل المشيب » وفي حديث آخر « ثلاث من الفواقير ، إمام
إن أحسنتم لم يشكر ، وإن أسأت لم يغفر ، وجار إن رأى خيرا دفنه ، وإن رأى
شرا أشاعه ، وامرأة إن حضرت آذتك ، وإن غبت عنها خانتك » - رواه الطبراني
عن فضالة بن عبيد - وفي حديث آخر « ثلاثة يدعون الله عز وجل فلا يستجاب
لهم ؛ رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل مال
فلم يشهد عليه ، ورجل آتى سفيها ماله وقد قال الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء
أموالكم) - رواه الحاكم عن أبي موسى الأشعري - وفي حديث آخر « أربع من
الشقاء ، المرأة السوء ، والجار السوء ، والمسكن السوء ، والمركب السوء »

باب

- ١١ -

﴿ في بيان ما تدل عليه مادة النساء ﴾

من الأمور المطابقة للواقع في الغالب أن لكل مسمى من اسمه نصيباً ؛ وذلك أن واضع الاسماء في الأصل قارن ووافق بين الاسم ومسماه حين وضعه ومشئت عليه اللغة ، ومن ذلك كلمة النساء فانها مأخوذة من النساء وهو الزجر والدفع والسوق والتأخير ، تقول : نسأت البعير أى زجرته ، ونسأته عن الحوض دفعته ، ونسأته سقته ، ونسأت الشيء الى وقت آخر أخرته ، ونسئت المرأة تأخر حيضها عن وقته ، والنساء بفتح النون الشراب المزيل للعقل ، واللبن الرقيق الكثير بالماء ، وخطط اللبن - والنساء بضم النون التأخير أيضاً كالنسيئة ، والنساء بفتح النون والمد التأخير في العمر ، ومنه قول علماء الطب : من سره النساء فليخفف الرداء (الدين) ولياكر الغداء ، وليقل غشيان النساء . والمنسأة بكسر الميم العصا ، والانتساء التباعد ، والنساء الابعاد . ومقلوب نسأ أسن ، يقال أسن الماء اذا تغير طعمه أو ريحه ، وأسن الرجل اذا دخل بئراً فاصابته منها ريح منتنة . وكل هذه المعاني موجودة في النساء وبينها وبينهن تلازم .

مثال الدفع قوله ﷺ للنساء اللاتي رأهن يتبعن جنازة « ارجعن مأزورات غير مأجورات » فدفعهن عن اتباع الجنائز .

ومثال السوق قوله تعالى : (الرجال قوامون على النساء) أى مدبرون أمورها ، وسائقون لما فيه الخير لهن ، اذ المرأة لا كفاءة فيها لادارة أمورها بذاتها ، فلا بد لها من قائم عليها وسائق يسوقها لنحو ما فيه صلاحها ، فانها لو تركت ونفسها لكانت تسرح وتمرح من غير تبصر .

ومثال التأخير قول عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما : أخروهن (أى النساء) من حيث أخرن الله . أى فان الله أخرن عن الرجال في الميراث وفي الصلاة وفي الجنائز وفي كثير من الأحكام .

ومثال الزجر كل ما جاء في القرآن والحديث من النهي لهن قولاً وعملاً ،
ومثال النساء بمعنى الشراب المزيل للعقل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم «مارأيت
من ناقصات عقل أذهب للب الرجل منكن »

ومثال النساء بمعنى اللبن الرقيق الكثير الماء قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
« المرأة خلقت من ضعف وعورة » الحديث . بجامع قلة الجدوى في كل منهما
ومثال النساء بمعنى خاط اللبن قوله ﷺ « حاملات والداث مرضعات رحيمات
بأولادهن لولا مايتين الى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة » فقد أفاد هذا الحديث
أن حملهن وولادتهن وإرضاعهن لأولادهن ورحمتهم لهم لم يفدهن ثواباً إذ قد
خلطن ذلك بأذيتهن لأزواجهن كاللبن لما خلط بالماء ذهبت فائدته .

ومثال المنسأة وهى العصا قوله ﷺ « لا ترفع عصاك عن أهلك » أى
لا تتركهن وشأنهن من غير مراقبة لهن ، ويجوز أن يكون المراد نفس العصا حيث
يجوز للرجل أن يضرب زوجته ضرباً غير مبرح لقوله ﷺ « علقوا السوط بحيث
يراه أهل البيت »

ومثال الانساء - وهو الابعاد - ما تقدم من قول ابن عباس : أخرهن .
ومثال الانتساء وهو الابتعاد قوله تعالى حكاية عن مريم أم عيسى عليهما السلام
(فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً)

ومثال الأسن وهو مقلوب النساء قوله ﷺ « أيما امرأة وضعت ثيابها في
غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل » (١) ومثال الأسن
بمعنى دخول الرجل البئر وإصابته من ريحها قوله ﷺ « لان يزحم رجل خنزيراً
متلطنخا بطين أو حمة خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له » اه
والنساء فى اللغة اسم جمع لا مفرد له من لفظه بل له لفظ مفرد من معناه وهو لفظ
المرأة، وفى هذا إشارة الى أن المرأة لا يعتد بها لذاتها وشخصها بل هى محتاجة للتجمع
والانضمام ، وإنما يكون ذلك بالزوج أو الولى القائم عليها المدبر لأمرها مهما تكن

(١) وأورده الترمذى بلفظ : هتكت الستر بينها وبين ربها . مصححه

كبيرة عاقلة مدبرة على أنه لكل قاعدة استثناء ، ولكل عموم خصوص ، والكمال لله وحده

باب

- ١٢ -

﴿ في كراهية العرب للنساء وما لذلك من سبب واقتضاء ﴾

كراهية العرب للاناث متأصلة في نفوسهم ، متوارثة عن أسلافهم . وإنما تتفاوت درجاتها بتفاوت درجات البداوة والحضارة ، فالمرأة عندهم أقل قيمة وأدنى درجة من الحيوان الرابض في أكنافهم . وقد كان من كراهيتهم للنساء أنهم يثدّون بناتهم - أى يدفنونهن أحياء - أو أنهم يدعوهن عرضة لكل إذلال وإهانة كما قال الله تعالى حكاية عنهم (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه بالتراب ألا ساء ما يحكمون) فقد عاب الله تعالى عليهم صنعهم هذا وتوعدهم عليه بالعذاب يوم القيامة كما قال تعالى (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) . ومن كراهيتهم لهن أحدثوا فيهن الامثال فقالوا : دفن البنات من المكرمات . قال بعض الشعراء :

جعلت فداك من النائبات ومتعت ما عشت في الطيبات
سروران ما لهما ثالث حياة البنين وموت البنات
وأصدق من ذين قول الحكيم دفن البنات من المكرمات

وقال عبد الله بن طاهر المتوفى سنة ٢٣٠ :

لكل أبي بنت إذا ما ترعرعت ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهر
فزوج يراعيها وبيت يكتنحها وقبر يوارىها وخيرهم القبر
وفى كتب الأدب أنه ماتت لرسول الله ﷺ ابنة فجار الصحابة كيف يعزونه ﷺ فبينما هم قاعدون مطرقون إذ دخل إعرابي فقال : يا رسول الله مؤنة كفيت ، وعورة سترت ، ونعم الموت المهر ، والصهر القبر . فتبسم رسول الله ﷺ وسرى عن الصحابة . قال الكمال أحسن الله تعالى اليه وقد عقدت هذا القول فقلت :

هل يعلم المرء من قد ماتت ابنته بأنها نعمة تستوجب الشكرا
مؤنة كفيت بل عورة سترت وجذ القبر صهرا والردى مهرا

ويقال تقديم الحرم من النعم . وفي الحديث « نعم الختن القبر » وكان الأستاذ الطبري رحمه الله تعالى يقول : ليس شيخا من لابنت له وإن كان ابن تسعين ، ولا شابا من له بنت وإن كان ابن عشرين أهـ وقيل لأعرابي ما ولدك ؟ فقال قليل خبيث ، قيل وكيف ذلك ؟ قال لأعدد أقل من الواحد ، ولا خبيث أخبث من بنت . وقيل طوبى لمن خطب إليه الدهر ، وصاهر القبر ، ووضع في ميزانه الأجر . وفي كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصصهاني المتوفى سنة ٣٥٦ في أخبار حسان بن ثابت الصحابي المتوفى سنة ٤٥ رضى الله تعالى عنه أنه لقي جرولا الشاعر المعروف بالخطيئة العبسي ، فسأله عن كنيته فقال أبو مليكة ، فقال له حسان : ما كنت قط أهون على منك حين كنت بامرأة أهـ ومن كراهية العرب للأنث استعمالهم كلمات مضافة للفظ بنت وبنات فيما لا يحمد أولا يستحسن في الغالب ، كقولهم للخمرة بنت الحان ، وللدهاية بنت الدهر ، وللمصائب بنات غير (كعمر) وللقمل والصبيان بنات الدروز ، وللحوادث بنات الدهر ، وللسهام بنات المنايا ، وللأحلام بنات الليل ، وللابل بنات الفلا ، وللسمك بنات دجلة ، وللوحش بنات القفر ، وللعذارى بنات الخدور ، وللرغفان بنات التناير ، وللأوتار بنات اللهو . وقد استعملت الشعراء البنت والبنات في أشعارها ومنه قول المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ :

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام

أراد بينت الدهر الحبي وقد أصابته ، وقال أيضا :

وما أظن بنات الدهر تتركني حتى تسد عليها طرقها همي

والسبب في كراهية العرب للنساء هو أن الحارث بن هبولة الغساني غزا قوم الحارث بن عمرو الكندي فسبي زوجته هذا فوطئها ، ثم لحقه زوجها الحارث بن عمرو وقتله واسترجع امرأته ، فسألها هل نال منك ؟ فقالت نعم ووالله ما شملت النساء على مثله ، فأوثقها بين فرسين ثم استحضرهما فجريا وهي مربوطة بينهما حتى تقطعت إربا وقال في ذلك :

كل أنثى وإن بدا لك منها آية الحب عهدا خيتعور

إن من غره النساء بود بعد هند لجاهل مغرور
الحيثعور كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب . فعمدت العرب
من ذلك الحين لو أد بناتها كى لا يكن مثلها حرصا على العرض وحفظا للنسب
للذين هما أنفس شيء وأشرفه عندهم . ولما كانوا أهل حرب وضرب يشنون الغارات ،
ولا يقعدون عن الأخذ بالثار ، أخذتهم الحمية أن يكون فى نسائهم وبناتهم من تسبي
أو توطأ فتختلط المياه ويفسد النسل والأخلاق والطباع ، عمدوا إلى وأد البنات
وإن كان فى ذلك نقص عددهم حفظا لسيانهم ، فان الغيرة على العرض أهم ماتعنى
به العرب لكنهم أفرطوا فيه إفراطا عيب عليهم ومن غريب ما علمتسه عن كراهية
النساء ما ذكره ابن حجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧ فى كتابه ثمرات الاوراق ، قال
الشهاب محمود (المتوفى سنة ٧٢٥) كان الشيخ تقي الدين السروجى (المتوفى سنة
٦٩٣) مع دينه وورعه وزهده يكره مكانا فيه امرأة ، كنا يوما فى دعوة فأحضر
صاحبها شواء وأمر بادخاله الى النساء ليجعلنه فى الصحون ، فلما أحضر تقرف منه
الشيخ تقي الدين وقال : كيف يؤكل وقد مسسنه بأيديهن ؟

باب

— ١٣ —

﴿ فى أن النساء سبب المفاسد والفتن ، فى كل مكان وزمن ﴾

وكان إثارة هذه المفاسد من لازمهن ، لا يتخلين عنه ولا ينفك عنهن . فلا
تكداس تسمع بفتنة أو بفساد إلا ومنهن أو بسببهن ، حتى إن الفرنسيين اذا سمعوا
بشيء من ذلك قالوا فى الحال : ابحت عن المرأة ؟ أى ابحت عنه تجده من المرأة .
وقد قص الله تعالى علينا فى القرآن الكريم كثيرا من القصص فى المفاسد والفتن
كان سببها النساء ، منها قصة خروج سيدنا آدم من الجنة ، وقصة هاروت وماروت ،
وقصة قتل قابيل أخاه هابيل ، وقصة فتنة بنى اسرائيل التى بسببها اشترت البقرة
بوزن مسكها (بفتح الميم جلدھا) ذهباً وذبحت وضرب الميت ببعضها فحى وقال
قتلى فلان ثم رجع ميتا كما كان ؛ وتبين أن قتله كان بسبب النساء . وقصة ابتلاء

سيدنا يوسف عليه السلام بزيخاء امرأة العزيز بمصر ، وقصة خيانة امرأتى نوح ولوط عليهما السلام ، وقصة فتنه داود وابنه سليمان عليهما السلام ، وغير ذلك مما لم يذكر في القرآن كثير . قال في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس المتوفى سنة ٩٣٠

من فتنه النسوان لم يعصى الفتى أمر الاله بطاعة الشيطان
واللص لولا هن كم يك بائعا للروح منه بأخس الأثمان
قاييل لولا هن لم يقتل أخا ه ولا رضى بالذل والخسران
وبهن صار لآدم وليوسف ما قد حكاه الله في القرآن
وكذا سليمان وداود بما ا تلبا به من غابر الأزمان
مجنون ليسلى جن في حب النسا كل الاذى يأتي من النسوان
كن ما استطعت عن النساء بمعزل إن النساء حبات الشيطان

(كثرة النساء وقلة الرجال)

في الحديث الشريف « ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب فلا يجد أحدا يأخذها ، ويرى الرجل الواحد قد تبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء » - رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى - وفي حديث آخر « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » - رواه الامام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أنس - وفي حديث آخر « لا تقوم الساعة حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد » وقول الرسول ﷺ حق وصدق ، فانه لا يتطق عن الهوى . فقد قال بعض رجال الاجتماع في إيطاليا إن فى أوروبا أربعمائة وخمسة وسبعين مليوناً من النفوس ، منها مائتان وخمسون مليوناً من النساء . فمن يزدن على الرجال بخمسة وعشرين مليوناً . وقوله هذا كان قبل وقوع الحرب العالمية التى وقعت سنة ١٩٣٣ هـ ١٩١٤ م .

وكننت اطالعت في بعض الجرائد بعد انقضاء الحرب المذكورة على إحصاء وضعه بعض المتتبعين لما أحدثته الحرب من المنافع والمضار ، فذكر أن في مقابلة كل رجل خمسا وثلاثين امرأة ، هذا والقيامة لم تقم بعد . ومن إحصائه هذا يظهر صدق ما جاء في الأحاديث الشريفة عن كثرة النساء وقلة الرجال ، وفصل ذلك المتتبع نسبة الرجال والنساء في بعض الممالك فقال : في المانيا مقابل كل ألف ذكر ألف وست وعشرون أنثى ، وفي روسيا ألف وأربعمائة أنثى ، وفي أمريكا ألف ومئة أنثى ، وفي فرنسا ألف واثنان وتسعون أنثى ؛ وفي تركيا ألف وخمسمائة أنثى .

باب

— ١٤ —

*(في ذكر ما في النساء ، من طبائع بعض الاشياء) *

في المرأة عمق البحر ، ومد الأمواج وجزرها ، ولمعان النجوم ، وحرارة الشمس ، وقطرات الندى ، وتقلب الرياح ، وارتجاف النبات ، ولون الأزهار وعطرها وخفة أوراقها ، وتمايل الأغصان ، ولطف النسيم ، ونشوة الراح ، وطعم العسل ، ووهج الذهب ، وقسوة الماس ، ولين الحية ونعومتها ، وتلون الحرباء ، ونفاز الغزال ، وعيون المهى ، وحياء الارنب ، وخيلاء الطاوس ، وشراسة الأسد ، ومكر الثعلب ، ولسعة العقرب ، ونغمة البومة ، وهذيان البغاة ، وكثرة كلامها . فهي - أي المرأة - تتكلم بلا انقطاع ؛ وتبكي بلا سبب ، وتشكو من أقل شيء ، وتتألم من لا شيء . ولا ينتهى لها طلب ، ولا ينقضى لها عجب ، ومع ذلك فحياة الرجل بدونها حياة وحدة وانفراد ، ومعها حياة تعب وشقاء ، فلا خير فيها ولا غنى عنها . قال ابن الرومي

ويلاه إن هي أقبلت أو أدبرت وقع السهام ونزعن أليم

*(معرفة عمر المرأة من أنواع الطعام الذي ترغب فيه) *

يقال إنه يمكن الاستدلال على عمر المرأة من أنواع الاطعمة التي تحبها ، فالميل إلى الحلويات تكون دون العشرين ، والتي بين عشرين وخمس وعشرين تميل إلى

الموالح والحوامض ، والتي بين خمس وعشرين وثلاثين تحب الثمار والفاكهة جبا
جسا ، والتي بين ثلاثين وخمس وثلاثين تزداد رغبتها في لحم الفراخ والسمك ،
والتي بين خمس وثلاثين وأربعين تطلب لحم البقر والضأن أكثر من غيرهما .
ولا حاجة للكلام على من هي في الأربعين فما فوق لان عمر المرأة لا يمكن أن يزيد
عندها على أربعين ولو كانت بنت ثمانين !!

باب

- ١٥ -

(في ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار)

كاد يكون تسلط النساء الأشرار على الرجال الأبرار أمرا طبيعيا لا مفر منه ،
ولا مندوحة عنه . حيث لم يخل منه نبي مرسل ؛ ولا ولي مبجل ، ولا حكيم
محترم ، ولا أمير نافذ الكلم ، ففي تاريخ الخلفاء للجلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ
أن جابر بن عبد الله جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما يشكو إليه
ما يلقي من النساء فقال عمر : إنا لنجد ذلك حتى إني لأريد الحاجة فتقول لي
ما تذهب إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن . فقال له عبد الله بن مسعود : أما بلغك
أن إبراهيم عليه السلام شكى إلى الله تعالى خلق زوجته سارة فأوحى إليه إنها خلقت
من ضلع فالبسها على ما كان فيها ما لم تر عليها وصمة في دينها . اه ولما أكثر أزواج
النبي ﷺ العنت والارهاق في طلباتهن التي طلبها أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ
قوله (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن
وأسرحن سراحا جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد
للحسنات منكن أجرا عظيما) فاخترن الله تعالى ورسوله وكففن عن طلباتهن خوف
أن يطلقن . وكان سقراط الحكيم المتوفى قبل ظهور سيدنا عيسى عليه السلام
بأربعائة سنة مبتلى على فضله ومعرفته وحكمته بتسلط زوجته زانتبي عليه
واضطهادها له ، وكرهيتها لعلمه وفلسفته ، حتى أنه كان إذا جاءه زائري يتحدث معه
يقول له اخفض صوتك لا تسمعك زانتبي فتشور علينا . وأكره ما تكرهه المرأة من

زوجها اشتغاله بالعلم والدين والدرس ، حتى لى بعض الأصحاب أنه هو مع زوجته من قبيل سقراط مع زوجته ، وأنه اذا أراد أن يقرأ كتابا أو يهيم ما يجب عليه القاؤه للمتعلمين عنده ، عمد الى حجرة وأغلق عليه الباب واستوثق منه بالرتاج وأخذ فى قراءته ، فتأتى زوجته وتقلق فكره بضرب الباب والصياح والجلبة وهو لا يبالى بها حتى ينتهى من قراءته . وكم وكم من رجل دين وأدب وعلم يقاسى من تسلط زوجته عليه وبغيها وعدوانها وخش مقالها مالا تصبر عليه الجبال ، وهو يصبر على نكرها وضرها محتسبا ما أصابه من شرها عند الله تعالى العليم بخفايا الأمور وظواهرها ، ذلك الرب الحكيم العدل الذى لا يضيع لأحد مثقال ذرة من عمل عمله إن خيرا وإن شرا ، والذى يدعوه الى تحمل هذه الشدائد منها وصبره عليها خوفه على أولاده أن يتشتت شملهم ، ويضطرب أمرهم . لاسيما إن كانوا أطفالا صغارا ، والمحاكم الشرعية تنتصر فى أكثر الاوقات للنساء على الرجال فيحكمون عليه لها ولأولاده منها بأحكام جائرة لا طاقة له بها ، فيجد نفسه فى ويل وشر كيفما كان الحال بقاء ، أو افتراقا . فيؤثر البقاء منتظرا من ربه السميع المجيب ففرجه القريب إما باجتياحها أو إصلاح حالها ، هذا مع كونه يسالمها ويدارياها ويضاحكها ويظهر لها كل حب ليأمن على نفسه من شرها ، ولربما إذا شق عن قلبه رأى فيه كراهيته لها خفية كما تكرهه هى علنا . ومن الجماعة المبتهلين بسوء الأخلاق زوجاتهم من يدعو الادعية المؤثرة طالبا من الله خلاصه مما هو فيه ، على الوجه الذى يريده الله ويرتضيه ، ومنهم من ينظم القصائد ويقول الاشعار بذلك ليهون على نفسه العبء الذى يحمله ، ومنهم من يشكو زوجته للقريب والبعيد ، وهذا ليس فيه فائدة بل يدل على ضعف إرادة الشاكي . وماذا عسى أن يعمل له الغريب أو القريب إذا كان هو عاجزا عن اصلاح ما بينه وبين زوجته ؟ وهذا دعاء من رجل صالح مبتلى بامرأة سوء وجهه إلى الله تعالى يرجو من فضله موكرمه تحقيق إجابته :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من العبد الذليل ، إلى الرب الجليل ، رب إني مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين .
 اللهم إنك العالم بالسرائر ، المطلع على خفيات الضمائر ، الغني بعلمك ، عن إعلام
 خلقك . أشكو إليك ما ألاقه ، وأكابده وأقاسيه ، من زوجتي ، متعيتي ومن عجتي ،
 وليس لي طاقة على دفع ظلمها ، وتجرع كأس سمنها ، بضربها لي وشتمها . نخذلي بحقي
 منها ، وابعدها عني وابعدني عنها . فإليك لجأت مستعيذا بك من شرها ، مستجيرا
 بك من ضرها . وليس ضررها مقصورا علي ، بل يتناول كل من حوالي . ونحن
 في أيديها أسرى ، قلوبنا حسرى ، وأعيننا عبرى . وجميعنا في أمرنا حائرون ، على
 أننا على ابتلائنا بها صابرون . ننتظر فرجك القريب ، يا سميع يا بصير يا مجيب .
 وأنت ياربنا تعلم وترى ، وتسمع كل ما منها جرى ، وقد حاكناها إليك ، متوكلين
 في إنصافنا منها عليك ، متوسلين إليك بسيد البشر ، الذي دعا من شدة مآلقه على مضر .
 وهو من الأنبياء أولى الصبر والعزم ، وذوى العلم والفهم والحلم ، ولكن إذا
 تحملت الأجساد ما لا تطيق ، تكلمت الألسنة بما لا يليق . ومطلوبنا منك أحد
 أمرين ، وهما عليك أهون من كل هين ، إما إصلاحها ، أو اجتياحها ، وهما قدر فعنا
 ظلامتنا إلى ساحة عدلك ، واثقين بكشف ما نشكوه منها بمحض فضلك ، فاحكم
 بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين ، يا حسيب الظالمين يا ولي المظلومين .

وهذه أبيات لقائلها يشكو بها إلى الله تعالى زوجته وسوء أعمالها :

يارب نعماك عندي غير ناقصة وإن تراني أدعو في استزادتها
 وليس بي حادث أشكو تألمه بقدر مازوجتي تؤذى بعادتها
 غطى على كل ما أشكو أذى امرأتى وما به تتحننى من إساءتها
 ترى وتسمع ياربى فعائلها وما على توالى من بذائتها
 ظلما وبغيا وعدوانا وخطرة وكل ذلك منها بعض آفتها

لم يخل يوم وأنت الله مطلع من سوء ما فيه تأتي من شناعتها
ويستمر أذاها وهو متصل بكل سوء ونكر من فظاعتها
مصيبة نكبة كان الزواج بها يارب بت اتصالي من علاقتها
وارحم فقيرك مما قد ألم به فانه في بلاء من حماقتها
وقد صرفت جميع الوسع مجتهدا الى مداراتها بل في سياستها
فما عرفت لها ما تستقر به وهكذا حالتى تمحى بحالتها
وكل من لم يصدق ما أقول بها بمثلها يبتلى أو بعض ساعتها
وهذه قصيدة لقائلها يتبرم فيها من زوجته أيضا :

قد لزممت الصبر في كل الأمور أتقى شرك يا ذات الشرور
وتخلّيت عن الراحة في كل شيء خوف إيقار الصدور
أدخل الدار كأنى أخرس وأصم ليس عندى من شعور
عائدا بالله من شرك لا شر شيطان رجيم خيستور
وأغض الطرف عما قد أرى من فعال كلها لؤم وزور
يا (جميله) اسما بلا فعل وهل ينفع الأموات عمران القبور
إن فى قلبى جرحا داميا كلما ضمته أضحى يفور
فاذا ما تربى ضاحكا إنما أظهر بالقهر السرور
أنت لى ظلمة دون انتها وأنا المظلوم لكنى صبور
ومع الصبر فانى واثق بانتقام الله من كل كفور
فافعل بى كل أنواع الأذى واستطيل بسفاه وفجور
ربى الله شهيد حاضر وسميع عالم كل الأمور
سوف يحزبك جزا عادلا إن ربى فى جزاه لايجور
كل ذنب لك لاأغفره إنما أنت كما السكب العقور
كم تحملت وكم قاسيت من منكرات شرحها يحنى الظهور
كل يوم منك شر حادث من شظايا وقعه تغلى القدور

كل يوم منك خلف ناجم يحزن القلب ويطفى كل نور
 وفعال ليس تحكى رذلة ومقال منك بادي الفجور
 فاذكرى إن شئت أولا تذكرى من أمور وأمور وأمور
 فهو شيء ليس يحصى عده كاتب يكتب في هذى السطور
 هذه حالى وهذى زوجتي عندها الصبر ولا شك يخور
 يالها من زوجة سليطة كيدها يفتك بالليث الهصور
 سمها سم الأفاعى دونه حينما ينفت فوها أو تشور
 لاحلال لاحرام عندها غير ما تهوى وما منه نفور
 تكره الدين وما يتبعه من صلاة وصيام وطهور
 كتب العلم لديها آفة إن رأتها فهى تغلى وتفور
 آه واصبرى على ما أصطلى من شرور فترات لا تغور
 شيتني قبل شبي فانا مع شباني صرت كالشيخ الوقور

وقال رجل مرضت امرأته فماتت :

وأهناً أوقاتي التى قد قضيتها بعشرة زوجى تلك من لا أسمىها
 ليالى كانت فى الفراش طريحة تكابد آلاما لقد أثرت فيها
 فقد خف عنى حمل متعب شرها وأحسست من روحى بروح يحييها
 ومع حالها هذى فما كنت سالما من اللسع والتعريض بالشم من فيها
 وكم كنت أدعو الله عالم حالي لها باجتياح أو صلاح يهديها
 وطالت على الاستجابة مدة ظننت بها أن ليس ربي يلبسها
 ولكن عدل الله لا بد واقع فقد هدها من بعض بطش يقويها
 وأمراضها فورا ليالى أربعا وألحقها بالميتين من اهليها
 عفا الله عنها قد أقلت عثارها وساحتها فالموت يا صاح يكفيها

وقال على إثر موتها

الله فرج كربى من بعد ما اشتد خطي

وضقت ذرعا بنفسى ضيقا كأصعب صعب
وكدت أياأس مما أرجوه من عون ربى
إذ قد دعوت ولكن ما كان ربى يلبى
لحكمة منه كانت فالحها قط منبى
واليوم حمدا لربى على المحامد يربى
ماتت فلانة زوجي ومات ضيقي وكربى
ومات غمى وهمى ومات قحطى وجدى
ومات أسرى وقهرى ومات شتى وضربى
ومات طعنى بقومى وسب أهلى وصحى
ومات كل بلاء لقيت منها وحرب
ساحتها عن قصور فى حال بعد وقرب
والله عنى وعنهما يعفو وذلك حسبي
فيا رياح سرورى على فؤادى هبى
ويا لقاح رخاى درى على وصبى
ويا سماح إلهى أرجوك عفوا لذنبى
آمنت أن إلهى يحيب بالمستحب
لكن يؤخر حيناً من غير مثبت سلب

وقال أحمد رفعت بك عضو مجلس المحاسبات العثمانية فى كتابه (لغات تاريخية وجغرافية) فى مادة ماتم ما ترجمته :

مات أحد الأعيان فى مصر فطلبوا فلانا وهو نداب مشهور فى الماتم وبذلوا له عطاء
كثيراً (ثلاثة آلاف قرش) ليحضر ماتمه ويندبه فأبى أن يحجب طلبهم معتذرا
بأن امرأته توفيت وهو فرح بموتها لما قاساه منها فى حياتها ، فلا يمكنه أن يتصنع
ويظهر الحزن والكآبة فى يوم هو فيه فرح مخافة أن يذهب تصنعه بشهرته .
وبعض المبطلين يتلقى القضا بالرضا ، ويصبر على ما أصابه ، ويتكل على الله عالم

السر والنجوى ، آخذاً قول سيدنا الحسن السبط ابن سيدنا على رضى الله تعالى عنهما : من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختارها الله تعالى له * قدوة حسنة يقتدى بها وإذا رفع يده لمولاه يقول . يارب عليك بحالى يغنى عن سؤالى . على أن لهذه الورطة التى تورط بها مخلصا وهو الطلاق ، عملا بما رواه الحاكم وصححه عن أنى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « ثلاثة يدعون الله عز وجل فلا يستجاب لهم ؛ رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه ، ورجل آتى سفيها ماله » . وقد قال الله تعالى : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) لكنه يتوقف عن بت الأمر بالطلاق لا لمور يجد أن تحمله لشرها أهون وأخف عليه من تطليقها ، لا حبا فيها وكيف يجب من تؤذيه ؟ بل لأسباب آخر وربما يعمل بحديث « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون » وفى حديث آخر « لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها إلا فعل ذلك به » - رواه الامام أحمد بن حنبل والبيهقى عن أم سلمة - وفى هذين الحديثين ترويح للنفس وتسلية للقلب ، وتأميل بنوال القصد . اللهم اجعلنا من الصابرين (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) .

باب

- ١٦ -

(فى عزة الكمال ، فى النساء دون الرجال)

الكمال فى النساء عزيز بضرب الحجاب عليهن ، ومنعهن من الاختلاط بالرجال ، وأمرهن بلزوم البيوت . حتى إن طلب العلم الذى هو فرض لسن مكلفات به مباشرة بل على أوليائهن أن يعلموهن اللازم لهن ، ولذلك جاء فى الحديث الشريف « طلب العلم فريضة على كل مسلم » - رواه

ابن عدى والبيهقي عن أنس والطبراني والخطيب عن الحسين بن علي والطبراني أيضا عن ابن عباس وابن مسعود وتمام عن ابن عمر والخطيب عن علي والطبراني والبيهقي عن أبي سعيد — ولم يذكر في الحديث لفظ ومسلمة ، ولكن من لا معرفة له بالحديث يلحقها به فيقول طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وحققة الحديث ما ذكرت . ومن نبغ من النساء فأنما نبوغها عائد لأحد أمرين ، إما أن تكون من بيت نبوة أو ولاية أو علم ، فيكون نبوغها موهبة من الله تعالى وهبها إياها ببركة من هي منه ، أو أن تكون من بيت وجاهة أو إمارة أو حكم فيقوم وليها بما يلزم من تعليمها ، وغير ذلك لا يتيسر إلا قليلا . ونعني بهذا النبوغ المحمود في الدين والشرع ، وذلك كتعلم أحكام الدين أصولا وفروعا مبادئ ومقاصد ، لا النبوغ المذموم في الشرع والمردود عند العقلاء من أهل العلم ، فذلك ليس من الدين في شيء ولا يعبأ الله تعالى به ولا بمتعلماته ومتعلميه ، ومن علمهم . وذلك بأن تعلم الرقص والعزف على آلات اللهو ، وكل ما ابتدعه الأفرنج وعدوه من لازم الحضارة والمدنية . ومن ذلك إجادة فن التمثيل في المسارح التي يجتمع إليها الدهماء فيقطعون وقتا من عمرهم بالنظر اليه تلهيا وتسليا تحت ستار التورية وتهذيب الأخلاق ، اللهم إنا معشر المسلمين حقا برءاء من هذه التورية وذلك التهذيب لا تكتبه يارب علينا ولا على ذريتنا من بنين وبنات . والدليل على عزة الكمال في النساء دون الرجال قول الرسول ﷺ « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم » رواه الطبراني عن أبي أمامة (الغراب الأعصم الذي إحدى رجليه بيضاء) وقوله ﷺ « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد » — رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه واحمد بن حنبل عن أبي موسى الأشعري — وفي حكمة داود عليه السلام : وجدت من الرجال واحدا في العدد ، ولم أجدواحدة في النساء جميعا اهـ

وهذه تراجم قسم من النساء الفاضلات ذكرتها للتقدي بهن نساء أهل زماننا فيما

يمكن الاقتداء به رغبة بحصولهن على السعادة إنشاء الله تعالى .

۱ - آسية بنت مزاحم

هي امرأة فرعون وعمة سيدنا موسى عليه السلام كانت من خيار النساء المعدودات بشهادة رسول الله ﷺ حيث قال « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد » - رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه واحمد بن حنبل عن أبي موسى الأشعري - كانت زوجة فرعون ملك مصر . ولكن لم يكن يقدر أن يصل اليها بمنع إلهي حيث كانت مؤمنة وهو كافر ، وكان مع ذلك محبا مطيعا لها لا يصدر إلا عن رأيها ، ولها اليد الطولى في إنجاء ابن أخيها سيدنا موسى من شر فرعون مذكاب طفلا حيث كان يقتل الذكور من المواليد ويستحي أي يستبقي الاناث ، وذلك بسبب ما أخبره به بعض الكهنة أنه سيكون هلاكه وزوال ملكه على يد ولد ذكريولد من بني إسرائيل ، وقد كان ولم يغن عنه حذره شيئا . وعرف فرعون بعد أنها كانت مؤمنة محامية عن سيدنا موسى عليه السلام فأقسم بألوهيته لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله ، فأبت أن تكفر فأمر بها فدت بين أربعة أوتاد وما زالت تعذب حتى ماتت ولسانها لا يفتقر عن ذكر الله ، وقد أخبر الله تعالى عنها في القرآن أنها قالت (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) وقد جعل الله حالها مثالا لحال المؤمنين في أن وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت في الدنيا تحت أعدى أعداء الله عز وجل ، وهي في الجنة في أعلى غرفها رحمها الله تعالى .

۲ - مريم ابنة عمران

أم سيدنا عيسى عليه السلام آتاها الله من كرامة الدنيا والآخرة ، واصطفها على نساء العالمين في زمانها ، وأثنى الله تعالى عليها بأنها أحصنت فرجها ، وأنها صدقت بكلمات ربها ، وهي صحفها المنزلة على إدريس عليه السلام وغيره . وكتبه وهي التوراة والانجيل والزبور ، وأنها كانت من القاتنين ، م - ۹ - امرأة

أى المواظبين على طاعة الله تعالى وعبادته - وهى من نسل هارون أخى موسى عليهما السلام . ولم تكن نبيه لانه لانبى من الاثناث ، وإنما هى سيدة نساء زمنها ومن أكملهن . روى الاثنا عشر فى مسنده « سيدة نساء أهل الجنة مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية ثم عائشة »

٣ - أمة بنت وهب

أم رسول الله ﷺ أعطاه الله تعالى من الجمال والكمال ما كانت تدعى معه حكيمة قومها ، ومن الفصاحة والبلاغة ما لم يسبقها اليه أحد من نساء العرب تزوج بها سيدنا عبد الله رضى الله تعالى عنه والد النبي ﷺ ومات عنها وهى حامل برسول الله ﷺ فلم تتزوج بغيره بعده ، بل حافظت على وفائها له بالرغم من قصر المدة التى أقامتها معه ، وكانت تخرج من مكة الى المدينة حيث كان مدفونا بالابواء - على مقربة من المدينة - فتزور قبره الى أن توفيت ولرسول الله ﷺ من العمر ست سنوات رحما الله تعالى ورضى عنها . وهى وزوجها ماتا على الايمان . ويروى أن الله تعالى أحياهما إكراما لنبى ﷺ فآمنا به ثم ماتا ، ورحم الله تعالى وطنينا الشيخ حسين الجسر المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ . حيث يقول فى نظمته لقصة المولد النبوى الشريف :

أظآره أسلمن من بركاتہ وحوى فخارا محتسى فضلاته
كيف الاصول الحاملات لذاته أفلا ينلن بجاهه التكريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

٤ - خديجة بنت خويلد

زوج النبي ﷺ وأولى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين ، وأول من أسلم من الرجال والنساء تزوج بها النبي ﷺ بعد زوجين سبق أن تزوجا بها ومات عنها ، ولها من العمر لما تزوج بهار رسول الله ﷺ أربعون سنة وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فهى أكبر منه سنا بخمس عشرة سنة . وعاشت معه خمسا وعشرين سنة منها

خمس عشرة سنة قبل البعثة ، وعشرا بعدها . وتوفيت قبل الهجرة ثلاث سنوات ، فقضى رسول الله ﷺ معها زهرة شبابه من غير أن يتزوج عليها ، ولا أحب أحدا مثل حبه لها ، ورزق منها كل أولاده القاسم والطيب والطاهر وعبد الله ورقية وأم كلثوم وفاطمة وزينب ، إلا إبراهيم فإنه من جاريته مارية القبطية التي أهداها له النبي ﷺ المقوقس عظيم القبط في مصر . وكانت خديجة رضى الله تعالى عنها أعقل العقائل وفضلی الفواضل ، وكانت تنعت في زمن الجاهلية بالطاهرة ، وكانت تسلي النبي ﷺ وتهون عليه ما يلاقه ويقاسيه من قومه في نشر دعوته لدين الاسلام ، وتبلغ رسالته الى قومه وغيرهم ، وكانت تعده بنجاح سعيه واستجابة دعوته ، فكان يرتاح لقولها ، ويخف عنده ما كان يثقل عليه من أذى قومه وشدتهم . الى أن توفاه الله تعالى قبل الهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ثلاث سنين ، فاشتد عليه موتها وحزن عليها كثيرا ، ولكن حفظ لها أجمل الذكرى بعد موتها فكان يذكرها بالخير كثيرا ويكرم من كانت تعرفها لأجلها ، ويتصدق عن روحها ويصل بالبر معارفها وكان اذا أتى بهدية قال « اذهبوا بها الى فلانة فانها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحب خديجة » ودخلت عليه امرأة عجوز وهو في بيت عائشة فبسط لها رداءه وأجلسها عليه وهش لها وأحسن السؤال عنها ، فلما انصرفت سأله عائشة عنها فقال « إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الايمان » وما ذكرت خديجة إلا ذكرها أطيب الذكر حتى كانت عائشة تقول : ما غرت من امرأة كما غرت من خديجة لما كنت أسمعه يذكرها وما رأيتها قط . (فقد تزوج النبي ﷺ بعائشة بعد وفاة خديجة ثلاث سنوات ولها من العمر وقتما تزوج بها تسع سنوات) وربما ذبح الشاة ثم قطعها أعضاء ثم بعثها في صدائق خديجة ، وربما قلت له لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ؟ فيقول « إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد ، وإني لأحب حبيبها » وأغضبت (عائشة) يوما فقلت : خديجة خديجة ؟ فقال « إني رزقت حبها ، وقالت له وهل كانت إلا عجوزا أبدلك الله خيرا منها - تعنى نفسها - وكانت تدل بمجدائته سنها وجمالها

وكونه صلی اللہ علیہ وسلم لم يتزوج بکرا غیرها ، وبكونها بنت صدیقه الا کبر . قالت عائشة : فغضب وقال « لا والله ما أبدلني الله خيرا منها ، آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بما لها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء » قالت عائشة فقلت في نفسي لا أذكرها بعدها بسيرة - رواه ابن عبد البر والدولابي - رضي الله تعالى عنها وعن عائشة وجميع أزواج نبينا الطاهرات أمهات المؤمنين ، والغيرة في النساء أمر طبيعي حتى أنهن ليغرن من الأموات أيضا . قال السكالم أحسن الله تعالى اليه : وفي الرجال من يقتدى برسول الله صلی اللہ علیہ وسلم في ذكر زوجته المتوفاة بالخير والترحم عليها والدعاء لها بالعفو والمغفرة ، وبالتصدق عن روحها بما يتيسر له عملا بقوله صلی اللہ علیہ وسلم « إن حسن العهد من الإيمان » - رواه الحاكم عن عائشة - وإني منهم والله الحمد ونعم هذا الاقتداء لاهل المروءة والوفاء . قال الله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة لمن كان يرجى الله واليوم الآخر و ذكر الله كثيرا) فاني لأنسى زوجتي قدسية وحميدة من دعوات صالحات لها وصدقات عنهما

هـ - عائشة الصديقة

بنت سيدنا أبي بكر الصديق خير من طلعت عليه الشمس بعد الانبياء والمرسلين ، رفيق رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم في الغار ، ومعينه في الأسفار ، ووزيره في عهده ، وخليفته بحق من بعده . وزوجة الرسول الاعظم سيدنا محمد صلی اللہ علیہ وسلم وأحب أزواجه اليه بعد خديجة ، وأكثرهن عليه إدلالا . تزوج بها وهي بنت تسع سنوات وهو صلی اللہ علیہ وسلم ابن أربع وخمسين سنة ، وأقام معها تسع سنوات ، ومات عنها وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وهي بنت ثمانى عشرة سنة . وعاشت بعده خمسين سنة وتوفيت ولها من العمر ثمان وستون سنة ، ولم يرزق منها ولا من غيرها من أزواجه الاحدى عشرة زوجة ولدا إلا من خديجة . وقد كانت جميلة الصورة ، حسنة الخلق ، حلوة المنطق ، فصيحة اللسان ، جيدة القريحة ، رزينة الرأي ، رصينة العقل . وعت من أحاديث النبي صلی اللہ علیہ وسلم ما لم تعه امرأة من نسائه ، وروت عنه ما لم يرو مثله أحد من الصحابة الا أبا هريرة وعبد الله بن عمر . وكانت أفقه الناس وأعلمهم

حتى بالطب والشعر ، قال أبو بردة عن أبيه أبي موسى الأشعري : ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها علما فيه : وقال ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ : لو جمع علم عائشة الى علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل وأكثر . وقال أبو الضحى عن مسروق : كان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض اهـ . وكانت كاملة الفضل تامة الأدب ، حازمة ثابتة شجاعة مقدمة ، حضرت وقعة الجمل بنفسها فكانت تحض الرجال على الحرب وتشجعهم ، وكان الناس يسألونها عما يحتاجون اليه فتفتيهم وهي من وراء حجاب . مع أنها إحدى أمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ اللاتي حرم الله على الناس من بعده أن يتزوجوا بهن أبداً . فأين نساء زماننا منها في بعض ما اشتملت عليه من الأوصاف التي ذكرناها ؟ وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة منها حديث « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » ووجه التشبيه أن الثريد جامع بين الغداء واللذة والقوة وسهولة تناول وقلة المؤنة في المضغ ، وسرعة المرور في المرى ، فضرب به مثلاً لفضلها . توفيت سنة ٥٨ في أيام خلافة معاوية قالت رضى تعالى الله عنها : كنت اذا هويت شيئا تابعني عليه رسول الله ﷺ وكنت اذا شربت من الاناء أخذه فوضعفه على موضع فمى وشرب ، كان يتكىء في حجرى ويقرأ القرآن ، وكان اذا غضبت عرك بأنفى وقال « يا عويش قولي اللهم رب محمد اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن » قال علماء الحديث ومع ذلك لم يكن رسول الله ﷺ يفضلها على أقل أزواجه مزايا في الخلق والخلق ، والذكاء والنسب بشيء من النفقة أو المبيت أو حسن العشرة . بل كان يقسم بينهن بالسوية رعاية للعدل ، ومن أولى من رسول الله ﷺ بالعدل في المعاملة .

٦ - فاطمة الزهراء

بنت رسول الله ﷺ وأحب بناته اليه وأكرمهن وأعزهن عليه ، وزوجة سيدنا علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، وأم السيدين الكريمين سيدنا أبي محمد الحسن وسيدنا أبي عبد الله الحسين ، وغيرهما من النسل الطاهر الشريف .

كانت رضى الله تعالى عنها لينة العريكة ، دمة الاخلاق ، حسنة الادارة لبيتها ، مطيعة لزوجها ، غير مترفعة عليه ، برة بأولادها ، محسنة لهم ذات ورع متناه وكال زائد ، وعقل باهر ، كيف لا وهى بضعة - أى قطعة - من رسول الله ﷺ وأما خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنها . وهى أفضل نساء العالمين لا يعدلها فى الفضل أحد منهم ، وإحدى الكاملات اللاتي ورد الحديث الشريف بذكرهن وهو « كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد » وقد تقدم ذكر هذا الحديث عند ذكر هؤلاء . ولدت قبل الهجرة بثمانى عشرة سنة ، وتوفيت بعدها باحدى عشر سنة بعد والدها النبي الأعظم ﷺ بستة أشهر كما أخبر شاهدها وهو فى حالة الاحتضار بأنها أول أهله لحوقا به ، ولها من العمر تسع وعشرون سنة . ولها من النسل الطاهر الحسن والحسين وزينب وغيرهم ، وكلهم من سيدنا على رضى الله تعالى عنه ولم يتزوج عليها فى حياتها أصلا وأما بعد وفاتها فتزوج بكثير .

٧ — السيدة زينب

أما فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وأبوها على بن أبى طالب ، وأخوها الحسن والحسين ، وزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار بن أبى طالب ، وأولادها منه عون وعباس ومحمد وأم كلثوم رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، كانت السيدة زينب على جانب عظيم من المهابة والوقار ، والحرمة والاعتبار ، نقية نقية ذات كرامات كثيرة شهيرة ، وأعمال خيرية ماثورة ، ولها المواقف العظيمة المألوفة والخطب البليغة المؤثرة يوم قتل أخوها السيد الحسين بالطف من كربلاء فى بلاد العراق . توفيت سنة خمس وستين من الهجرة . والمرجح عند جمهور كبار المؤرخين أنها مدفونة فى البقيع فى المدينة المنورة حيث أمها فاطمة وأخوها الحسن ورأس أخيها الحسين مدفونون ثمة ، وأما مقام السيدة زينب المشهور اليوم بالقاهرة فى مصر الذى يزار ويتبرك به ويدعى عنده فتحصل الاجابة لمن زاره ودعا عنده فهو مقام السيدة زينب بنت الامام عبد الله المحض بن الامام الحسن المثنى بن

«الامام الحسن السبط . أخى السيدة زينب المشار إليها ، واتحاد الاسمين أوجب الظن بأنه مقام السيدة زينب بنت الامام على والكل من أهل البيت (١)

٨ - السيدة مكينة

بنت سيدنا الامام الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم ، تزوج بها مصعب بن الزبير فقتل ، فتزوج بها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم فمات عنها ، فتزوج بها الأصبع بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول بها ، فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل لحزازات بين الأمويين وآل النبي ﷺ .

كانت سيدة نساء عصرها وأجملهن وأطرفهن وأحسنهن خلقاً وخلقاً ، وأعلاهن مقاماً ، وأوفرهن ذكاءً وعقلاً وأدبا وعفة . وكانت تجالس الأجلة من قريش ، وتجمع اليها الشعراء وتبحث في شعرهم وتنتقد ما تراه محلاً للنقد لما كانت عليه من الحذق ، ولها في هذا الباب نوادرو وحكايات مستظرفة جدا ، وكانت تزين المجالس بعلمها وأدبها ، وبالأسئلة التي تطرحها على الشعراء والأدباء ، وكان الناس يفدون عليها لمحاضرتها توفيت سنة ١١٧

(تنبيه لقمويه)

قامت امرأة شابة جميلة تتخذ التمثيل - أى حكاية الوقائع التاريخية السالفة في المسارح العامة للدهماء - أى جماعة الناس - حرفة لها تحت ستار نشر الفضيلة والدعوة للأخلاق الجميلة ، وهى على أظهر ما يكون من التبرج والتزين والاكتساء الذي هو أشبه بالعرى ، مع التكسر في الأوضاع والثنى في الأعطاف ، والتمايل في الأطراف ، بما القصد به جلب الناس الى حبها وفنتهم بها . قامت هذه المخلوقة

(١) من أراذيل زيادة الاطلاع وتحقيق هذا المبحث فليراجع كتاب السيدة زينب الذى قام بطبعه الاستاذ حسن محمد قاسم أخيراً بمطبعتنا . فقد أثبت فيه مؤلفه أن السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب هي المدفونة بمصر بالمقام الزينبي الشهير . اهـ مصححه

برحلة تجوب عباب البحار ، وتقطع ياب القفار إلى شاسع الأقطار ،
ومعها من هم على شاكلتها من نساء ورجال ، فاعترض على عملها هذا الذى رآه منها
ومن زمرتها شائنا فى الاسلام معترض بحجة أنها مسلمة وأن الاسلام لا يبيح لها
السفر بلا زوج أو محرم فضلا عن هذا التهلك التى هى متلبسة به ، وكان قد علمت
أو علمت من قبل فقالت ترد عليه : إن السيدة سكينة كانت تجالس الرجال وتحادثهم
وتحاضرهم وهى ما خرجت عن كونها مثلها فى عملها ، فلم نسمع من اعترض
على السيدة سكينة ، واحتدت وتغيرت أوضاعها لهذا الاعتراض الذى دهمها ..
فتدخل الدهماء من الحاضرين للاتصار لها من ذلك الرجل المعترض والعوام
كالأنعام بل هم أضل حرصا على أن لا يفوتهم شيء من رؤية حركاتها وسكناتها
المهذبة للأخلاق والتنمية لروح الفضيلة فى تلك الأجسام التى صرفت وقتها ونقدها
للحصول عليه وغلبت صولة الباطل على قول الحق وعاد المسرح إلى عمله بما فيه ..
ونحن نقول : إن بين السيدة سكينة الشريفة العفيفة التقية وبين هذه الممثلة المترجلة الخ
بونا شاسعا كما بين السماء والأرض ، فتلك كانت تجالس الاجلة من رجال قريش
متسترة متحجبة كما تأمر به شريعة جدها الرسول الأعظم ﷺ وتحاضرهم
وتداكرهم بمسائل الدين من حديث وفقه وتفسير وأدب وشعر فى وقت دون
وقت ، لا إنها تتخذ التمثيل أى حكاية الوقائع الماضية حرفة لها أمام أخلاط الناس
تبتز بها أموالهم وتسترق بها أجسامهم وتفتنهم بما تبديه من خلعة ورقاعة مما يعبر
عنه بجودة الصناعة ، فيبينها وبينها كما بين الظلمات والنور ، والظل والحرور ، ومن هم
على ظهر الأرض وفى بطون القبور .

٩ — السيدة فاطمة النبوية

هى أخت السيدة سكينة السالفة الذكر وزوجها ابن عمها الحسن المثنى بن الحسين السبط
ابن الامام على وابنها الامام عبد الله المحض دفين مصر القاهرة بالمسجد المعروف
باسم مسجد الشيخ عبد الله رضى الله تعالى عنهم . كانت كريمة الأخلاق طاهرة
الأعراق ، تكافى على الجميل القليل بالكثير الجزيل . ومن كلامها : والله ما نال أحد

من أهل السفة بسفهم شيئا ، ولا أدركوا من لذاتهم شيئا ، إلا قد ناله أهل المروءات .
فاستروا (بصيغة الأمر) بحمىل ستر الله تعالى . توفيت سنة عشر ومائة رضى الله
تعالى عنها .

١٠ - السيدة نفيسة

هى بنت سيدنا الحسن بن زيد بن على زين العابدين بن سيدنا الحسين السبط
ابن سيدنا على وزوجة السيد إسحاق بن سيدنا جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على
زين العابدين بن سيدنا الحسين السبط رضى الله تعالى عنهم أجمعين . كانت
صالحة زاهدة تقية نقية صلاحا وزهدا وتقى ونقا . لا مزيد عليه ، تقوم الليل وتصوم
النهار وتكثر البكاء من خشية الله حتى قيل لها ترفقى بنفسك لكثرة ما رأوا منها .
فقالت : كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبة لا يقطعها إلا الفائزون . حجت ثلاثين
حجة وكانت تحفظ القرآن وتفسيره ولا تأكل إلا أكلة واحدة فى كل
ثلاث ليال ، سمع الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الحديث الشريف عليها من
وراء حجاب وطلب منها أن تدعوله ومات قبلها بأربع سنوات ، فأدخلت
جنازته عليها فصلت عليها فى دارها . وكانت ذات مال فكانت تحسن للامام
الشافعى ، وكان يصلى بها فى رمضان . ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت
فى المدينة المنورة على العبادة والزهد ، وتوفيت فى شهر رمضان سنة ثمان ومايتين .
ودفنت بمنزلها المعروف بخط درب السباع فى مصر ولها من العمر ثلاث وستون
سنة . وقد حفرت قبرها فيه وقرأت فيه مائة وسبعين ختمة ، وتوفيت وهى صائمة .
فأرموها الفطر فقالت : و اعجابه أنا من منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه
صائمة أفطر الآن ؟ ! هذا لا يكون . وخرجت من الدنيا وقد انتهت فى قراءتها
إلى قوله تعالى (قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله كتب على
نفسه الرحمة) .

١١ — السيدة عائشة النبوية

هي بنت جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن الامام علي وأخت الامام موسى الكاظم رضى الله تعالى عنهم أجمعين . كانت من العابدات الزاهدات المجاهدات للنفس في سبيل الله تعالى ، ماتت سنة خمس وأربعين ومائة ودفنت في المسجد المعروف باسمها في مصر على طريق الذهاب إلى قرافة الامام الشافعي ، وأهل مصر يعتقدون بها وبجميع من هو مدفون بمصر من آل البيت ، ويتبركون بزيارة قبرها وقبورهم رحمهم الله تعالى رحمة واسعة ، ونفحنا بنفحاتهم ، وأعاد علينا من بركاتهم .

١٢ — الخنساء

هي تماضر بنت عمرو بن الشريد الصحابية الجليلة ، والخنساء صفة لها ومعناه المتأخر أنفها عن وجهها مع ارتفاع قليل في الأرنبة ، والمذكر أخنس . حضرت الحرب ومعها أولادها الأربعة فكانت تشجعهم على الاقدام والجهاد في العدو ابتغاء وجه الله تعالى حتى قتلوا ، فلما بلغها قتلهم حمدت الله تعالى على أن رزقهم الشهادة وسألته أن يجزيهم خيرا في الآخرة ، فكانت المثل الأعلى للصابرين والصابرات حيث لم تجزع على مصابها بهم . وأجمع علماء البلاغة على أنه لم تكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها ، لاسيما ما رثت به أخاها من أبيها صخر . ومن أخبارها أنه خطبها دريد بن الصمة من أبيها وكان طاعنا في السن ، فقال له أبوها إنك الكريم الذى لا يطعن في حسبه ، ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها ، وإنما أذكرك لها . ثم دخل عليها وقال يا خنساء . أتاك فارس هوأزن وسيد بنى چشم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين ؟ فقالت : يا أبت أترانى تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح ونا كحة شيخ بنى چشم هامة اليوم أوغد ؟ ! وأبت أن تتزوج به لكبر سنه ودنوه من الموت . وفي هذه الحكاية ما يدل على أن النساء يكرهن الكبير في السن ولو كان عظيما كما قال الشاعر :

من كان آدم جملا في سنه كرهته حواء السنين من الدمى
توفيت الخنساء سنة أربع وعشرين من سنى الهجرة رحمها الله ورضى عنها

١٣ - بكاره الهلالية

من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة والاقدام والفصاحة ، والشعر والنثر
والخطابة ، حضرت مع سيدنا علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه حرب صفين ،
ولها مقالات حماسية جعلت كل من سمعها يقدم في الحرب بدون مبالاة . وكانت
مثال المرأة الصادقة لم تدنس نفسها بكذب ، ولذلك أثر قولها في الرجال فتبادروا
موارد المهالك في تلك الحرب ، وهكذا ينبغي للمرأة أن تتجنب الكذب فإن الكذب
في حد ذاته قبيح وهو في النساء أقبح ، لأن المرأة متى كذبت خانت ففسقت ولا خير
فيها حينئذ . قال عامر بن الظرب العدواني حكيم العرب - وكان من المعمرين فقد
عاش مائتي سنة - إني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب ، فاصدقوا تصدقوا .
يعنى أن من لزم الصدق في أقواله أصاب بظنه ، فلا يقول عن شيء في المستقبل أنه
سيكون كذا إلا جاء على وفق ما قال .

توفيت بكاره الهلالية

١٤ - الحرقه بنت النعمان بن المنذر

كانت من أفصح نساء زمانها مقالا ، وأوفرهن جمالا ، وأكلمهن عقلا ، وأعظمهن
أدبا ، غير أن الدهر قلب لها ظهر المجن فتغيرت حالتها ؛ وذهبت نعمتها ، فلم يغير شيئا
من كرم أخلاقها ، وحسن طباعها ، ورباطة جأشها . بل صبرت على ما أصابها حتي
توفيت أيام سـعد بن أبي وقاص المتوفى سنة خمس وخمسين ، ومن كلامها :
إن للدهر عشرات تعثر بالملوك وأبنائهم . فتخفضهم بعد رفعة ، وتفردهم بعد منعة ،
وتذلهم بعد عزة ، وكذلك الدهر ليس يأتي قوما بمسرة إلا أعقبهم حسرة .

١٥ - رابعة العدوية

هي رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية . مولاة آل عتيك ، اشتهرت بالنسك والعبادة وتقديسه وتمجيده ، ورضيت من الحياة بالكفاف من العيش ، والصوف والشعر من اللباس ، وكان يغشى عليها إذا سمعت ذكر الله تعالى من هيئته في قلبها جل جلاله . وبلغت الثمانين من عمرها وهي لا تزدد إلا عبادة وتقوى ، وكان كفنها معها أينما توجهت ، وكانت تقوم الليل كله بالصلاة فإذا طلع الفجر هجعت هجمة خفيفة حتي يسفر الفجر ، فتقوم من نومها فزعة وتقول يا نفس كم تنامين ؟ وإلى كم تنامين ؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا بصرخة يوم البعث والنشور . وكانت تقول إلهي ما عبدتك خوفا من نارك ، ولا طمعا في جنتك ، بل حبالك وقصد لقاء وجهك . توفيت سنة خمس وثمانين ومائة ، وأخبرت عنها أليفتها في حياتها ، ورفيقتها في عبادتها ، عبدة بنت أبي شوال انها رأتها في منامها بعد موتها في نعيم عظيم ، فقالت لها مريني بامر أقرب به إلى الله عز وجل فانال مثل مانلت ؟ فقالت لها عليك بكثرة ذكر الله تعالى ، فانه يوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك رحمها الله تعالى ورضى عنها

١٦ - شيرين

هي من ولد خسرو (كسرى) نو شيروان ، وزوجة إبرويز بن هرمز ، تزوج بها ففوض اليها أمره ، واستوثق منها بان لا تمسك منها أحدا بعده ، وكانت من أجمل النساء وأظرفهن ، ومثالا أعلى في الوفاء لزوجها المذكور . وذلك ان شيرويه ولد زوجها من غيرها لما قتل أباه إبرويز المذكور واستولى على ملكه بعث إلى شيرين يدعوها لنفسه ، فامتنعت عليه وأبت أن تجيبه لما طلبه ، فغضب عليها وغضب منها ضياعها وعقارها وذخائرها وكل أموالها ، وقذفها بالفاحشة ورمها بكل معضلة ، فلما بلغها ذلك هان عليها ما أخذه من الأموال دون مارماها به من الافك والافتراء عليها ، فبعثت اليه تقول أيها الرجل إن لم يكن بد مما سألت فاقض لي ثلاث حاجات ،

رد على ضياعى وأموالى ، واصعد على منبرك بمحضر من مرازبتك وأساورتك وعظماء أهل مملكته وتبرأ مما قد فتني به ، وأمر بفتح الناموس الذى فيه أبوك فان عندى ودیعة له أريد أن أردھا اليه فاجابھا لما طلبته ، فلما فتح لها باب الناموس وكان معها خاتم فيه سم ساعته فوضعتھ فی فیھا وعانقت زوجها وماتت بالحال ، فسمحت بنفسھا وفاء لزوجھا بما وعدته به من أنها لا تنتقل إلى أحد بعده . وهى ليست مؤمنة حتى إنه لاسبة علیھا ولا عار لو قبلت ابن زوجها أن یحل محل أبیھ منها فی دینھا ، ولكن الثبات على صدق الوفاء من أفضل ما تتحلى به النساء ، وأین منها الست لطيفة بنت فريد باشا الیافی فقد استفاضت الأخبار عنها بواسطة الجرائد أنها أحبت ابن أخی زوجها فاتفقت معه على سم عمه لیحل منها محلہ ؟! وهو من وجوه الشام وسراتھا المعروفین ومن الشبان الذین لم يتجاوزوا الأربعین من عمرھم ولھا منه عدة أولاد ، ولكن غلبت علیھا شهوتھا - بل شقوتھا - فسمت زوجها بتدیر ابن أخیھ فذهب شهیدا لرحمة الله تعالى وأبت عدالة الله أن یذهب دمه هدرا فظهرت حقيقة المسألة وحکم على الزوجة المذكور وعلى معشوقھا ابن أخیھ بالاعدام جزاء ما عملاه ، إلا أن الحاكم الأكبر الفرنسوى فی الشام بدل حکم الاعدام بالسجن المؤبد وقدره عشرون عاما فھما اليوم محبوسان حتى تنقضى المدة التى استبدلت بالاعدام ، وليس هذا الحبس حتی ولا الاعدام بالحکم الذى یرؤھا يوم القيامة لأن الحدود فی الدنيا زواجر لا جوابر ، فمن فعل فی الدنيا ما يستوجب علیه العقاب فعوقب علیه فعقابه إنما هو زاجر لغيره عن فعل ما فعله لا جابر لتلك الفعلة التى فعلھا ، بل لا بد أن یعاقبه الله تعالى علیھا فی الآخرة ، أو یعفو عنه إذا شاء ، وستصبح خیانة لطيفة لزوجھا مثلا سائرا كما أصبح وفاء شیرین لزوجھا مثلا سائرا ، كل امرئ بما کسب رھین ، والناموس صندوق من حجر واحد یضع فیھ الکفار فی القديم ملوکھم بعد الموت ، ومنه نوایس فراغة مصر وقیاصرة الروم وغيرھم .

١٧ - فاطمة بنت عبد الملك بن مروان

كانت فصيحة أديبة ذات دين وورع لم يسبق إليه أحد من نساء بني أمية ، تزوجت بعمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة فغمرها بأمواله ، وأرضاه بنواله ، وعاشت معه في رفاة ونعيم ، فلما آلت إليه الخلافة وكان على منهج الخلفاء الراشدين قال لها إن أردت صحتي - أي بقاء الزوجية بيني وبينك - فردى مامعك من مال وحلى وجواهر إلى بيت مال المسلمين فانه لهم ، فردته جميعه وبقيت معه في عيشة التقشف والزهد إلى أن مات بعد سنتين من خلافته سنة واحدة ومائة فانتقلت الخلافة إلى أخيها يزيد بن عبد الملك فقال لها : إن عمر ظلمك في مالك وإني رددته إليك فخذيه ، فقالت كلا والله لا آخذه فما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتا ، وبقيت في حالة زهد وعبادة وورع حتى لحقت بزوجها رحمها الله تعالى ورضى عنه .

١٨ - الخيزران ✓

أم هارون الرشيد وزوجة أبيه محمد المهدي ، أجمع المؤرخون على أن جميع الأعمال الطيبة والأفعال الحسنة التي قام بها المهدي فأكسبته الشهرة الفائقة إنما كانت بتأثير زوجته الخيزران هذه ، وكانت ذات جمال وبهاء وكمال وأدب ولطف ، وحلت من زوجها في مكانة عظيمة ، وتقدمت في خلافته تقدماً زائداً امتد إلى زمن خلافة ولدها موسى الهادي فشاركته في إدارة أمور المملكة ، وكان كثير الطاعة لها مجيبا لما تطلبه منه من قضاء حاجات الناس ثم انقلب عليها بعد ذلك لما رأى من كثرة المتوسلين بها وتردد الناس عليها لقضاء حاجاتهم فمنعها من التدخل في أمور الملك وأراد قتلها وهي أمه فبعث إليها بطيخ أرز مسموم وقال لها قد استطبتك فكلي منه ، فقيل لها امسكي حتى تنظري وحيء بكلب فأطعم منه فسط لحمه ومات لوقته ، فأرسل إليها ابنها كيف رأيت الأرز؟ فبعثت تقول له إنه طيب ، فقال ما أكلت منه ولو أكلت لاسترحمت منك ، ومضى

أفلح خليفة له أم ١٩ ويقول المؤرخون إنها اقتضت منه وجزته على عمله بمثله وذلك أنها أمرت جواربها فقتلته ، وقيل إن سبب قتلها له أنه أراد أن يخلع أخاه هارون الرشيد من ولاية العهد ويجعلها في ابنه جعفر ، خافت الخيزران على ابنها الرشيد أن تذهب الخلافة منه فأمرت جواربها بقتل ولدها موسى الهادي ، وصادف أنه كان مريضا فقتلته بالغم والجلوس على وجهه ، فلما ولي الرشيد الخلافة أعاد لها ما كانت عليه من العز والنفوذ إلا أنها كفت من نفسها عن التدخل في الأحكام حتى توفيت في خلافته ، فأخرجها باحتفال عظيم لم ينله غيرها من نساء الخلفاء سنة ثلاث وثمانين ومائة .

١٩ ✓ — السيدة زبيدة

أبوها جعفر وعمها المهدي وجدها المنصور وزوجها هارون الرشيد وابنها محمد الأمين وكلهم خلفاء ، فأحاطت بها الخلافة من كل جانب . تزوج بها هارون الرشيد سنة خمس وستين ومائة وكان يحبها ويكرمها كثيرا ، وكانت هي أيضا شديدة البر به والاحتفاظ بكرامته حريصة على مرضاته ، وكانت ذات خير معروف وفضل وكرم وتقوى وصدقات متواصلة ومال كثير أنفقت منه في سبيل الله وفي الحج وفي بناء المساجد والملاجئ للغرباء والمطاعم للفقراء مليوناً وسبعمائة ألف دينار ، ولها خيرات كثيرة غير ذلك فانها سقت أهل مكة الماء بعد أن كان الراوية عندهم بدينار لندرة وجوده - الراوية وعاء صغير من الجلد دون القربة يوضع فيه الماء - وأجرت المياه تحت الجبال والصخور حتى أوصلته إلى مكة المكرمة ، ولم تزل هذه المياه موجودة إلى الآن باسم عين زبيدة يستقي منه جميع أهل مكة ومجاوريها وعليها مدار شربهم وريهم ، وهو ماء كثير يكفي كل من فيها ومن يرد عليها لولا أن بعض أصحاب النفوذ كانوا يغصبون مقداراً كبيراً منه ويسوقونه إلى أراض لهم ليجمعوا منها بساتين وجنائن ، فهم يضيقون على عباد الله مابه قوام حياتهم وكثير منهم يعتمد ذلك التضيق في أيام الحج لبيع الماء بأكثر من ثمنه المعتاد لا ساعدهم الله ، وكان للسيدة زبيدة رحمها الله تعالى مائة جارية يحفظن القرآن عن

ظہر قلب « استظہاراً » ولكل واحدة منهم ورد منه تقرأه فكان يسمع في قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن ، وكان للعلماء والأدباء اجتماعات تعقد في مجالسها لنشر العلم وتقدير قدر أهل الفضل ، وما زالت على هذه الحالة الحسنة حتى مات زوجها الرشيد واستخلف ولدها الأمين ، وجرى بينه وبين أخيه لآئيه المأمون ما جرى مما أدى إلى قتل ولدها الأمين فساء حالها ، ولكن المأمون عطف عليها وجمل حالها وأحسن إليها بعد ما استتب له الأمر واعتذر لها عن تقصيره لما كان مشغولاً فيه ، وقال لها : ما جفوتك تعمداً ولكن شغلت عنك . فقالت له يا أمير المؤمنين إذا حسن رأيك لم يوحشني شغلك ، فكان يوجه إليها في كل سنة مائة ألف دينار ومليون درهم حتى توفيت قبله بسنتين سنة ست عشرة ومايتين رحمها الله تعالى .

۲۰ - عليہ بنت محمد المہدی

أخت هارون الرشيد ، كانت أحسن نساء زمانها وجهاً ، وأظرفهن خلقاً ، وأوفرهن عقلاً ذات عفة وصيانة وأدب بارع ، وفضل رائع ، وآثارها الأدبية في كتب الأدب من منظوم ومشور كثيرة تشهد لها بفضلها ، وكان أخوها هارون الرشيد يحلها ويبالغ في إكرامها ، وكانت إذا طهرت لازمت العبادة فاذالم تكن طاهرة لحيض أو نفاس غنت لنفسها في قصرها ، ومع الغناء والشعر الغزلي الذي كانت تقول كانت من العفاف الحصائف ، عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة عشر ومايتين . بعد أخيها هارون الرشيد بسبع عشرة سنة في خلافة المأمون ابن أخيها رحمها الله تعالى .

۲۱ - بوران

هي بنت الحسن بن سهل وزير الخليفة عبد الله المأمون ابن هارون الرشيد وزوجته ، تزوجها في رمضان سنة عشر ومائتين . كانت أحسن نساء زمانها وأجملهن وأكرمهن وأفضلهن أدباً وأوفرهن عقلاً . رباها أبوها أحسن تربية ، وخالطت نساء الخليفة هارون الرشيد فاكتمست من أدبهن ما أهلها لأن تكون واحدة منهم ، وقد انفق والدها يوم زفافها للمأمون ما لم ينفقه أحد ، فقد كتب رقاعاً بأسماء عقارات

موضياع وقرى ونثرها على الحاضرين فكل من وقعت بيده رقعة تملك ما فيها ، ولما أدخلت على المأمون عراها من هيئة الملك ما غير عادة حيضها فحاضت بالحال ، فلما أراد المأمون أن يدنو منها قالت له : أتى أمر الله فلا تستعجلوه ، فكف عنها وأعجب بحسن جوابها ، وكانت لها عنده الحظوة التامة حتى توفي عنها سنة ثمانى عشرة ومائتين بعد ما أقامت معه ثمانى سنوات ، وعاشت بعده ثلاثا وخمسين سنة ، وتوفيت سنة احدى وسبعين ومائتين ولها من العمر ثمانون سنة ولقد حسدها نساء أهل زمانها على اتصالها بالخليفة حتى ظهر حسدهن على لسان بعض الشعراء حيث قال :

بارك الله للحسن ولبوران فى الخنتين
يا إمام الهدى ظفرت ولكن يبت من !
وفى البيت الأخير إيهام الاستخفاف والاعجاب وهو من أنواع البديع . ومثله قول شاعر فى خياط أعور خاط له قباء :

خاط لى زيد قباء لى عينيه سواء
قل لمن يسمع قولى ذا مديح أم هجاء ؟

✓ ٢٢ - قطر الزندى

هى بنت خمارويه ملك مصر المتوفى سنة ٢٨٢ ابن احمد بن طولون وزوجة الخليفة المعتضد بالله العباسى ، أنشأت فى قصرها حلقة تجتمع فيها الادبيات الفاضلات والنساء النابغات ، فيبحث فى الموضوعات العلمية ويتطارحن الأسئلة المفيدة ، ولما مات زوجها وأفضت الخلافة الى ولده المقتدر بالله وكان حديث السن تدخلت هى فى الأحكام وقبضت على زمام الحل والعقد فكانت تقابل الوزراء والسفراء وأرباب المناصب ، وتجلس للنظر فى المظالم وطلبات الناس كل جمعة وتوقع عليها بما تقتضيه الحالة .

٢٣ - ولادة

هي بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر لدين الله الأموي ، واحدة زمانها المشار إليها بالبنان ، حسنة المحاورة ، دأمة المذاكرة ، ذات صيانة وعفاف . أدبية شاعرة جزلة القول حسنة الشعر ومنه قولها :
 ألاحظكم تخرجنا بالحشا ولحظنا يجر حكم في الحدود
 جرح بجرح فاجعلوا ذا بدا فما الذي أوجب هذا الصدود
 وكانت تناضل الشعراء ، وتجادل الأدياء ، فتفوق البارعين منهم . وكان مجلسها بقرطبة في بلاد الاندلس (باسبانيا) منتدى لاجتماع الأدياء ووفود الشعراء لحلاوة عشرتها ، وكرم نسبتها ، وزيادة طهارتها ، وعقبتها وصياتها ، وحسن سلوكها . فلا تقسها بنساء هذا الوقت المتبرجات المتهتكات فان لها من كرم أصلها وشرف دينها رادعا يردعها عما يدنس عرضها ، فهي كما قال جرير الخطفي الشاعر :
 حور حرائر ماهمن بريية كظباء مكة صيدهن حرام
 يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدن عن الخنا الاسلام
 وعمرت عمرا طويلا ولم تتزوج حتى توفيت سنة ثمانين وأربعمئة بعد مالاقت من الزمان زعزعا ورخاء ، وشدة ورخاء ، رحمها الله تعالى

٢٤ - شجرة الدر

هي زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب الكردي الحاكم في مصر المتوفى سنة ٦٤٧ كانت امرأة عاقلة مهيبة خيرة بالأموار ، ذات حزم ومعرفة تامة بأحوال المملكة ، فكانت تدبر الأمور في حياة زوجها ، وكان يرجع إليها ويستشيرها في الأمور المهمة ، وكان الخطباء يخطبون باسمها على المنابر ، فلما مات زوجها قامت هي بالأمر بعده فسانت الرعية بحسن تديرها ووفور عقلها وخبرتها ، إلا أن بعض الناقمين عليها أغرى جواريا بها وأفسدهن عليها فقتلنها وهي في الحمام بالقباقيب حتى ماتت رحمها الله تعالى سنة ٦٥٠ هـ

٢٥ - عائشة الباعونية

هى بنت القاضى يوسف بن احمد بن ناصر الدين الباعونى - نسبة الى باعون قرية من قرى مجملون فى جبل الدروز - ولدت بدمشق ونشأت فى بيت معروف بأن كل من نسب اليه عالم أو أديب أو مؤرخ أو محدث ، وكانت ذكية بفطرتها ميالة للعلم وقرض الشعر من صغرها ، حفظت القرآن الكريم عن ظهر قلب وهى بنت ثمانى سنوات ، وتلقت الفقه والنحو والعروض على علماء عصرها ، ثم انصرفت للنظم والتأليف . ومن آثارها النفيسة قصيدتها البديعية التى سارت مسير الشمس فى شهرتها ، مدحت بها النبي الأعظم ﷺ بأنواع البديع من غير تسمية النوع ، ولها غيرها من مدح وغزل ونسيب وتشبيه ، وقد أجملها علماء عصرها وكاتبوها ومدحوها وقابلتهم هى بالمثل ، وتتلذذت فى مصر على العلامة احمد شهاب الدين القسطلانى شارح صحيح البخارى وصاحب غيره من المؤلفات القيمة المتوفى سنة ٩٢٣ هـ ، وأطنب كبار المؤرخين بمدحها ووصفها . قال الغزى فى كتابه الكواكب السائرة : هى الشيخة الأدبية العاملة العاملة الصوفية إحدى أفراد الدهر ونوادى الزمان فضلا وعلمًا ، وأدبا وشعرا ، وديانة وصيانة .

- الغزى هو إمام بدر الدين المتوفى سنة ٩٨٤ هـ أو نجم الدين المتوفى سنة ١٠٦١ - وقال الشيخ عبد الغنى الديوك الشهير بالنابلسى العالم الجليل المتوفى سنة ١١٤٣ : فاضلة الزمان ، وحليفة الأدب فى كل مكان . وقال غيرهما ربة الفضل والأدب ، وصاحبة الشرف والنسب ، كانت جميلة الصورة ، وافرة الهيئة ، من العلم والأدب ، وديوان شعرها فى المدائح النبوية جامع لاسنى الشعر وأعلاه ، وقصيدتها البديعية - السالفة الذكر - سارت بذكرها الركبان ، وفاقت بمعانيها على بديعية الصفى الحلى (المتوفى سنة ٧٥٠) وبديعية ابن حجة الحموى (المتوفى سنة ٨٣٧ هـ) توفيت بدمشق الشام ودفت بالصالحية ولم يزل قبرها الى اليوم باقيا ومكتوب عليه ، هذا مقام السيدة عائشة الباعونية رضى الله تعالى عنها سنة ٩٣٠ هـ

٢٦ — عائشة التيمورية

هي الست عائشة عصمت بنت اسماعيل باشا تيمور بن محمد كاشف ، وأخت العالم الفاضل المشهور المرحوم احمد باشا تيمور المتوفى سنة ١٣٤٨ هـ كردية الاصل أدبية فاضلة ، وحكيمة عاقلة ، عالمة وشاعرة بارعة ، فافت على أقرانها . تعلمت وتخرجت على أساتذة فضلاء بين سمع أبويها ونظرهما ، وغلب عليها الميل الى النحو والعروض فبلغت من الشعر مبلغا لم يبلغه غيرها من النساء ، وديوان شعرها المسمى بحلية الطراز شاهد على ذلك ولها شعر كثير بالتركية والفارسية وفي بدء أمرها بادرت أمها الى تعليمها التطريز ولكن كانت أفكارها متجهة لتعلم القراءة والكتابة ، فأتى لها أبوها بمن علمها القرآن والخط والفقه والصرف واللغة وأخذت تواصل قراءة كتب الأدب وتتبع دواوين الشعر حتى صارت لها ملكة التصور المعاني فأخذت تنظم الشعر وقبل إتمام تعلمها تزوجت ، فكفت عن الاشتغال بالعلم وانصرفت الى تدبير أمور المنزل وتربية أولادها حتى مات زوجها سنة ١٢٩٢ وكان أبوها مات قبله سنة ١٢٨٩ هـ فاستقلت بنفسها ورجعت للاشتغال بالعلم والأدب حتى ماتت سنة عشرين وثلاثمائة وألف ولها من العمر أربع وستون سنة .

٢٧ — السيدة قدسية

هي السيدة قدسية رشيدة كريمة الأستاذ العالم الفاضل الشيخ محمد جمال الدين المتوفى سنة ١٣٤٤ هـ ابن الولي الكبير العلامة الشهير الشيخ محمد أبي المحاسن القاوقجي الحسني المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ وأمها امرأة تركية اسمها الست حورية بنت محمد أفندي القنطارجي (الوزان) في وزارة حرية الدولة العثمانية من أهل مدينة بروسه ولدت سنة ١٣١٦ هـ وسنة ١٨٩٨ م في استانبول ونشأت في بيت أبويها على التربية التركية بسبب المحيط الذي ولدت فيه وتعلمت في كتاتيب المحلة ثم دخلت في المدارس الرسمية للحكومة حتى بلغت السنة الرابعة من سني التعليم في دار المعلميات ثم نشبت

الحرب العامة سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٤ م فحالت بينها وبين إكمال تحصيلها وكان بقي لها سنة حتى تمته وفي سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٤ م تزوجت بها في استانبول وأقامت معي ثلاث عشرة سنة إلا أسبوعا رزقت منها في أثناءها أربعة أولاد ذكور وواحدة أنثى ، وهم على هذا الترتيب ، عبد الرحمن كمالات وتوفي في استانبول عن أربعة أشهر وأمة الرحيم وعبد الرحيم وهما والله الحمد حيان بارك الله تعالى بهما وعبد الحليم وعبد الله وقد ماتا في مصر ولكل واحد منهما ستة أشهر ثم إنها ماتت رحمها الله تعالى بمرض القلب وهى حامل بولدها السادس خالق الله لثمانية أشهر من حملها ودفنت في حوش الشيخ احمد أبى النصر فى قراقة الممالك حيث أبوها وعمها الشيخ كمال الدين مدفونان فيه ليلة الخميس ليلة اليوم السادس عشر من شهر ربيع الثانى سنة ١٣٤٨ الموافق لليوم التاسع عشر من شهر سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٢٩ م رحمها الله تعالى وعفا عنها وعوضها عن شبابها بالجنة وضاعف لها الاجر والمنة وغفر لى ولها ما كان بيننا من تظالم وسوء تفاهم وقد كانت رحمها الله تعالى جميلة فصيحة المنطق تغلب عليها التركية على النطق بالعربية ذكية فهيمة صافية القلب من كل غل وحقد مهما أسى اليها ترضى وتصفح بمجرد ما يعتذر لها ، قنوعة راضية بعيشتها غير طامعة بشئ من زخارف الحياة ميالة الى الزهد فى الدنيا والبعد عن سفاسفها لا تبرج ولا تهتك ولا تظهر لغير ذى رحم محرم قريب منها ولا تميل الى الخلاعة وغشيان مسارح اللهو ، ما كلفتني فى مدة إقامتها معي بأن أذهب بها الى مشاهدة رقص أو تمثيل أو سينا أو سماع غناء وما كانت تستعمل ما تستعمله النساء من حمرة الشفاه وتبييض الخدود وتسويد الحواجب وما كانت تبدي شيئا من بدنها يحرم إبدائه حتى أنها كانت وهى فى بيتها ترخى الأستار على النوافذ زيادة فى التصون ، وقل أن سمعتها تغنى مع أن صوتها رخم حسن إلا أن تكون تغنى لتؤيم ولدها ، وكانت تقوم بعمل بيتها بنفسها حتى غسل الثياب لا تريد أن تستخدم خادمة ، وكانت عفيفة الكلام ما سمعت منها كلمة بذينة لا بجد ولا بهزل ، وكانت تكره أن تسمع منى كلمة (شهوة) لما أسألهما عما تريد أكله قائلا لها الرجل يأكل شهوة عياله

ف تقول لى لانتقل بشهوة بل باشتهاء عياله ، وكانت مقتصدة الى البخل اقرب منها الى الاسراف ، وكانت مصلية صائمة قارئة للقرآن وغيره من كتب الدين غير ميالة الى قراءة الجرائد والمجلات على اختلاف نزعاتها ومن تمسكها بدينها أنها كانت صائمة شهر رمضان وهى فى الشهر التاسع من شهور حملها بولدها عبد الرحيم وكان قد صادف شهر رمضان لشهر مايو (يار) وهو الشهر الذى يطول فيه النهار وتأخذ فيه الحرارة بالازدياد فأبت أن تفطر فيه يوما واحدا ، وبالجملة إنها كانت على أحسن ما يمكن أن تكون عليه النساء مع حداثة سنّها ، ولا عجب فانها من ذرية قوم صالحين وصالح الآباء مؤثر بالابناء رحمها الله تعالى رحمة واسعة ، وعفا عني وعنّها ، وغفرتى ولها ما كان بيننا مما لا تخلو حالة الزوجية منه . وقد كتبت هذا عنها لتعلم أخواتنا النساء أن فى الرجال أوفياء لنسائهم يحسنون اليهن فى الحياة ، ويذكرونهن بالخير بعد الممات ، فلا ينسونهن من دعاء بالخير لهن ومن قراءة قرآن واستغفار وصدقات عن أرواحهن ولو أنهم لم يكونوا بمنونين منهن تماما فى حياتهن ، فان وفاتهن تسبب العطف عليهن بالترحم عليهن والدعاء لهن عملا بقوله تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) واقتداء بالنبي ﷺ فى حبه لخديجة أولى أزواجه رضى الله تعالى عنها ، وذكره إياها بعد وفاتها ، وامثالا لقوله ﷺ « إن حسن العهد من الإيمان » - رواه الحاكم عن عائشة -

حميدة احمد فهمي

٢٨

أبوها احمد فهمي افندى البنهاوى معاون مدير البوليس بمصر برتبة يوزباشى جوال فى الاقاليم لتوطيد الامن والسكينة فيها وأبوه احمد افندى كان من ياوران (حجاب) الخديوى اسماعيل باشا . وأما من شين القناطر وليس لحميدة من الحامة إلا أخت وثلاثة إخوة هي أوسطهم وخيرهم ، بل هي الوحيدة الحميدة من بينهم فى خلقها وخلقتها وصورتها وسيرتها منذ ولدت الى أن توفيت . ولدت سنة ١٩٠٥ ميلادية الموافقة لسنة ١٣٢٣ هـ ونشأت ذكية نجية نبيهة حساسة مدركة فقيمة فصيحة عاقلة وتعلت التعليم الأولى والابتدائى ولم تستكمل كل تعليمها حيث فرط بها

أبواها فعا جلاها بتزويجها . وهي في السابع عشرة من سنى حياتها برجل له من البنات من هى بسنها أو أكبر منها ، من غير أن يترويا أو يتأنيا في ذلك التزويج فتقول رحمها الله إنه أساء عشرتها ولم يحسن معاملتها حتى اضطرت لأن تطلق منه بعد ما أقامت معه أربعة أشهر على أشد مايكون ، ثم انفصلت عنه . وهى حاملة منه وبقيت أيما - عزباء - حتى وضعت حملها فكان ولدا ذكرا سمته محمدا وقامت على تربيته حتى بلغ سبع سنوات ، فأخذه أبوه منها فوجدت عليه وجدا كثيرا ، وفى أثناء ماهى أيم جاءها طلاب كثير فلم ترتض أحدا منهم ، ولما ذهب ولدها من يدها وضاق صدرها من بقائها بين أبيها وإخوتها حصلت القسمة بتزوج مؤلف هذا الكتاب بها وهى بنت خمس وعشرين سنة فوجدتها أدبية عاقلة واعية مدركة ذكية نبيهة ، مدبرة لأموار بيتها باقتصاد بلا سرف ولا تقتير ، مجيدة للقراءة والكتابة ، حسنة الفكر والتصور ، تفهم من الإشارة مالا يفهمه غيرها بصريح العبارة ، كبيرة النفس ، عالية الهمة ، حسنة اللقاء لكل من جاءت تزورها ، تقوم بكل مايلزم من أعمال المنزل بنفسها من دون استعانة بغيرها حتى فى أمورها الخصوصية من تفصيل وخياطة ، ذات كلام موزون وتعبير فصيح ، وتحفظ كثيرا من الأمثال والأشعار وصوتها رقيق إذا غنت ، خبيرة بأحوال الناس ولا سيما النساء ، وقد ساعدتنى كثيرا فى تأليف هذا الكتاب حيث أطلعتنى على كثير من أحوال النساء وطباعهن ونفسياتهن ، وكانت ملمة بأحوال العالم وسياسة البلاد وما يحصل بين الأحزاب من صدور ، تقرأ الجرائد وتطالع المجلات وكتب الأدب ، ولما طبعت كتابى (التذكير بالمرجع والمصير) أكرت من قراءته زيادة على غيره من مؤلفاتى المطبوعة وكانت تحب الأانس ومشاهدة مسارح التمثيل والطرب من غير إفراط ، وعزمت على أن تصلى الجمعة فى المسجد الجامع وبدأت بصلاتها فيه ، ثم عاجلتها منيتها رحمها الله تعالى . ولكنها مع هذه الصفات الحسنة كانت عصبية المزاج ضيقة الصدر تغضب من أدنى شئ بل تتأثر من لا شئ ، وإذا ثارت عصيتها - وكثيرا ماتشور - اضطربت حواسها وخرجت عن طور الاعتدال فلا ترعى لحاضر حرمة

ولا لغائب ذمة ، وتطلق لسانها ويديها السراح ، فيتمنى السامع والناظر لما تقول وتفعل أن لو كان أعشى أو أصم ولا يراها بتلك الحالة كما أنها لما تهدأ وتسكن ويرجع اليها اعتدالها تكون من أحسن خلق الله عشرة ومؤانسة ومجلسا حتى يتمنى مجالسها أن لا يفارقها ، ولولا هذه الحالة العصبية التي كانت فيها لما كان لها نظير بين النساء بل كانت خيرا من كثير من الرجال لتلك الصفات الحسنة فيها ، ولكن الكمال لله وحده . وسبب تلك الحالة العصبية التي اعترتها ما قاسته من الشدائد والأهوال في زواجها الأول ، وما كابده من المشاق في تربية ولدها ، وما عراها من وفاة والدتها التي كانت برة بها مطيعة لها قائمة عليها أحسن قيام ، بخلاف أختها وأخواتها مع أمهم ، وبسبب أخذ زوجها الأول ولده منها ومعاملته له المعاملة القاسية الجافة مع انه ولده الذكرو الوحيد بين جملة بنات من عدة أمهات ، وبسبب ما عندها من علو النفس وحب ان تكون بأرفع مما هي عليه مقاما ، وانعم بما تلاقيه حالا ، فاجتمعت عليها الأسباب المهيجة لانفعالها مع ما فيها من الاستعداد بسبب نخافة جسمها فكانت تعتريها تلك الأحوال المزعجة منذ تزوجت بها حتى توفيت رحمها الله تعالى وعفا عنها وغفرل ولها ما كان منها ومنى من تظالم وسوء تفاهم ، وقد كانت وفاتها بلا سابق إنذار بخطر ، فقد تأخرت عادة حيضها اياما ثم جاءت بقوة ودفق زائد يوم الجمعة ثالث ايام عيد الفطر سنة ١٣٥٢ هـ فالتب غشاء امعائها وانسد مجرى بولها فمكثت اربع ليال باضطراب وبعد ظهر يوم الثلاثاء سابع شوال و ٢٣ يناير كانون الثاني سنة ١٩٣٤م توفيت رحمها الله تعالى وعفا عنها : ماتت حميدة في ربيع حياتها مغمورة الاوقات في حسراتها إذ لم تنل ما قد تريد وتشتهي طبقا لما تبديه من حالاتها مع أنها كانت بعيش طيب لا يأس فيه لمثلها ولداتها أختي عليها طبعها العصبي في فورانه في البعض من أوقاتها فحداها وهي الظلوم لنفسها نحو المسير الى حياض بماتها فقتضت ويا أسفي عليها نجبها في بضع أيام تلك ليالاتها

لولا تهيجها ونار مزاجها ما كان يشبهها امرؤ بصفاتها
 إذ أنها في الاعتدال شريفة في نفسها وكريمة في ذاتها
 ولها التجميل والتأنق عادة إذ كان حسن السميت من عاداتها
 ولها جمال الخلق والأخلاق مع صوت بديع الحسن في نغماتها
 وبها ذكاء زائد ونباهة تدعو إلى الإعجاب من شاراتها
 وتدير منزلها بكل عناية مع حسن تدبير بفضل حصاتها
 وتسر زائرة بحسن لقائها فتعود مثنية على زوراتها
 وتحميد ما تقرأ وتكتب مثل من ينشئ ويبدع في انتقا كلماتها
 وهي الوحيدة والحميدة بين إخوتها فليسوا مثلها بساكنة
 مع أن والدهم جميعا واحد والأم واحدة بكل أذنانها
 أبكى عليها وهي ميتة لما لاقت من تعب بعيد وفاتها
 وأغض عما كان من هفواتها رعا لما قد كان من خدماتها
 وأرى الوفا يدعو إلى هذا البكا أسفا على ما فات من ثمراتها
 فالله يرحمها ويغفر وزرها ويثيبها الحسنى على حسناتها

﴿فصل — في ذكر هذا القدر من النساء المتوفيات رحمن الله تعالى —﴾

كفاية لمن تريد أن تقتدى بما كن عليه من القول الطيب والعمل الصالح ، ولم
 أذكر أحد من النساء العائشات اكتفاء بما ذكرته من حال المتوفيات حيث قد
 انطوت صحائف أعمالهن ، بخلاف من هن في قيد الحياة فانهن لا ينتهي ولا ينقضي
 تطورهن ، بل إنهن آخذات بالتقدم ، وبعد الموت ينتهي وصفهن بآرك الله بحيات
 الصالحات منهن .

﴿نداء إلى إخواننا النساء﴾

يا معشر النساء هاقد قصصت عليكم في هذا الكتاب ترجمة ثمان وعشرين امرأة
 من جنسكن ونوعكن ، وفي كل واحدة منهن صفات ومزايا منها ما هو وهي لا يمكن

التشبه به كالشرف والجمال ، ومنها ما هو كسبي كالعلم والتقوى والزهد والعفة وغير ذلك مما هو في مقدور تكن وإمكانكن أن تتحلين به (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب) ويجدر بكن وأنتن النوع اللطيف للجنس الشريف (الرجال) أن تتحلين بما ذكر في تراجمهن من الصفات الحسنة ، فانه شرف لكن وذكر ونفر وذخر في الدنيا والآخرة وليس في خلقكن وطباعكن ما يمنعكن من التحلى بالصفات الحسنة وأنتن المشبهات بالقوارير في قول النبي ﷺ ومن شأن القوارير - وهو البلور - أن ينطبع بها كل شيء ، وما أحسن المطبوع أن يكون مما يستجاد ويستحسن وترين في تراجمهن كل فضيلة ومنقبة جميلة من عفاف وستر وصيانة وحياء وعقل ، وذكاء وأدب وتريية وعلم وفهم ودين وتقوى ، وصلاة وصيام إلى غير ذلك من طاعة أزواج وتربية أولاد ، وليس في تراجمهن تبرج ولا تهتك ولا خلاعة ولا كشف ساقين ولا حسر عن ذراعين ولا تزين وتعطر للخروج في الطرقات ، ومزاحمة الدهماء في مراسع اللهو ومسارح الخلاعة وبؤر السفاهة ، ومواخير الفجور . فان كل ذلك من الامور الشائنة العائبة التي لا يليق بالنساء أن يتصفن بها ، فاعتبرن بما ذكر من تراجم أحوالهن ، وتعلمن ما يلزمكن من أحكام الدين ، وتمسكن بأدب الشرع الاسلامي ، واطلبن من أولياء أموركن أن يعلموكن مالا تعلمونه منهن . حتى تذكرن بالخير بعد مضي أيامكن يا معشر النساء : إن في غير المسلمات من جنسكن نساء متحليات بكثير من الصفات الاسلامية التي يندر أن يوجد بعضها في كثير من النساء المسلمات ، وأنتن أحق بميراث دينكن الاسلام الذي هو الدين الحق الذي لا يقبل الله التدين بغيره كما قال تعالى (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) فعيب عليكن ، ونقص بكن ، أن تضعين محاسن ما جاء به دينكن ، وتعمدن للتشبه بالافرنج في خلاعاتهن وسفاهاتهن فأنتن تأخذن بالثافة المزرى العائب من أخلاقهن ، والبعض منهن يأخذ بالنفيس المشرف الزائن من صفات دينكن ، والله يا معشر النساء ليس لكن جمال ولا كمال ولا أدب ولا تربية ولا شرف إلا باتباع

أوامر دينك واجتناب نواهيه ، وكل ما عدا ذلك من اتباع الهوى ومجاراة النفس والشيطان فيما يريدان شر لك ، ووبال عليك ، وحيف بك ، تؤزرن عليه لا تؤجرن ، وتعذبن بسببه ولا تتعمن ، ومدة العمر معها طالت قصيرة ، وأمامك دار تحاسبين فيها على كل ما كان منك من قول وعمل لا يرضى الله ورسوله فارقق بأنفسك ، واكفف عن شهواتك ، وارحم نفسك من عار العاجلة ، ونار الآجلة . وتذكرن قول السيدة فاطمة النبوية : والله ما نال أحد من أهل السفه بسفهم شيئا ، ولا أدركوا من لذاتهم شيئا ، إلا وقد ناله أهل المروآت ، فاستتروا بحميل ستر الله تعالى ، فاسمعن يا أيها النساء وأطعن ، وقرن في بيوتكن ولا تبرجن ، وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) واعرضن عن قراءة المجلات والروايات والجرائد والحكايات المفسدة للاخلاق ، المذهبة للمروآت ، فان في كتب الدين الاسلامي السكفية والغنى لمن أراد الكمال والادب والشرف وحسن الذكر في الحياة وبعد المات . ولا تغتررن بمن يزين لكن عملكن ، فانهم طلاب صيد ، وأصحاب كيد ، ولا يهمهم من أمركن إلا ما فيه قضاء أربهم سواء أشقيتن أم سعدتن ، وربحتن أم خسرتن ، فانهم أعداء لكن كالذئاب ، عليهم من جلود الغنم ثياب ورحم الله من أبكا كن ولكن للخير هذا كن ، ولعنة الله على من أضحككن ولكن في الشر أوقعكن .

باب

١٧

((في مباينة النساء للرجال في كثير من الأحوال))

بين المرأة والرجل تباين في الوضع والطبع والشرع لا يمكن معه أن تساوى المرأة الرجل في حال من الأحوال ، ومن تصدى الى طلب المساواة فهو ناقص الشعور ، ضعيف الادراك ، معترض على الله تعالى بخلقه الزوجين الذكر والانثى متباينين ، حيث لم يخلقهما واحدا ومجهل لله تعالى بقيمة أفراد الخليقة تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا ، وما من أحد عالم أو جاهل ، عال أو سافل ، إلا ويعلم أن التباين في الأسماء دليل على التباين في المسميات ، فما دام في اللغة ذكر

وأنتي، ورجل وامرأة، فهذا غير هذه، وتلك غير ذاك، وإنما أصحاب الشهوات، وأرباب
 الأهواء والغايات، يعررون بالنساء ويفسدونهن حتى يتمكنوا من نيل أربهم منهن،
 فيدعون مساواتهن للرجال وأنهن شقائق لهن على غير المعنى الذي ورد فيه حديث «النساء
 شقائق الرجال» ليسهل عليهم اقتناصهن. وهن ناقصات العقول ضعيفات الشعور
 يحسن تلك الغيرة المزيفة من فاسدى النيات أمرا حقيقيا، فيجربن معهم ويرافقنهم
 على أهوائهم فيسهلن لهم اقتناص أو ابدهن، والتقاط فرائدهن، وهكذا وهلم
 جرا. وفيما أنا ذا كره من المميزات والفوارق بين النساء والرجال مقنع لمن كان له
 عقل، وإذعان الى الحق بأنه لا يمكن للمرأة أن تساوى الرجل حفظا لسنة الله تعالى
 فيما خلقه، وإن تجد لسنة الله تبديلا. وهذه أوربا على مدنياتها المطلقة، وحريتها
 الواسعة، لم تسو النساء بالرجال فى الاعمال إذ هى تحرم الاناث من مشاركة الذكور
 فى الموارىث عند أكثرهم، وتحرمهن من الانتخابات العامة، ومن عضوية المجالس
 النيابية والادارية، ومن الوظائف القضائية والعسكرية والبحرية، فليس فى مجلس
 النواب ولا فى مجلس الشيوخ (الاعيان) أعضاء من النساء ولا فى النساء حاكم إدارى
 كالوالى والمتصرف والمدير، ولا قائد عسكري، ولا قبطان بحرى، ومن نراه منهن
 ملكة كفسكتوريا ملكة الانكليز، أو ويلهلمن ملكة الفلينك (هولاندا) فهى ملكة
 ولكن ليس لها من الصلاحية ما تدل عليه كلمة ملك أو ملكة بل هى أقرب الى العادات
 والعنعات (التقاليد) منها الى الادارة الفعلية. حيث أن للبلاد قانونا يعمل به
 خاصة الامة لعامتها، والملكة تصدق أو توافق على الحكم الذى يحكم به مجلس وزرائها،
 أو محكمة قضائها بحكم الضرورة نزولا على مراعاة أحكام ذلك القانون، وموافقة له
 إذ هو مقدس واجب على الامة أن تعمل بموجبه وتحكم بمقتضاه، فلم يبق مجال لادعاء
 مساواة النساء بالرجال، بل لكل من الرجل والمرأة عمل خاص هو مكلف بالقيام به
 بحكم استعدادده له.

كتب الحرب والقتال علينا وعلى الغايات جر الذبول

قالت لايشل ماتن الكاتبة الانكليزية: إن النساء هن أعداء أنفسهن بطلبهن المساواة

بالرجال ، فبالك بمن تعتقد أنها أفضل من الرجل ؟ ! ولا يستطيع أحد أن يحدث النساء حديثاً إلا حول موضوعه العام الى موضوع خاص بهن ، فإذا قال رجل لامرأة مثلاً إن جسم الذكر أقرب الى معاني الجمال من جسم الانثى أخذت تصبح قائلة أنا آسف لأنك لا تحب شكلى وقوامى ، فالمرأة لا يملأن أن يتحدث معها بموضوع من دون أن تخرج عنه لما هو عائد لها ، ومن تكون كذلك كيف يمكن أن تصدق فى دعواها المساواة اهوكلما تصدت المرأة للتشبه بالرجل ضعف نفوذها وتأثيرها عليه ، ولا تكون المرأة امرأة بحق إلا اذا كانت قائمة بما يقتضيه لفظ المرأة بكل معناه ، والعائلات من النساء يعلمن أنهن يضيعن أوقاتهن سدى إذا أردن أن يقلدن الرجال بما هو خاص بهم :

وذلك أن الرجال الشم عاجزة عن القيام فكيف النسوة الغيد والفارق بين المرأة والرجل هو كما تراه أثبت علم التشريح أن الرجل أرقى من المرأة جسماً ، فمن ذلك أن متوسط طول الرجل يزيد على متوسط طول المرأة باثنى عشر سنتيمتراً ، وأن متوسط ثقل أجسام الرجال سبعة وأربعون كيلو والمرأة إثنا وأربعون ونصف كيلو ، وأن قلب المرأة أصغر وأخف بمقدارستين غراماً من قلب الرجل ، وأن الجهاز التنفسى فى الرجل أقوى منه فى المرأة ، فإن الرجل يحرق فى الساعة الواحدة أحد عشر غراماً من الكربون والمرأة تحرق ستة غرامات وكسر غرام ، ولذلك كانت حرارتها أقل من حرارة الرجل ، وأن الحواس الخمس فى المرأة أضعف منها فى الرجل ، فهي لا تستطيع أن تدرك رائحة طيبة أو كريهة على بعد مخصوص إلا إذا كان ضعف المقدار الذى يدرکه الرجل ، وأنها ليست مستكملة تركيب المخ مثل الرجل فهي أضعف منه جسماً وإدراكاً ، أما كونها أضعف منه جسماً فمن أجل أنها معروضة للوازم الانثوية الحيض والحبل والنفساس والارضاع ، وأما كونها أضعف منه إدراكاً فمن أجل أنها غير معروضة لما تنشأ عنه تنمية القوى المدركة كالرجل لاشتغالها بتدبير أمور المنزل وتربية أطفالها وحفظهم وصياتهم ،

ولكنها بحسب الفطرة أقدر وأصبر من الرجل على الاعمال البيتية وما يتعلق بها ، وأعلم منه بسياسة الخادومات والأولاد الصغار . فقد نرى الرجل يقطع الصخر ، وينقل الأثقال ، ويقلع الأشجار ، ويخوض الأهوال ، ولا يصبر بضغ دقائق بجانب سرير طفله الرضيع ، وإذا حمله بكل ساعده عن حمله نصف ساعة ، ولا يتسع خلقه لكس البيت ، والصبر على القدر حتى ينضب ما فيها ، بل ربما كان عاجزا عن إرضاء الخادمة ، أو إدارة الولد ، والمرأة تفعل ذلك كله ولا تعده شيئا . والمرأة أسرع تأثرا وانفعالا من الرجل ، وأفدح صبرا ، وأدق شعورا بالسرور والالام . وإنما تستطيع أن تجارى الرجل وتزيد عليه في النواحي التي تستند الى العاطفة كالرسم والموسيقى والغناء ، ولكن يستحيل أن تكون شاعرة متمعة فيلسوفة ، أو مصورة تعبر بخيالها عن فكرة سامية تخلدها ، أو موسيقية مبتكرة ، أو مؤلفة متمعة في درس النفس البشرية . وهى سريعة التصميم والتنفيذ والنكوص ، تقتر همتها إذا فشلت مساعيها وطال الوقت عليها ولم تصل الى غرضها ، ووثباتها قصيرة في الحياة فهى لا تستطيع حدثا يقلب كيان المجتمع ، أو يهدم صرح التعاليم القديمة ، ولا تقدر أن تدعو الى ثورة ، أو أن تخرج على نظام : نعم قد كان فى النساء ملسكات قويات مستبدات ولكن لم تكن فيهن مصلحات ، وأرقى امرأة أقل بكثير من أرقى رجل ، والمرأة المتوسطة تساوى الرجل المتوسط فتقوم بما يقوم به ، بخلاف المرأة المتفوقة فانها لا تقدر أن تقوم بعمل الرجل المتفوق ، فهى لا تطاوله ولا تنحط الى درك الرجل المنحط . والرجل أكثر من المرأة عملا ، وعمله خير من عملها ، وهو أقل منها تعرضا للبرص ، ولا ينوء بععب الجسد والعمل بمثل السرعة التي تنوء بها ، وفى دمه من السكريات الحمراء أكثر مما فى دمه ، والرجل أكثر ابتكارا واختراعا من المرأة ، ونسبة قوته الى قوتها كنسبة تسعة الى خمسة . وهو أمهر من المرأة فى الانتقاد ، وأقدر منها على رؤية الأشياء على حقيقتها .

وفى كتب علم النفس أن البنت تمشى فى نموها الجسمى والعقلى مع الصبي الى

السنة السابعة ثم تفوقه وتسبقه حتى السنة الرابعة عشرة ، ثم تهدأ وتنحط عنه . وهى تصل الى دور البلوغ قبل الولد بسنتين ، فالبنت البالغة أو المرأة أقل استعداداً وأحط عقلية من الولد البالغ ، أو الرجل ، والمرأة أقوى على إدراك المحسّات من الرجل ، ولكن لا طاقة لها على التعمق فى التفكير وإدراك المعقولات المجردة عن الحس ومزاولة القضايا المنطقية المعقدة ، بخلاف الرجل . ومن أجل ذلك يفوقها فى الرياضيات والفلسفة المؤسسة على قواعد عويصة ، والمرأة تكسفى بالمعلومات السطحية ، والرجل يتعمق فى البحث ، ولهذا يكون فى النساء لغويات وطبقيات ومربيات ومحاميات ، ولا يكون فيهن فلاسفة ولا رياضيات ولا مهندسات ولا فلكيات ، ولم يكن فى القديم ولا الحديث امرأة تولت قيادة غزوة ، أو سرية ، أو إمارة ، أو أرسلت رسولا الى أمة ، أو فقّهت عشيرة ، أو تولت قضاء ، أو نسب لها مذهب من مذاهب المسلمين ، أو دونت صحيفا من صحاح كتب الحديث ، أو قامت بدعوة دينية ، أو عقدت صلحا بين المسلمين وغيرهم من مبدأ ظهور الاسلام الى يومنا هذا ويمتاز الرجل على المرأة من حيث الحلقة والصفة والطبيعة والأحكام التكليفية بأنه أقدر من المرأة على مزاولة الأعمال الصناعية والتجارية والزراعية والادارية والسياسية والحربية قولاً وعملاً ، وأنه ليس فى شخصه موانع تمنعه لاجساماً ولا عقلاً عن القيام بما يريد عمله ، بخلاف المرأة فإن لها موانع طبيعية ، وشرعية من حيض ونفاس وحبل وولادة وإرضاع وحجاب .

وأما من حيث الطباع فقلما تكلمت امرأة فأرادت أن تدلى بحجتها إلا كان قولها حجة عليها ، ولا نهيت عن شئ إلا فعلته ، ولا نهيت عن شئ إلا أتته ، ولنقصان ذاتها تعتمد الى التزين بالحلى ، ولهذا كان مباحاً لها لا للرجل لأنه زينة لها تجبر مافيه من نقص وعيب فى الرجل وذلة له ، ولذلك ورد الحديث الشريف فى النهى عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ولعن من يفعله ، وقال سيدنا على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه شر خصال الرجال خير خصال النساء ، البخل .

والزهو ، والجن . قالت المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها ، وإذا كانت مزهوة - أى بها زهو وهو الكبر - استنكفت أن تكلم أحدا بكلام لين مريب حفظت شرفها ، وإذا كانت جبانة خافت من كل شيء فلزمت بيتها واتقت مواضع التهم اه . وقد منحهن الله الجمال والحسن وتناسب الأعضاء أكثر مما منحه للرجال إشارة الى أنهن لم يجعلن أهلا للغضب ولا محلا للحدة وتقطيب الوجه ، فلا تليق بهن ثورة الغضب . وأودع فيهن التأثر بالفرح والسرور والتألم والتأسف على ما يحصل أكثر مما هو فى الرجال ، وجعل أصواتهن لينة غير جهورية إشارة أنه لم يجعل فيهن جارحة السب والشتم ولا آلة الصياح ، فليس للمرأة أن ترفع صوتها ، ولا أن تسب وتشتتم ، فإن فعلت ذلك فقد أخلت بواجبها ولم تقدر قدر ما منحها الله من نعمة خفض الصوت ، وخلقهن الله تعالى ناعمات خفريات إشارة الى أنهن لم يخلقن لمغالبة الرجال ، ومكافحة الشدائد والأهوال ، ولا للآراء والسياسيات ، بل كفاهن وئونة ذلك بقيام الرجال بها ، وخصهن بالقيام بالأشغال المنزلية وتربية الأولاد ، وجعل لهن صبرا عليه لا تستطيعه الرجال فهذا وأشباهه مما تخالف به النساء الرجال بحسب الطبيعة والوضع ، وفروج المرأة عن حالتها الخاصة بها واشتغالها أو شغلها بأشغال الرجال ، مخالف لما خلقت له ، وسبب لانسلاخها من الأنوثة وتعطيل منافع الزوجية ، وفى ذلك اختلال نظام العالم حيث تبقى فيه كالعضو الأشل محس الجرم معدوم النفع لاسيما أن الموانع الشرعية القائمة بها تحول دون إمكان مشاركتها للرجل بتقسيم الأعمال بينهما ، فما يقال فى الحديث الشريف « إن النساء شقائق الرجال » معناه أن المرأة خلقت من بعض الرجل فهى شق وقسم منه ، كما قال الله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) لأن معناه أن المرأة تشارك الرجل بعمله الخاص به حذو القذة بالقذة ، أو أنه يشاركها بعملها الخاص بها ، كلا بل لكل منهما عمل مختص يقوم به على قاعدة تقسيم الأعمال وإذا كان الأخ لا يشارك أخاه فى كثير من الأحوال والأعمال والأخلاق وهو شقيقه أمهما واحدة وأبوهما

واحد ، فمن باب أولى أن لا تشارك المرأة الرجل والرجل المرأة في العمل الخاص بكل منهما حفظا لبقاء نظام العالم . وقد قيل في الأمثال السائرة : إذا صاحبت الدجاجة صياح الديك وجب ذبحها .

وأما مباينة النساء للرجال من حيث الشرع فإن في الرجال كثيرا من مهمات أصول الدين وفروعه ليس منها شيء في النساء كالنبوة والرسالة والخلافة والامامة والسلطنة والجهاد والأذان والخطبة والاعتكاف والشهادة في الحدود والقصاص والتعصيب في الميراث وتحمل الدية والقسامة ، والولاية والنكاح والطلاق ، والتزوج بأشهر من واحدة والتسرى بملك اليمين على وجهه الشرعى ، والمراجعة بعد الطلاق . وكون الانتساب إليه لا للزوجة ، والمهر والنفقة والقضاء والجمعة والجماعة ، وزيادة العقل والدين والنصيب في الميراث ، وكون الرجل لا يقتل بالمرأة بل عليه القصاص ، وكونه يجب على المرأة إطاعة أمره والوقوف عند رضاه لا العكس - أى لا يجب عليه إطاعة أمر زوجته - بل جاء الشرع منددا بمن يطيع امرأته ومتوعدا له . وكون المرأة خلقت من ضلع الرجل والمخلوق منه أفضل من المخلوق ، لانه له كل وهو منه جزء ، وكون الذكر أشد قوة ، وأعظم جرأة ، وأقل عبثا ، وأعز نفسا ، وأكرم خلقا ، وأدوم ودا ، وأنكى أذية ، وأحفظ عهدا ، وأكتم سرا ، وأصبر على المكروه من الاثني في كل ما ذكر . فلا يمكن أن تساوى المرأة الرجل مهما بلغت من الرقى ، وأمامها من التباين ما ذكرناه ، وليست ببالغة منه الدرجة المطلوبة وللبرأة أحكام في الشرع خاصة بها من طهارة وصلاة وصيام وحج ونكاح وطلاق وجهاد وشهادة وحداد على من يموت لها من أقاربها وحجاب وتستر ، وخفض صوت ولزوم البيت ، وحدود وقصاص وغير ذلك من الأحكام وإليك بعضا من تفصيل ما أجملت .

يجب ضرب الحجاب على المرأة ومنعها من مخالطة غير محارمها من الرجال ومن النساء الأجنبية والمترجلات لانهن يحكم الرجال غير المحارم ، ويشترط في سفرها أن يكون معها زوجها أو ذورحم محرم منها وهو من لا يجوز له بحال أن يتزوج

بها كأيها وابنها وأخيها وابن أخيها سواء أكان سفرها لطاعة كإدام
فريضة الحج ، أو لغير طاعة كغيره من الأسفار ، وتجب عليها العدة في الطلاق
وعند موت الزوج ، وتسقط عنها الصلاة والصيام في وقت حيضها ونفاسها ولكنها تقضى
الصيام لا الصلاة في طهرها منهما ، ويحرم خروجها من بيتها بدون إذن زوجها ،
وله منعها من نوافل العبادة فلا تتنفل بصلاة أو صيام أو صدقة أو حج إلا
بإذنه ، وترث من زوجها نصف ما يرث منها ، ولها أن تذكر رفيقتها وقت الشهادة
إذا أخلت بأدائها لنقص عقلها كما قال الله تعالى (أن تصل إحداها فتذكر إحداها
الأخرى) ولا تكفى شهادة امرأتين أو أكثر ولو ألف امرأة ما لم يكن معهما
أومعهن ذكر بالغ إلا فيما لا يعلم إلا من جهتين للضرورة ؛ كشهادتهما أو شهادتهن إن
فلانة حبلى أو غير حبلى ، ولا تقتل المرأة إذا ارتدت بل تحبس حتى تتوب ، ولا
تقبل شهادتهما في الحدود والقصاص ولا تنفى من البلد التي هي فيها سياسة ولا
تكلف الحضور للدعوى إذا كانت مخدرة ، ولا لليمين ، بل يذهب إليها القاضي
أو نائبه فيسمع دعواها أو يحلفها إذا وجبت عليها يمين بحضرة شاهدين ، والمخدرة
هي المرأة المتصونة الملازمة لبيتها التي لا تخرج منه إلا لحاجة ضرورية ، وليس لها
من يقوم بأدائها عنها ، والأفهي كالرجل تذهب للدعوى ولحلف اليمين . ولا تبدأ
المرأة بالسلام ولا بالتعزية ولا بالتهنئة إذا كانت شابة ، ولا تجاب إذا تكلمت ،
ولا تشمت إذا عطست ، وتمنع من حلق شعر رأسها إلا لعذر ، ويباح لها خضب
يديها ورجليها لا للرجل إلا للضرورة ، ويجب عليها الانفاق على القريب المحرم
الفقير العاجز عن الكسب كأن يكون لرجل أم وعم ميسوران فعلى الأم
ثلث النفقة ، وعلى العم الثلثان ، والأفعلى الميسور منهما كل النفقة . والمرأة
تنتف عانتها لأن التنف أدعى إلى تهدئة ثورة الشهوة ، والرجل يحلفها لأن
الحلق يزيد بها ، كما أن التنف ينقصها ، ومنها اليابس لا يطهر بالفرك مطلقا سواء
أكانت مستنجية بالماء أو غير مستنجية ، بخلاف منى الرجل اليابس في الثوب فإنه
يطهر بالفرك إذا كان مستنجيا بالماء قبل إصابة الثوب منى ، وكل بدن المرأة

عورة أى يحرم كشفه ونظر غير الزوج وذى الرحم المحرم له إلا وجهها وكفيها وقدميها للضرورة ، وصوتها أيضاً عورة يحرم سماعه والاصغاء اليه تقصداً ولو كانت تقرأ القرآن فضلاً عما إذا كانت تغنى ، حتى أنها إذا كانت تصلى مقتدية بإمام وظهر منه ما يوجب التنبه له فالرجل يسبح فينتبه الإمام لموضع خطاه والمرأة تصفق بأصبعين من أصابع يدها اليمنى على ظهر يدها اليسرى تصفيقاً كافياً لاسماع الإمام إذا كانت قريبة منه ، وليس عليها تنبيهه إذا كان مع الإمام من هو أقرب اليه منها ، ويكره للمرأة دخول الحمام إلا لعذر كمرض يقتضى دخولها او نفاس ، لما فى الحمام من اخلاط النساء ، وترفع يديها حذاء منكبيها للصلاة ، والرجل يرفعهما حذاء أذنيه عند الحنفية ، وتضع يدها اليمنى بسطاً على يدها اليسرى بين ثدييها ، والرجل يحلق بابهام يده اليمنى وسبابتها مفصل يده اليسرى ويضعهما فوق سرتة . عند الحنفية ، وهى تتورك فى القعود للشهد ولا تنحنى كثيراً فى الركوع إلا بمقدار ما تمس برؤس أصابعها ركبتيها ، وتلصق بطنها بفخذها فى السجود إلا إذا كان لها مانع يمنعها من حبل أو انتفاخ بطن ، ولا تحضر المرأة الجمعة ، ولا الجماعات ، ولا صلاة العيدين ، ولا صلاة الجنازة ، ولا صلاة التراويح ، ولا تذهب الى الصلاة فى المساجد ، بل تصلى فى بيتها ولا تؤم أى لا تكون إمامة ، وتكره جماعات النساء للصلاة ، فإذا صلت مؤتمة يقف الرجال أولاً ، ثم الصبيان ، ثم الحنثاء ، ثم النساء ، وعلى الإمام أن ينوى إمامته للنساء وإلا لا يحصلن ثواب الجماعة ، ولا تؤذن المرأة ، ولا تقيم ، ولا تصح إمامتها للرجال ، وتكره إمامتها للنساء ، فإن أمتن أى صلت بهن إمامة متقف وسطهن ، ولا تجهر بالقراءة فيما يجهر به وهو صلاة المغرب والعشاء والفجر لأن صوتها عورة بل تسر فى جميع الصلوات مطلقاً سواء كانت تصلى منفردة أو إمامة بغيرها . وتقدم المرأة على الرجل فى الحضانة ولها على الرجل نفقة الولد الصغير وهو من كان دون سبع سنوات للذكر وتسع سنوات للأنثى ، فإذا بلغ الصبي أو البنت السن المحددة لهما ، فأبوهما أحق بهما من أمهما ، وتقطع عنه النفقة الواجبة لأمهما ، وتؤخر

المرأة في كل اجتماع لها مع الرجال كالصلاة والوقوف في عرفات وفي الجنائز والحد بأن دفن اثنان أو أكثر للضرورة في قبر واحد ، فيوضع أولا الرجل مما يلي القبلة ، ثم المرأة خلفه ، وبين كل ميتين حاجز من تراب ، وتجب الدية للمرأة تامة بقطع ثديها أو حلته لا ثدى الرجل - ثدوته - بل فيه حكومة عدل ، ويقابل بضعها بالمهر لا بضعه كما يفعل غير المسلمين ، أى أن على الرجل دفع المهر للزوجة لا أن تدفع هي له ، ولا يجب عليها ولا على وليها جهاز شرعا ، وأنه لا يجب على الرجل مداواتها إذا مرضت بل مداواتها على وليها المحرم منها ، ولبنها محرم في الرضاع لابن الرجل ، وتحرم الخلوة معها على الأجنبي ، والكلام معها مالم تكن غير مشتهة لكبر سن أو مرض مشوه ، ويحل لها لبس الحرير وتوسده واقتراشه والتحلى بالذهب والفضة لا للرجل إلا ما هو قدر أربع أصابع عرضا لباسا ، ويجوز له في غير اللباس كاقتراشه وتوسده مثل المرأة ، ويجوز له الخاتم والمنطقة وحلية سيف وشد أسنانه بالفضة أو بالذهب كما فعل سيدنا عثمان بن عفان الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم ، وحمل منديل حرير للوضوء أو الامتخاط ، ويكره إلباس الصبي الذهب والحرير وإثمه على وليه ، ويستحب بحق المرأة الاسفار بصلاة الفجر والتغليس بحق الرجل ، وليس عليها تكبير في عيدى الفطر والأغنى ، ولا تخطب في جمعة ولا عيد ولا في غيرهما سواء أ كانت الخطبة دينية أو سياسية ، ولا تغسل ميتا ذكرا إلا أن يكون ذا رحم محرم منها لا زوجها ، ولا تجهزه ولا تشيعه ولا تحمله ولا تدفنه ، وأنها إذا ماتت تكفن بخمسة أثواب ، درع وهو ما تلبسه المرأة فوق القميص ، وإزار وخمار وهو ما تستر به رأسها ، ولفافة وخرقة يربط بها ثديها ، والرجل يكفن بإزار وقيص ولفافة فقط من غير درع وخمار ، ولا خرقة يربط بها ثديها - ثدواتها - ولا تؤم المرأة في الصلاة على الجنازة ، ويندب لها نحو القبلة في التابوت لا للرجل ، ويسجى قبرها لا قبره ، ولا تحج حجة الاسلام - حجة الفرض - فضلا عن حجة النافلة ، ولا تسافر مدة السفر إلا ومعه زوجها أو ذو رحم محرم منها ، ولا

تحرم كما يحرم الرجال بل تلبس الخيط ، ولا تلبى جهرا ، ولا تسعى بين الميادين
 الأخضرين ، ولا تحلق شعرها بل تقصر ، والحلق للرجل أفضل من التقصير ،
 ولا ترمل في الطواف ، ولا تطوف قرية من الكعبة حتى لا تتأثر بالازدحام
 الحاصل من الطائفين والمستلمين للحجر الأسود ، وتقف في عرفات في حاشية
 الموقف كذلك وهي قاعدة لا قائمة كالرجال بين الصخرات ، وتلبس في الحج
 الخفين ، وتترك طواف الصدر لعذر الحيض ، وتؤخر طواف الزيارة بسببه أيضا
 واختصرت ما وقفت عليه من الأحكام الخاصة بالنساء من كل باب من أبواب
 العبادات ، والمعاملات ، والعقوبات ، والآداب ، اكتفاء بما ذكرته تبينا لمباينة
 النساء للرجال في كثير من الأحوال ، وفيه الكفاية لمن أراد الاذعان والهداية
 بصحة المباينة . ومن لا فلا تنفع معه الاسفار كما يقول المثل التركي - اكلا يانه
 سيورى سينك ساز - اكلام يانه طاوول زورنا آز . معناه وليس هذا الفرق والتباين
 بين الرجال والنساء مختصا بهما في الحياة الدنيا فقط ، بل بينهما في الآخرة تباين أيضا ،
 ففي كتاب نوادر الاخبار لابن المقري الاثبارى رحمه الله تعالى عند الكلام على الجنة
 ونعيمها ورؤية أهلها لذات الله جل وعلا عيانا مانصه : لو قال قائل أو سأل سائل
 هل يرى النسوة ربهن يوم القيامة أم لا ؟ فالجواب لا ، ولكنه يتجلى لهن . فان
 قيل فما الحكمة في ذلك ؟ فالجواب أنه إذا تجلى الله جل جلاله للرجال وسجدوا له
 السجدة مقدار أربعين سنة فعند ذلك يتجلى الله سبحانه وتعالى للنساء وهن في قصورهن
 فينظرن إليه ، كما سترهن في الدنيا فانه يستترهن في الآخرة ، تنظر كل امرأة من قصرها
 الى وجه ربه .

باب

١٨

في جماعات النساء وما يدور بينهن من أحاديث وأنباء

في الحديث الشريف « لا خير في جماعات النساء إلا عند ميت ، فانهن إذا اجتمعن
 قلن وقلن » - رواه الطبراني عن خولة بنت النعمان وعبد الله بن عمرو بن العاص - وفي
 الكامل لابن عدى المتوفى سنة ٣٦٥ قال سفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨ رحمه

الله تعالى سمعت علي بن زيد بن جدعان يقول : مثل النساء إذا اجتمعن مثل البط ، إذا صاحت واحدة صحن جميعا . وقال بعض رجال الغرب : أكثر أحاديث النساء فيما بينهن على لاشيء ، وأكثر شغلن فيما ليس بشيء اه وأحاديث النساء تختلف باختلاف أوضاعهن ، فالشابة منهن تتحدث عن جمالها وزينتها وموافقة ملابسها لآخر طرز مستحدث أو عدم موافقتها ، وعن فلانة وملابسها ومحبتها لفلان الفلاني ومحبة هو لها ، أو محبتها هي لزيد أو لعمر ومكاتبته لها أو هداياه وذهابهما الى السينما ومسرح المغنية فلانة أو الممثلة فلانة ، وإن فلانة الممثلة أو المغنية احسن من فلان المغنى أو الممثل وما أشبه هذه الترهات والسفاسف من الأحاديث التي لا يقيم لها وزن ، ولا تعلق لعقل بذهن ، وإنما هو نوع من التثرثرة أشبه بما عند الأعاجم من رطانة أو بربرة . والمتزوجات أكثر أحاديثهن عن أزواجهن مدحا أو ذما بحسب ما لهم من المنزل عندهن ، وعن كون فلانة كبرت ولم يأتها طالب ، وعن كون فلانة يا بختها تزوجها فلان وهو ماهو ، ويفض في مدحه ، وعن كون فلانة جميلة ولكن ما لها بخت ، وفلانة كالجارية ولكن لها بخت ، إلا صاحبة الحديث فانها ما لها بخت ولا حظ ولا طالع والجارات حديثهن انتقاد جاراتهن وإفشاء ما عندهن من المعاييب بحسب نظرهن ، والكلام على عيشتهن وأكلهن وشربهن وما أشبه ذلك ، والعجائز حديثهن عما مضى لهن وعليهن من حوادث كنا وصرنا ويا ما أكلنا وشربنا ، ويأسف على شبابنا ، ونحن براء من نساء هذا الزمان وشاباته ، وفلانة كانت وكان زوجها ونحوه . وليس في النساء من تتحدث عما عليها من واجبات لربها وزوجها وبيتها وأولادها وما يلزمها فعلة ويجدر بها تركه ، كأن لم يكن في العالم شيء من ذلك مذكورا سوى ما يباحثن فيه من تلك الترهات ، وكثير منهن يرين أزواجهن في شغل بال ، وقلق حال ، فلا يمنعن أنفسهن من أن يقنن ويقنن ، إما من مطالبة بما ليس لازما لهن بل هو من مقولة السرف والتبذير ، وإما من فتح باب الخصام والجدال معه لالسبب ، حتى ولو كان فلا طائل تحته . ومنهن من يتخذن المحادثة مع أمثالهن وسيلة لاثارة الجدال والنزاع بينهن ، فيبدأن أولا بالكلام اللين ثم يتدرجن بالشدة فيه حتى يؤدين

إلى التماسك بالأعناق والتفاف للشعور ، وكل منهن تصيح بقدر ما تنسج لها حنجرتها
 وبطنها ، وكل منهن تدعى أنها المظلومة ومقابلتها هي الظالمة ، وتقوم القيامة بينهن .
 وهذا من نتائج اجتماعاتهن للحديث والسمير ، إلا أن اجتماعاتهن للمآتم أخف شراً
 من غيرها حيث يشتغلن بالبكاء المصطنع رعاية لأهل من هم في مأتمه ، فلا يتسع لهن
 المجال للجدال والقييل والقال كما أخبر عنهن الحديث الشريف السالف الذكر . وكلام
 النساء عن أزواجهن إن مدحاً وإن ذمّاً وإن خيراً وإن شراً عادة قديمة منذ الجاهلية
 فقد ذكر الامام مسلم المتوفى سنة ٢٦١ في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها
 فيما روته عن رسول الله ﷺ إنها قالت : جلس إحدى عشرة امرأة فتهاهدن وتعاقدن
 أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً ، فقالت الأولى : زوجي لحم جبل غث على
 رأس جبل ، لاسهل فيرتقى ، ولا صعب فيستقل . وقالت الثانية : زوجي لأبث خبره ،
 إنني أخاف أن لا أذره ، إن أذكره أذكر عجره وبجره . وقالت الثالثة : زوجي
 العشيق إن أنطق أطلق وإن أسكت أعلق . وقالت الرابعة : زوجي كليل تهامه ، لا حر
 ولا قر ، ولا مخافة ولا سامة . وقالت الخامسة : زوجي إن دخل فهد ، وإن خرج
 اسد ، ولا يسأل عما عهد . وقالت السادسة : زوجي إن أكل لف ، وإن شرب
 اشتف ، وإن اضطجع التف ، ولا يوجب الكف ليعلم البث . وقالت السابعة : زوجي
 عيائاً غيائاً طباقاً كل داء له داء شجك أو فلك أو جمع كلالك . وقالت الثامنة :
 زوجي الريح ريح زرب ، والمس مس ارنب . وقالت التاسعة : زوجي رفيع
 العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد . وقالت العاشرة :
 زوجي مالك ، وما مالك ، مالك خير من ذلك ، له إبل كثيرات المبارك ، قليلات
 المسارح ، إذا سمعت صوت المزهر أيقن أنهن هوالك . وقالت الحادية عشرة :
 زوجي أبو زرع فما أبو زرع ، أناس من حلي أذن ، وملاء من شحم عضدي ،
 وبجني فتبججت إلى نفسي ، ووجدني في أهل غنيمة بشق فجعلني في أهل صهيل
 وأطيط ، ودائس ومنق . فعنده أقول فلا أقبح ، وأرقد فأصبح ، وأشرب
 فأثقب . خرج أبو زرع والأوطاب تمخض فلقني امرأة معها ولدان لها كالفهدين

يلعبان من تحت خصرها برماتين ، فطلقني ونكحها ، فنكحت بعده رجلا سريا ، فأعطاني من كل رائحة زوجها ، وقال كلئ أم زرع وميرى أهلك ، فلو جمعت كل شيء أعطاني مابلغ أصغر آنية أبي زرع اه

قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : وصفت الأولى زوجها بشراسة الاخلاق وصعوبة الامتزاج بمعاشرته ، والثانية بأنه ذو عيوب كثيرة باطنة وظاهرة تخاف من الاشمئزاز منه اذا هي ذكرتها ، والثالثة وصفته بالحق وسوء الخلق وأنها تخاف إن تكلمت أن يبلغه فيطلقها ، والرابعة وصفته بلين العريكة ودمائة الخلق وحسن المعاشرة ، والخامسة وصفته بكثرة النوم وإهماله لعمله وانه لا يوفيه حقوق الزوجة ، والسادسة وصفته بالهممة في الاكل والشرب والانفراد بالمضجع عنها ، والسابعة وصفته بالعنة والشره وجهالة حاله وكثرة خصامه وصعوبة حالها معه ، والثامنة وصفته بالنظافة ونعومة الملبس وذلك كناية عن الرفاهية وطيب العيش ورقة الحس وحسن الخلق ، والتاسعة وصفته بالشجاعة والكرم وكثرة الضيافة ، والعاشرة وصفته بنحو من ما وصفت به زوجها التاسعة ، والحادية عشرة وصفته بكثرة إكرامه لها وتوسعته عليها وحبه لها وأن زوجها الثاني على سعة كرمه لا يعادل جزءا من حال زوجها الاول اه

واجتمع أربع نسوة فوصفن أزواجهن بما فيهم من الخير فقالت الأولى : زوجي عوني في الشدائد ، وهو عائدي من دون كل عائد ، إن غضبت عطف ، وإن مرضت لطف .

وقالت الثانية : زوجي لما عاني كاف ، ولما أسقمني شاف ، عرفه المسك المداف ، وعناقه كالخلد ، لا يمل على طول العهد .

وقالت الثالثة : زوجي الشغار حين أبرد ، وأنيس حين أفرد .

وقالت الرابعة : زوجي نعيم لا يوصف ، وسرور ليس منه خلف اه

قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : رحم الله تعالى هؤلاء الزوجات وأمثالهن اللاتي يذكرن جميل أزواجهن ، ويعرفن فضلهم . وبارك الله بأمثال أولئك الأزواج

الذين يعاملون أزواجهم باللطف والحنان والايأس ، وبهم فليقتد المقسدون ، وبأمثالهم فليتنافس المتنافسون ، وكل يذكر بعمله ، الى نهاية أبده وأزله .

باب في أمثال النساء

١٩

للنساء أمثال يتمثلن بها في أنفسهن وفي المجتمعات التي يجتمعن بها ، وفي كثير منها معان عالية ، وحكم غالية ، لا يستهان بها ، ولو أنها بالألفاظ العامة . وهانحن نذكر بعضها كما هو بلفظه من غير تبديل - قلبن - (ا) إن كنت حرة لاتضعي تقابك بره . اسم الزوج ولا طعم الترميل . إن كان زوجي راضى إيش يقول القاضى . إيش أنت فى الحارة يا منخل بلا طاره . الى أن يخلص ربى حقى تتفرقع جوزة حلقى . آكل فيه وعند الشغل مالى نيه .

(ب) بعد سنة وشهرين جابت بنت بشفرين . بعد أن كان زوجها بقى طباخ فى عرسها . بدال ما تمشى وتهزي كتفك رقعى فردة خفك . بدال لمتك وقلقاسك هات لك شدة على راسك . بدال اللحمة والباذنجان هات لك قميص يا عريان . بعد الجوع والقله بقى لك حمار وبغله .

(ت) تموت القرقة وعيناها بالصيصان . تسكر وتخانق ما هو شىء موافق . تابت القحبة يوم وليلة قالت مابقى فى البلد حكام . تأخذى أبونا وتكابرينا . تباهى القرعة بشعر بنت أختها . تقعد عيوشه فى ديارتها مالا أحد حاجه فى زيارتها . (ج) جانى عدولى ورثالى ماهي محبة لإشباته لى . جور القط ولا عدل الفار . جالو كتاب من عند خاله قال كل من هو فى حاله . جالو كتاب من عند عمه قال كل منهم ملهى بهم . جوزوا مشكاح لريمه ماعلى الاثين قيمه .

(ح) حط فليساتك فى كمك واشتري أبوك وأملك . حوله ونصرانيه لاملححه ولا أصل طيب .

(خ) خذنى وارغبى فيه أنا بياع ملوخية وعند الخبز آكل فيه وعند الشغل مالى نيه . خذ ذا الصبي فوق صيانك تمام لآحزانك (ذ) ذكروا مصر القاهرة قامت باب

(ر) راحت على جمل وجاءت على قطه قال مالدى الشيلة لإلادى الحظه .
 راحت رجال الهيبة وبقيت رجال الخيبة . رقصت ما أحسننى كان قعادك أجمل .
 (ز) زى الوز حنيه بلا بز . زوجت بئى أقعد فى دراها جاتنى وأربعة وراها .
 زوج القصيرة يحسبها صغيرة (س) سألوها عن أبيها قالت جدى شعيب (ش) شراء العبد
 ولا تربيته (ض) صارت القحبة واعظة والقويقة شاعرة (ض) ضحك ابن سنه غمى على أمه
 قالت ما أخفدمه (ط) طلعت تترحم نزلت تتوحم . طب الجرة على فهمها تطلع البنث
 لا ميا . طعامك ما جانى ودخانك عماني . طول الغيبة وجانا بالخيبة . (ع) عجوز
 جابت غلام إذا جنت لا تلام . عملت الغولة ضيافة بالله تكفيها وتسكى أولادها .
 (غ) غالى السوق ولا رخيص البيت (ف) فتمير ونقى وكله كثير .

(هـ) كل من تبعته هواها صار لباسها رداها . كبرتي ياربوقه وبقى لك دوقه .
 كأنها من عمائم اليهود صفرا طويلة رفيعة . كل هم كماوى عند همى ياوي . كمل
 حبيبي كل المعاني أخرج ومقيلط ومعجباني .

(ل) لا أخوكى ولا ابن عمك بقى تولولى على ايش . لو كانت الاسماء تباع وتشترى
 لكان اسم فلان خ . . . بن خ . . . لولا الغيرة والحسد كانت عجوزه كفت
 بلد . لو عمل لى مرتبة من ذهب ووليمة هو عندى بتلك العين القديمة . لولا المعايير
 ما كانت الحراير .

(م) ما رأيته يانور حتى ابيضت العيون . ما كفانا هم أبونا قام أبونا جاب ابوه
 قال خذوا جدم ربوه . ما عندهم دقيق اشتروا لهم منخل رقيق . مرضعه وعلى
 كتفها أربعه وطالعه للجبل تحجب دوا للجبل . مال الكنزى للنزهى . من عدم نابه
 ونصابه وثيابه وتبابه كان الموت أولى به . مثل القرع ما يمد إلا لبره .

(ن) ناس فى سكتة وناس فى هريه ونسكتة (و) وقعة السلامه لها علامه . وجه لا يرى
 بالذهب يشتري (ى) يا مربي غير ولدك يا بانى فى غير أرضك . يامن ملنا ما كان حلنا
 لسه مالنا فى العشره سنة .

باب

٢٠

في النساء وأحكام الله من أوامر ونواه

خلق الله تعالى الخلق جميعهم من إنس و جن و ملك لعبادته كما قال جل و علا
 (وما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون) و نوع لهم أنواع العبادات حتي ينشطوا
 في العمل من غير سآمة و لا ملل فواجب الخلق جميعهم العبادة مسلمهم و غير
 مسلمهم كل بحسب ما كلف به فالمسلمون يعملون كل بحسب ما يري منه احترام الدين
 و تقدير عظمة رب العالمين و المقصرون منهم كثير و الذين كفروا يتمتعون
 و يأكلون كما تأكل الانعام لا يعباون بدين و لا يفكرون بعاقبة و لا مصير يود أحدهم
 لو يعمر ألف سنة و ما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر و النساء كالرجال من حيث
 التكليف بالأعمال إلا أن لهم أحكاما خاصة بهن منها ما هو مذكور في قوله تعالى
 (و قرن في بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى و أقمن الصلاة و آتين الزكاة
 و أطعن الله و رسوله و اذ كن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله و الحكمة) و منها ما بينته
 السنة الشريفة من أحاديث الرسول ﷺ مما لهن و ما عليهن و اليك بعضا مما يتعلق
 بهن من الأحكام لهن و عليهن حسب ما تقتضيه شريعة الاسلام .

النساء و حظهن من العلم بالدين

لا نكذب على الله تعالى و لا نغش أنفسنا ، بل نقول الحق : إن النساء من
 شابات و من فوقهن مثل الشبان كلاهما مجرد عن معرفة أحكام الدين أمراً و نهياً ،
 لا يعرف منه إلا اسمه و رسمه ، و ما يقوم به من الأعمال إن هو إلا تقاليد جوفاء
 خالية من الحقيقة و جد عليها أباه من قبل فتبعها على غير علم بها ، بل أخذ ينبذها
 وراء ظهره و يهزأ بمن كان يفعلها حقيقة أو تقليداً ناسباً له الجمود ، و كيفها قلبت
 بصرك لا تجد الدين في الغالب مستعملاً فيما وضع له ، إن هو إلا مجرد الانتساب
 اليه بحيث لو سئل ما دينك ؟ قال ديني الاسلام ، و ما عنده منه إلا الاسم و شيء من
 الرسم ، و أما حقيقة العمل به و الانتفاع بما جاء فيه و هو الذي يرقى صاحبه الى
 ذرى الكمال فهو عنه بمعزل . و لأب يهتم بأمر تعليم ولده دينه ، و لأأم يخطر لها ذلك

على بال ، والولد ذكرا كان أو أنثى ينشأ مهملًا سارحا على كيفه وهواه بالرغم من كونه يذهب الى المدارس وهى ليس فيها من التعليم الدينى ما هو جدير بالعناية . وهمم الشبان والشابات مصروفة الى اللهو والخلاعة والطرب والمرح ، وقل أن تجد منهم أو منهم من لا يعترف على آلات اللهو من بيانو وعود وكمنجا وقانون ودف ونقارة ، وقل أن تجد بيتا ليس فيه فونوغراف أو بيانو . وقد أخذ الراديو أيضا ينتشر ويعم البيوت والمنازل ، وليس هم أحد من القسمين إلا باتباع بطنه وامثال . أمر شهوته من غير أن يخطر له على بال أحرام هذا الذى يفعله أم هو حلال ؟ بل عنده قاعدة مسلمة لا يعدل عنها وهى الغاية تبرر الوسطة نبذوا تعاليم الله وراء ظهورهم فلا يفكرون فى قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) ومادام الحال على هذا المنوال فما بعد الحق إلا الضلال ، مهما تبجح المتبجحون والمتبجحات . قال سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه : والله لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . ومعلوم أن صلاحها كان بإقامة الدين ، فلم يرجع الناس الى العمل بدينهم لا رجاء فى فلاحهم أصلا ، بل لا يمر بهم يوم إلا والذى بعده شر منه .

النساء والتربية والتعليم

المرأة غير مكلفة بتعلم ما لا حاجة لها به فى دينها وبيتها ، فانها خلقت لتكون ربة بيت تلد وتربى ، وإنما يجب على وليها أو زوجها أن يعلمها ما تحتاج اليه من أحكام دينها ، من طهارة ، وصلاة ، وصيام ، وزكاة ، وحج ، وحيض ، ونفاس ، ونكاح ، وإرضاع ، وصحة عقيدة ، وبيان ما هو حرام عليها مما هو حلال لها ، ومعرفة ما يجب لها وعليها من الحقوق لزوجها وأولادها وبيتها ، وهذا شئ كثير إذا عنيت به لا تجد وقتا لتعلم ما لا لزوم به . وماهى حاجة المرأة فى تعلم العلوم والفنون الزائدة على اللازم من هندسة وجغرافيا ولغات أجنبية ، ورقص وغناء وعزف على آلات اللهو ، حتى أن الكتابة ليست لها من الأمور الضرورية بالنسبة لضرورتها للرجال ، على أن كثيرا من الحفاظ والقراء والوعاظ والمدرسين والشعراء والأدباء

كانوا عميانا وقد تعلموا وتفقهوا وتأدبوا وألفوا وعلوا اعتمادا على حفظهم، فلم تكن جهالتهم بالكتابة مانعة من نبوغهم، قال الشاعر :

ليس بعلم ماحوى القمطر ما العلم إلا ماحواه الصدر

وقد قال نابليون بونابرت عاقل الفرنسيين المتوفى سنة ١٨٢١ هـ ١٨٢١ م : إن التعليم العمومى لا يوافق النساء لأنهن ما خلقن ليعشن بين الجمهور ، بل الزواج ولزوم البيوت منتهى غاياتهن . وقال جورجى هربرت : إن أما صالحة خير من مائة معلم . فالواجب تربيتها تربية تصلح للقيام بما هو مطلوب منها ، وذلك بتنمية الأخلاق الفاضلة الكاملة فيها كالحلم ، والأناة ، والمثابرة على الأعمال ، والتواضع ، والصبر ، والايثار ، والتعاون ، وليس فى المدارس شئ من ذلك . وقال الشيخ محمد عبده المصرى المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ : خلق الله النساء لتدير أمر المنزل وهو دائرة محدودة يقوم عليها فيها أزواجهن ، تخلق لهن من العقول بقدر ما يحتاجن إليه فى هذا ، فيجب عليهن أن يتعلمن بقدر ما يلزم لترتيب أمور بيوتهن ، وتأدية وظائفهن ، وتربية أولادهن . وقال الشيخ توفيق البكرى المتوفى سنة ١٣٥١ هـ فى كتابه المستقبل للإسلام : علوم المدارس ليس فيها إلا قشور قصص صانع موظفين للحكومة ، أو أجراء لبعض المهن كالطب والحقوق . وقال الشيخ رشيد رضا فى كتابه (نداء للجنس اللطيف) : لا خير للنساء فى مساواة الرجال ومشاركتهن لهم فى أعمالهم ، ولا فى الاشتغال بالسياسة واتباع تقاليد الخلافة ، بل الخير لهن بتربية أولادهن تربية توافق قواعد الدين الإسلامى ، وبالأعراض عن قراءة مجلات الفكاهة ، والخلاعة ، والسفاهة ، واستبدالها بقراءة كتب الدين الإسلامى وتاريخه للنظر فى تفضيله على جميع الشرائع والأديان . وقال ديدرو والفيلسوف الفرنسى : لا أعترض على زوجة جارى إذ رأيتها تكتب وتؤلف ، ولكن أريد من زوجتى أن لا تعرف غير خياطة القميص ، وحاكة الجورب . وقال غيره : المرأة التى تقضى وقتها بالكتابة والتأليف ترتكب خطيئتين ، تزيد عددا لكتب ، ونقص مقدار النساء . والزواج عبث وتعب فكر لامرأة تقضى أوقاتها بالكتابة والتأليف اه وقد كثر

تذمر أرباب العقل والادراك من حالة التعليم المدرسى للبنين والبنات ، فانه متنوع
الانواع ، وكثير الشعوب ، ولكنه غير مفيد فائدة يحسن الاكتفاء بها . لانه
يتبع أصول التعليم الاfrنجى وهو غيره لبلاد شرقية إسلامية ، ومن المسلم به أن
ما كان لقوم لا يصلح لآخرين ، لاسيما إذا كان البون بينهم شاسعا . فأين نحن معشر
الشرقيين الاسلاميين من قوم غربيين دينهم غير ديننا - وقد لا يكون في بعضهم دين
أصلا - وعاداتهم غير عاداتنا ، وطبائعهم غير طباعتنا ، فلماذا أصبح التعليم المدرسى محدودا
ببرامج وكتب وأوقات متى ما استوفيت انتهى التعليم ، وقيل لذلك المتعلم - أو المتعلمة - إنه
أكمل تحصيله ، إشارة الى انه لم يبق له حاجة في التعلم . وهذا نقص في الشعور ، وتحديد المدى
العلم الذى لا يحد ولا يوقت بوقت . وأصبح المتخرج من مدرسة يطالب بوظيفة
استنادا على ما بيده من شهادة تشهد له بدخول المدرسة وإكمال مدتها ، فأصبحت حالة
المتعلمين والمتعلمات غير مرضية ، لاسيما أن معلوماتهم - أو معلوماتهن - غير كافية ،
ولا هى من الأمور اللازمة . والذين ييدهم زمام الأمور لا يلقون بالا الى شكوى المشتكين
قصد إصلاح الفاسد ، اعتمادا على ما عندهم من الرأى الذى قد يجوز أن يكونوا على غير
صواب فيه . وإذا لم يجوز للنساء أن يتعلمن ما زاد على حاجاتهن من العلم الضرورى في دينهن ،
فمن باب أولى أن لا يجوز لهن أن يتعلمن ما يشين عفتهم ، ويوقعهن في الشبهة والريبة ، كتعلم
الغناء ، والموسيقى ، والرقص . وأكثر المعلمين والمعلمات لهذه الأشياء من غير المسلمين
والمسلمات ، ويحصل في أثناء التعليم والتعلم من الاوضاع ما لا يأذن به الشرع ، ولا يرضى به
أصحاب الدين ، ولا يقره إلا كل من هو ساقط المروءة فاقد الغيرة ، ومن لا يغار على
أهله من العار له في الآخرة عذاب النار . قال رسول الله ﷺ : « إني لغيور
وما من أمرى لا يغار إلا هو منكوس القلب » . وقال في حديث آخر « الحياء
حسن ولكنه في النساء أحسن » . وقال بعض أهل العلم من السلف الصالحين :
من لم يحفظ أهله من تعدى حدود الله تعالى وخروجهن عن طاعته ، فهو ديوث فاسق ،
آثم معذب .

وقد جاء في السنة السنية ما يلزم تعليمه للنساء وما لا يلزم ، فقد قال رسول الله

ﷺ « لا تنزلوا النساء الغرف ، ولا تعلموهن الكتابة ، وعلوهن الغزل ، وسورة النور » - رواه الحاكم والبيهقي عن عائشة - وإنما خص سورة النور من بين جميع سور القرآن الكريم لما فيها من الأحكام الكثيرة المتعلقة بالنساء ، كأحكام الزانية والزاني ، وحكم قذف النساء المحصنات ، وحكم اتهام الزوج زوجته بالقيح ، وما يقتضيه من اللعان بينهما ، وحديث الإفك وإشاعة السوء على النساء العفيفات المحصنات ، وتزوج الطيبين بالطيبات ، والخبيثين بالخبيثات ، وحكم الدخول على البيوت ، وأمر النساء والرجال بغض الأبصار وحفظ الفروج ، ونهيهم عن إظهار زينتهن إلا لأزواجهن وذوي الرحم المحرمين منهم ، وجواز نكاح الأيامي - وهن النساء اللاتي كان لهن أزواج وتركوهن إما بموت أو طلاق - والاماء ، وأمر من لا يقتدر على النكاح بالاستعفاف حتى يسر الله تعالى له ما يقدر به على النكاح ، وحكم الدخول على النساء ، وجواز كشف المرأة المسنة وجهها من غير تبرج ، مع التوصية لهن بالتعفف عن ذلك ، وكل هذا مما يجب على النساء معرفته . ولذلك أمر رسول الله ﷺ بتعليمهن سورة النور - أي تعليمهن ما فيها من الأحكام - .

النساء ورغبتهم بآلات اللهو والغناء

حيثما سرت وأين توجهت ، وقعت عينك على شابات يحملن بأيديهن آلات اللهو والطرب من عود وكنجا وغيرهما وما يقتضى لذلك من دفتر الاشارات (نوته) ذاهبات الى المعلم أو المعلمة ليتعلمن ، أو راجعات من التعلم ، كأنه لم يبق للنساء ما يحتجن الى تعلمه إلا هذا ، وأنهن رائحات الى مسارح اللهو يسمعن ما تجود به أصوات المغنيات ثمة ، أو المغنين أيضا . وليس هذا الانكباب على اللهو خاصا بهن فقط ، بل هو أيضا شامل للشبان رجال المستقبل الذين تعقد آمال سعادة الوطن عليهم . وقد اتسع نطاق الانكباب على هذا العلم النفيس ؟ حتي صار من الدروس المقررة في المدارس أيضا ، وحتى أنشئت له المعاهد والمنازل ، وأخذت الاعلانات عنه بالترغيب فيه مع الجمع بين الزوجين الذكر والأنثى وقت التعلم والتعليم ، من غير أن يفكر أحد فيما يجز ذلك من العواقب المضرة ، فضلا عن أن يعلم أن الغناء

والعزف على آلات اللهو كيفها كانت وكيفها سميت واتخاذ ذلك صنعة محرم في الشرع الاسلامي ومعدود من الكبائر عند أكثر العلماء الرجال والنساء ، ومتوعد عليه باللغة والسخط والغضب على من يعاينه ذكر آكان أو أنثى ، لما في ذلك من التأثير في جذب النفوس للهوى ، وسلب الرشد عن أهله لاسيما إذا قارنه شرب المسكر - وقل أن لا يقارنه - إذ من لا يشرب لا يطرب ، ومن لا يطرب لا يبرع ، والبراعة إنما تأتي من غلبة السكر على العقل حيث يرتفع الحياء فيفعل المغنى أو العازف ما يشاء ، ولو تأمل المغنى أو العازف بأوضاعه وهو يغنى أو يعزف لحجل من نفسه فضلا عن أن يحجل من غيره ، وهو السامع الذى يستمع اليه . ومثلهما الممثل والمثلة ، والمهرج والمهرجة ، وكل من يقول قولاً أو يعمل عملاً يضحك به الناظرين والسامعين . وقد بين الفقهاء فى كتب الفقه وأحكام الدين أن أولئك الناس الذين يشتغلون بالغناء والعزف والتثيل (المحاكاة) والتهريج (السخرية) ساقطوا العدالة ، مردودوا الشهادة فى نظر الشرع الشريف الاسلامي ، بمقتون عند الحق والخلق أيضا ، وإن كانوا بحسب الظاهر محترمين عندهم . ولكن إذا سألت عنه قيل لك إنه مغنى ، أو دقاق عود ، أو ممثل ، أو مهرج ، والمغنية والعازقة أشد عيبا وأكثر ويلا وخزيا عند الله تعالى لأنها امرأة مأمورة بان تستر وخفض الصوت فى الأحوال المعتادة ، فسفورها حرام ، وصوتها حرام ، وتغنيها حرام ، وسبها حرام ، مع العلم بأن الغناء واتخاذ مهنة والتكسب به حرام مطلقا ، ولكنه فى النساء أشد حرمة . ومن الأحاديث الواردة عن الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله وسلم فى النهي عن الغناء وآلات اللهو ووعد من ينزه سمعه عنه بما هو خير له حديث « من استمع الى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع الى صوت الروحانيين فى الجنة » - رواه الحكيم الترمذى عن أبى موسى الأشعرى - وحديث « من استمع الى قينة صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة » - رواه ابن عساكر عن أنس بن مالك - (الآنك الرصاص) وحديث « إذا كان يوم القيامة قال الله عز وجل أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأبصارهم عن منامير الشيطان ميزوهم فيميزونهم فى كتب المسك والعنبر ،

ثم يقول ملائكتكته أسمعوهم تسبيحى وتمجيدى فيسمعون بأصوات لم يسمع السامعون مثلها ». وحديث « الغناء واللهوينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب » - رواه البيهقي عن جابر وابن أبي الدنيا عن ابن مسعود - وحديث « ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ، ويل له ويل له » رواه الأئمة امام احمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن معاوية بن حيدة - وورد في الحديث « ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره » - رواه حمات حبك عن أبي سعيد - وقال عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : الغناء رقية الزنا ما عاناه صبي إلا فسد ، ولا امرأة إلا بلغت ، ولا شاب أو شيخ إلا وقع في محذور . وقال الخطيئة الشاعر وهو ممن أدرك خلافة سيدنا معاوية رضى الله تعالى عنه لقوم نزل بهم : جنبوا مجلسنا الغناء فانه رقية الزنا . وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي : يا بنى أمية إياكم والغناء فانه ينقص الحياء ، ويزيد في الشهوة ، ويهدم المروءة ، وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر ، فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا . وفي كتاب الأغاني لأبي الفرج الأنصباى المتوفى سنة ٣٥٦ هـ في أخبار الدلال الخنث أن سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموى كان يسمر ذات ليلة على ظهر سطح ، فلما تفرق عنه جلساؤه دعا بوضوء (بفتح الواو) فجاءته جارية له به ، فبينما هى تصب على يديه إذ أوماً بيده لائن تصب وأشار بها مرتين أو ثلاثا فلم تفعل ، فأنكر ذلك منها ورفع بصره فإذا هى مصغية بسمعها الى ناحية العسكر ، وإذا رجل يغنى بأحسن صوت وأطيب نغمة :

محجوبة سمعت صوتى فأرقها من آخر الليل حتى شفى السهر
لم يحجب الصوت حراس ولا غلق قدمها بأعلى الخد ينحدر
فى ليلة البدر ما يدرى معانها أوجهها ما يرى أم وجهها القمر
لو خليت لمشت نحوى على قدم تكاد من رقة للشى تنفطر
فأنصت له حتى استوعب جميع الشعر ، حتى إذا كان الصباح بعث فى معرفة الرجل الذى سقى فأتى به ، ودعا بحجام ليخصيه فدخل عليه عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى رضى
٢ - ١٣ مرآة

الله تعالى عنه وشفع به . فقال له سليمان - وكان غيوراً على العرض - أسكت إن الفرس
ليسهل فتستودق الحجر له ، وإن الجمل ليخصر فتضجع له الناقة ، وإن التيس لينب
فتسحرم له العنز ، وإن الحمام ليهدل فتزوف له الحمامة ، وإن الرجل ليغنى فتشبق له
المرأة ، ولم يقبل شفاعته فيه بل أمر به فخصى . وكتب إلى عماله في البلاد أن
يخصوا من قبلهم من المغنين فخصوا اه .

قال السكّال أحسن الله تعالى إليه : رحم الله سليمان هذا وكل غيور على العرض ،
ما كان أفصحه وأوسع اطلاعه في اللغة ، فقد عبر عن غناء كل ذي روح بما اختص
به في اللغة ، وكل ما قاله يفسر بالغناء والشبق وميل الاثنى إلى الذكر والذكر إلى
الاثنى . وكان أبو يوسف الفيلسوف السكّدي وهو من رجال القرن الثالث الهجري
يقول لابنه : إياك والسماع فانه برسام حاد ، وذلك أن المرء يسمع فيطرب
فيسمح فيعطى فيفتقر فيهم فيمرض فيموت (البرسام التهاب يعرض للحجاب الذي
بين القلب والسكبد) وكتب بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ إلى تلميذ له
توفى أبوه وخلف له مالا : يا ولدي ذلك المسموع من العود يسميه الجاهل تقرا ،
والعاقل فقرا ، بل وقرأ ، وطلب بعض المغنين جائزة على غناؤه : فقال له المطلوب منه
المال روح ، والغناء ريح ، ولست أشتري الريح بالروح .

ولرب سائل يسأل أليس في الغناء وضرب الأوتار فائدة ؟ والجواب نعم إن
في الغناء وضرب الأوتار ترويحاً للنفس ، واستراحة للفكر ، وترويضاً للذهن ،
وشفاء من بعض الأمراض ، ولكن هذه الفوائد أدوية لا أغذية تستعمل
عند اللزوم ، لا تتخذ صنعة أو حرفة أو مهنة . قال بعض الفلاسفة : أمهات لذات
الدنيا أربع ، لذة الطعام ، ولذة الشراب ، ولذة النكاح ، ولذة السماع . ولا وصول
لثلاث الأول إلا بحركة وتعبد إلا السماع فانه خالص منه ، ومن خصائصه أنه
لا يحجزه شيء . وإن الجمع بينه وبين كل عمل ممكن ، وإن الأبل والخيل تستطيعه ،
والصبيان الرضع تستلذه ، والوحوش والطيور تسكن إليه ، لأنه غذاء الروح إلا
أن فيه مفسدة عظيمة في الدين والعرض ، فيستعمل عند الضرورة . مع العلم بأن

تغني المرأة لزوجها ، أو الزوج لزوجته لا بأس فيه ، بل هو من موجبات إقبال كل منهما على الآخر ، وعطفه عليه . فليكن عند اللزوم بقدر ما تدعو إليه الحاجة وأما تغني المرأة من نفسها لنفسها في خلوة ففيه دليل على أن لها في الرجال شهوة ، كما أن خروجها من بيتها متعطرة متزينة لغلبة بين ترائبها كامنة .

النساء وتدير أمور المنزل

علم تدير أمور المنزل من أهم الأمور الضرورية لسعادة الأمة ، لأن المنزل هو المدرسة الأولى ، وبعده مدرسة التعليم ، ثم مدرسة العمل في الدنيا وفائدته انتظام أحوال الانسان في منزله ليتمكن من كسب السعادة العاجلة والآجلة ، وهو المشار اليه بقولهم : التدير نصف المعيشة . وهو مشترك بين الرجال والنساء ، ووظيفة النساء فيه وظيفة مهمة إذا أحسن القيام بها أسدين للعالم الانساني خدمة جليلة وهي القيام بأمر البيت الداخلية ، من خياطة ونظافة وطبخ وتربية أولاد ، ونظارة أعمال الخدم ، وغير ذلك . ووظيفة الرجل تدير أموره من الخارج بالصناعة والاحتراف الحلال بقدر ما يمكنه ، ويأثم إذا اكتسب المال من غير حله ، وعليه التبعة إذا أطعمه أهله وأولاده ، بل يكون تسبب في اتخاذهم أعداء له في الدنيا والآخرة . قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) أى احذروا عداوتهم بأن لا تطعموهم ولا تكسوهم حراما ، فإن العبد إذا عمل بمعاصي الله عاد حامده من الناس ذاما له ، ومن كان له أولاد صغار وخاف عليهم سوء الحال من بعده فليكن متقيا لله تعالى في حياته يحفظه الله تعالى في أولاده بعد مماته ، قال الله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) قال رسول الله ﷺ « خير لهو المؤمن السباحة - بالبلاء الموحدة - وخير لهو المرأة المغزل » - رواه ابن عدى عن ابن عباس - وقال في حديث آخر « مهنة إحدانا كن في بيتها تدرك جهاد المجاهدين إنشاء الله » - رواه أبو يعلى عن أنس -

النساء وملازمة البيوت

ملازمة البيوت باب الخير الذي من دخلته كانت آمنة على عرضها ونفسها ومالها ودينها وشرفها ، فكانت المثل الأعلى للصيانة والعفة حيث تقوم فيه بواجبها البقي والزوجى والأولادى والدينى ، لا يشغلها عنه شاغل ، بل تجد فيه متسعا من الوقت للعكوف على العبادة وقراءة كتب الدين والأدب الحقيقى ، فتدرك حينئذ لذة الحياة ، وتحس بأن السعادة حافة بها ، وكيف لا تكون كذلك وقد أُرست ربها وزوجها بقيامها بما عهدا به إليها ، وأى سعادة للمرأة أعظم من رضائها وزوجها عنها ، فهو باب حطة بخلاف تلك المرأة الخراجة الولاة التى لا تستقر ساعة فى بيتها بل تذهب منه إلى هنا وإلى هناك فى النهار والليل ، وتجتمع بمن يحل ومن لا يحل لها الاجتماع به ، وتأتى إلى البيت وقد امتلأ رأسها بالمطالب بما قد رأته وشاهدته فأخذت تكلف زوجها بحصوله ، وقد لا يتسع حاله لا جابة طلبها فتستعر نار الخلاف بينهما ، وتراها لاتعبأ برؤية أمور منزلها ولاترىة أولادها ، ولاتؤدى لربها ولا لزوجها ما هو واجب عليها ، وتهزأ بكتب الدين والأدب إن كانت تقرأ وتكتب ، بل تكب على قراءة مطبوعات السفاهة والخلاعة ، وإذا نصحتها زوجها أخذتها العزة بالاثم وانهاالت عليه بالسب والشتم ، وتراها فى كل أوقاتها حرجة الصدر ، ضيقة الخلق ، وهذا جزاؤها بما كسبت يداها فقد قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) كل هذا سببه الخروج من البيوت وعدم التقيد من الأحكام الشرعية بالقيود ، وأول ما يظهر من مضار الخروج من البيوت وعدم الاستقرار بها ازدرأ ما هى فيه من النعمة واحتقارها ، والاستخفاف بزوجها حيث قد تجد أو ترى ما هو أوسع من العيش التى هى فيه ، ومن هو أوقع فى نفسها من زوجها ، لاسيما إذا كان متقدما فى السن ، أو متأخرا فى البذل ، فتدب بينها وبينه عقارب الخلاف والشقاق مما قد يؤدى إلى الطلاق والافتراق ، وفى ذلك خراب بيت زوجيتهما ، ونقض حياتهما ، والمرأة

الملازمة لبيتها ترى أنها في أحسن ما يكون من النعم ، ومع أطيب من يكون من الأزواج ، فلا تمد عينها الى غيره ، ولا تكفر ما هي فيه من نعمة وإن قلت ، ولا يجد الشيطان سبيلا لاجداث الخلاف بينهما ، فتعيش معه ويعيش معها بهناء وصفاء عيشة راضية ، كل ذلك ببركة لزوم النساء البيوت . فجزى الله تعالى عنا سيدنا محمد النبي الأعظم والمرشد المصلح صلوات الله وسلامه عليه حيث دلنا على الهدى ، وحذرنا عواقب الردى . ومن أحاديثه الشريفة الواردة في لزوم النساء البيوت قوله صلوات الله وسلامه عليه « أقرب ماتكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قعر بيتها » . وقال في حديث آخر « إن من النساء عياً وعورة فكفوا عيهن بالسكوت ، وواروا عوراتهن بالبيوت » - رواه العقيلي عن أنس - وقال في حديث آخر « ليس للنساء نصيب في الخروج إلا مضطرة ، وليس لهن نصيب في الطريق إلا الحواشي » - رواه الطبراني عن عبد الله بن عمر - وبما يدفع المرأة للخروج من بيتها زائرة لمن تعرفه ، أو متفرجة على ما تسمع به من غناء أو تمثيل (محاكاة) أو رقص ، أو غيره وفرة ما عندها من الثياب النفيسة ، فانها تريد أن تصطاد طيرين برمية حجر ، الخروج إلى حيث شامت ، وإرامه ما عليها من الثياب النفيسة لمن تقصد زيارته . فعلى الزوج أن لا يجعل لها سبيلا الى ذلك كيلا تفسد عليه حياته البيتية في خروجها كلما أرادت ، وذلك إما بعدم إجابتها إلى ما تطلبه من ثياب مدام عندها ما يكفيها ، وإما أن يشترط عليها أن لا تخرج إلا بأذنه وإرادته ، وحينئذ يأتها بما تطلبه وتزين به له في بيتها . وقد استعمل هذه الحكمة بعض العقلاء وذلك أنه لما تزوج قال لزوجته قبل أن يتماس : تعالى نتفق على ما يديم وفاقنا بيننا في حياتنا الزوجية هذه ، وأهمه مسألة الملابس والخروج من البيت ، فاما أن يكون خروجك من بيتك بارادتك متى أردت تخرجين ولكن تكون ملابسك على كفي ، وإما أن تكون ملابسك حسب طلبك وخروجك باذني وإرادتي ، فاخترت أن يكون خروجها على كفيها وملابسها على كيف زوجها ، فأرادت أن تخرج ذات يوم فقدم لها ملابس دون ما هي تلبسه فأبت أن تلبسها وتخرج بها ثم أنها عدلت طلبها بأن جعلت ملابسها على حسب رغبتها وخروجها

بإذن زوجها ، فكان يأتيها بما تريده ولا يسمح لها بالخروج إلا لطلب مصلحة أو دفع ضرورة . وقد اقتبس هذا من الأحاديث الواردة في هذا الخصوص فقد ورد في الحديث الشريف « أعرأوا النساء يلزمهن الرجال » - رواه الطبراني عن مسلمة بن مخلد - وفي حديث آخر « استعينوا على النساء بالعري فان إحداهن إذا كثرت ثيابها ، وأحسنت زينتها ، أعجبها الخروج » - رواه ابن عدي عن أنس - وقال سيدنا عمر بن الخطاب : أضربوهن بالعري فان النساء يخرجن الى الاعراس ، ويقمن في المناحات ، ويظهرن في الاعياد ، ومتى كثر خروجهن لا بد أن يراهن من هو من شكلهن ، ولو كان بعلمها أتم حسنا وأحسن وجهها والذي رآته أنقص حسنا لكان مالا تملكه أظرف عندها مما تملكه وأشد لها اجتذابا . وقال سيدنا معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم ، وإنى أخاف عليكم فتنة السراء ، وإن أشدها لكم عندى النساء إذا تحلین الذهب والفضة ، ولبسن ريط الشام وعصب الين ، أتعبن الغنى ، وكلفن الفقير مالا يقدر اه والمراد من العري في الحديث وقول عمر إلباسهن الملابس العادية التي لا يرين معها الخروج ، لا إعرأوهن من اللباس بالمره . ولا يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها إلا بإذن زوجها أو وليها بشرط أن تكون مضطرة للخروج ، وبشرط أن تخرج غير متزينة ولا متعطرة ، ولا بوضعية تلفت نظر الناس اليها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ليس للنساء نصيب في الخروج إلا مضطرة ، فاذا خرجت بغير إذن زوجها أو وليها فقد أثمت ، ولا تزال في سخط الله حتى ترجع » - رواه الطبراني عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما - وقال في حديث آخر « أيما امرأة خرجت من بيت زوجها بغير إذن لعنها كل شيء طلعت عليه الشمس والقمر إلا أن يرضى عنها زوجها » . وقال في حديث آخر « أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت في سخط الله تعالى حتى ترجع الى بيتها أو يرضى عنها زوجها » - رواه الخطيب البغدادي عن أنس - ويأثم الزوج باطلاق السراح لامرأته تذهب حيث شاءت ، ولا يدرأ عنها الاثم وسخط الله تعالى إذنه لها بل هي آثمة في خروجها لما لا يحل لها ، وهو آثم بإذنه

لها إلا أن يكون مغلوبا أمامها على أمره لاتعأ به ولا تحفل بأذنه ، كأن تكون شريرة سليطة لاتخليه من شرها في وقت من الاوقات ، فانه يرى الراحة بعدها عنه وبعده عنها فيطلق لها السراح ليرتاح بذهابها ولو ساعة يجمع فيها شتاته ، ويلم شعته ، ويصلح فاسده ، حيث لا يجد سبيلا إلى شيء من ذلك بحضورها . فهو بأذنه لها معذور ، ولعله عند الله غير مأزور ، والضرر الخاص يتحمل لدفع ضرر عام كما هو مقرر في علم الأصول . ولعله يريد لها اللعنة والسخط من الله تعالى بخروجها بغير إذنه ففي الحديث الشريف « إن المرأة اذا خرجت من بيت زوجها وهو كاره لعنها كل ملك في السماء وكل شيء مرت عليه غير الجن والانس حتى ترجع » . وكفاه هذا الحديث خزيا ونكالا ، وشرا ووبالا ، فلتستكثر من الخروج مهما شئت ، أولتقبع في بيتها وتلزم طاعة ربها وزوجها .

ومما يجدر أن يكون قدوة لكل امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ، ومثالا تحتذي عليه كل عاقلة ، ماذكر في بعض كتب الأدب كما حدثني به والدي الحاج محمد الأدهمي المتوفى سنة ١٣٢٠ رحمه الله تعالى وجزاه عن خير أن رجلا سافرا لأمر اقتضى سفره ووصى زوجته أن لا تخرج من البيت ، وكانت تسكن بطابق عال وابوها يسكن بالطابق الذي تحته هو وزوجته وأولاده ، ففرض أبوها وطلب منها أن تعود ، فقالت : إن زوجي سافر وأوصاني أن لا أخرج من البيت فلا بُعث أستفتي عالما بالخروج لعيادة أبي ، فأفتاها بعدم الخروج فامثلت ولم تعد أباه ، ثم إنه مات فاستفتت فلم يؤذن لها بالخروج قائلا لها : لا يحل لك أن تخالفى أمر زوجك فلم تشهد موت أبيها . فرحمة الله على هذه المرأة الصالحة المطيعة لزوجها الممثلة لأمر ربها ، فقد آثرت رضا زوجها الذي هو من رضا ربها عليها ، ولم تعد أباه ، ولا شهدت وفاته وهي بمنزل وهو بمنزل تحته ، فأين هذه المرأة من نساء هذا الزمان ! ولعنة الله على كل امرأة فاجرة ما كره شريرة سليطة سقيمة بذئبة اللسان متطاوله على زوجها مهما كان دونها بالعجب والكبر في نفسها ، والازدراء والتحقير له بيدها ولسانها ، عليها دائرة السوء وغضب الله تعالى عليها ولعنها وأعد لها جهنم وساءت مصيرا .

النساء وسكنى الغرف

لقد بلغ من حرص الشرع الشريف الاسلامى على صيانة النساء وحفظهن من كل ما يلوث عفتهم أن نهى عن إسكانهن فى الغرف - جمع غرفة - وهى الحجرة العالية فى الدار المطلة على خارجه - لئلا يستهويها الشيطان فتشير الى أحد بنظرة ، أو ابتسامة ، أو سلام ، أو يشير اليها أحد بذلك . كما قال الشاعر :

ليتني فى المؤذنين حياتي إنهم يرون من فى السطوح

فيشيرون أو تشير اليهم كل عذراء ذات وجه مليح

وقد جاء فى الحديث الشريف « لاتسكنوا النساء الغرف فيشرفن » .

أى ينظرن لمن هو فى خارجها ، وربما تعلق قلبها بمن تراه فتعمل على القرب منه أو القرب منها ، وفى هذا نقص لشرفها ، وخيانة لزوجها إن كانت ذات زوج ، ومجلبة للعار لآهلها مطلقا . وقد كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يسدون النوافذ والثقوب حتى لاتنظر المرأة منها الى من هو خارجها ، ويرون أن رؤية المرأة الرجل أشد من رؤية الرجل المرأة ، ولم تزل هذه الخطة متبعة فى البلاد التى لم تحل بها المدنية الأوروبية ، مدنية إفساد الأخلاق وهتك الأعراض .

النساء وحضور الجمعة والجماعات

صلاة الجمعة وحضور الجماعات للصلوات الخمس والعيدى والتراوىح ثوابها عظيم ، وفضلها جسيم ، للرجال دون النساء لاتتفاء خوف الشبهة والفتنة دون النساء لما فى حضورهن من خوف الفتنة والمفسدة ، فلذلك جاء الشرع الشريف بمنع النساء من حضور الجمعة ، وصلاتهن الاوقات الخمسة مع الجماعة فى المساجد دون البيوت ، على أن جماعة النساء فى البيوت مكروهة لما تقتضيه من الجهر بالقراءة فى الصلوات الجهرية المغرب والعشاء والفجر ، وما يلزم فيها من رفع الصوت بالتكبير ، وصوت المرأة عورة كصورتها . وقد عوضها الشرع الشريف عن حرمانها من الجمعة والجماعات بما جاء فى الحديث الشريف « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها اذا

كانت في قعر بيتها ، وإن صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد ، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في صحن دارها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها . وفي حديث آخر « صلاة المرأة وحدها تفضل على صلاتها في الجمع بخمس وعشرين درجة » - رواه الديلمي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وقد أجمع العلماء على كراهية حضور النساء الجماعات في كل الصلوات كراهية تحريم ، سواء أكن شابات ، أو عجائز متبرجات أو متسترات ، وأن حديث « لاتمنعوا إماء الله مساجد الله » محمول على ما كان في أيام حياته ليستفد من حضورهن مجلس الرسول ﷺ ما ينفعهن في دينهن ودنياهن وأخراهن ، قالت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها : لو رأى رسول الله ﷺ ما عليه النساء اليوم لما أذن لهن في الخروج . وقولها هذا كان بعد وفاة النبي ﷺ بقليل ، فكيف حالهن في زماننا هذا وقد مضى على قولها ثلاثة عشر قرناً ؟ ثم إذا حظر الشرع على النساء حضور الجمعة والجماعات لإداء عبادة مفروضة علي كل ذكر وأنثى ، فما بالك بخروجهن للمباحات من نحو زيارة الأهل ، بل المحرمات كحفلات الرقص ومراسح التياترو والسينما والتمثيل (المحاكاة) وغير ذلك من بؤر الخلاعة ، وفساد الأخلاق ، وهتك الحرمات . وذكر أبو بكر الخرائطي المتوفى سنة ٣٢٧ محمد بن جعفر المحدث في كتابه اعتلال القلوب ، أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت تحت الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه ، فاستأذنته في الخروج للمسجد فشق عليه استئذانها وكره أن يمنعها لحديث « لاتمنعوا إماء الله مساجد الله » فأذن لها ثم كمن لها في موضع مظلم من الطريق ، فلما مرت عليه وضع يده على بعض جسدها ، فكرت راجعة وسبقها الزبير إلى الدار ، فلما دخلت عليه وهي تسبح قال لها : ماردك عن وجهك ؟ قالت كننا نخرج والناس ناس ، وأما اليوم فلا . قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : وكثيراً ما يقع اليوم أن تمر المرأة - وهي بالمعنى المصطلح عليه متبرجة متعطرة متزينة كاسية عارية فاذا لم تكن كذلك فليست في عرف النساء امرأة - فتدخل بين الرجال

وتزاحمهم ، وهذا يمسها ، وذلك يقرصها ، وهي فرحة مبسوطة لانها تحمل ذلك المس والقرص على استحسان الماس أو القارص لها ، فتزيد رغبتها في الخروج الى الاسواق ومزاحمة الرجال بالأطراف (قل كل يعمل على شاكلته) امرأة الزبير خرجت لتصلي في المسجد صلاة العشاء أو الفجر فكرت راجعة بمجرد ما حصل لها من ذلك المس ، وما كان ليحسر عليها أحد والدين بعد غض طرى في عنفوان شبابه وعزته وقوته ، فكرت راجعة ولم تخرج بعد من بيتها ، وأما امرأة هذا الزمان فانها تعد ذلك المس والقرص من محسنات الخروج للاسواق ليتبين لرفيقاتها أنها ملحوظة من الشباب بعيون الاستحسان ، اللهم سلمنا من نزغات النسوان ونزقات الشبان .

النساء واتباع الجنائز

قلت في كتابي المسمى (التذكير بالمرجع والمصير) تحت عنوان - النساء والجنائز - لاعلاقة للنساء بالجنائز من حيث الغسل والتكفين والحمل والتشييع والصلاة عليها ودفعها ، فلذلك نهين عن اتباع الجنائز ، فقد رأى رسول الله ﷺ نسوة يتبعن جنازة فقال «هل تغسلنها ؟ » قلن لا ، قال «هل تكفننها ؟ » قلن لا ، قال «هل تحملنها ؟ » قلن لا ، قال «هل تصلين عليها ؟ » قلن لا ، قال «هل تدفنها ؟ » قلن لا ، قال «هل ترجعن مأزورات ، غير مأجورات » - رواه ابن ماجه عن علي وأبو يعلى الموصلي عن أنس - فلا ثواب لامرأة في اتباع الجنائز ، لاسيما اذا اتبعتها بصراخ ونياحه ، بل عليها الوزر كما أنه لا ثواب لها أيضا في زيارة القبور لحديث « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » - رواه أبو داود عن ابن عباس - اه منه - ورواه الترمذي والنسائي والحاكم عنه أيضا - ورأي رسول الله ﷺ جنازة يتبعها نساء فقال « إما أن ترجعن وإما أن أرجع » فرجعن ، وفي حديث آخر « ليس للنساء في اتباع الجنائز أجر » - رواه البيهقي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما وكل ما يعمله النساء للأموات من مناحات واجتماعات على القبور في أيام مخصوصة اصطالحن عليها ممنوع شرعا ، ولا فائدة فيها لليت بل فيها الخسارة لأهل الأحياء لاسيما إذا كان مات عن أولاد صغار لم يبلغوا الحلم ، سواء أترك لهم من المال

ما يكفي لأعاشتهم ، أم لم يترك ولا ثواب في ما يعملونه باسم الصدقات اذا لم يتصدق بها على مستحقها من أصحاب الحاجات . وزيارة القبور كانت ممنوعة في أول الإسلام لقرب العهد بالجاهلية ، ثم نسخ هذا المنع بقول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم « كنت نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها » - رواه مسلم - وفي رواية البيهقي زيادة « فانها ترق القلب ، وتدمع العين ، وتذكر الآخرة ، فزوروها ولا تقولوا هجرا » - الهجر القبيح من القول - وبفعله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد زارها بنفسه وعلم أصحابه كيف يزورونها ، روى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ أخبرها أن جبريل جاءه فقال له : إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم ، وأنه ﷺ جاء البقيع فقام وأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاثا وقال « اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » وليست النساء ممنوعات من زيارة القبور إلا بسبب ما يكون منهن من منكرات الأقوال والأفعال والأحوال ، وإذا كانت هذه المنكرات حاصلة من الرجال فهم ممنوعون منها أيضا . فلمنع اذن لنفس الزيارة بل لما يحدث فيها من الرجال والنساء مما لم يأمر به الشرع ولا يرضاه ، فقد روى مسلم حديث المرأة التي كانت تزور قبر صبي لها وتبكي فلم ينهها رسول الله ﷺ عن زيارته وإنما قال لها « اتقى الله واصبرى » وقال لها أيضا « الصبر عند الصدمة الأولى » وكانت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها تزور قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقبر أبيها أبى بكر وهو خلف قبر الرسول ﷺ وهى واضعة ثوبها عنها وتقول : إنما هو زوجى وأبى . فلما دفن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه معهم حلفت قائلة : والله ما دخلت إلا وأنا مشدودة على ثيابي حياء من عمر ؛ لأن الأموات يرون الأحياء ، وهو أجنبى منها . فهل تفعل زائرات القبور فعل عائشة ؟ كلا راجع كتابى (التذكير)

النساء ودخول الحمامات

لم تكن الحمامات على عهد رسول الله ﷺ وإنما أخبر عنها فى جملة ما أخبر عنه من الحوادث التى ستحصل فيما بعد ، فقد جاء فى الحديث الشريف « إنها ستفتح عليكم الشام وتجودون فيها بيوتا يقال لها الحمامات ، هى حرام على رجال

أمتي إلا بالأزر ، وعلى نساء أمتي إلا لنفساء أو سقيمة » وفي حديث آخر « إنه سيكون بعدى حمامات ولا خير في الحمامات للنساء وإن دخلنها بازار وخمار ودرع ، وما من امرأة تنزع خمارها في غير بيت زوجها إلا كشفت الستر فيما بينها وبين ربها » . وفي حديث آخر « الحمام حرام على نساء أمتي » - رواه الحاكم عن عائشة - وفي حديث آخر « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من نسائه فلا يدخل الحمام » - وفي حديث آخر « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام » . - رواه الترمذى والحاكم عن جابر بن عبد الله - فمن هذه الأحاديث الشريفة تفهم حرمة دخول النساء الحمام أو الاذن لهن بالدخول إلا لضرورة ، كمرض أو نفاس ، وسبب الحرمة أو الكراهية ما يكون فيها من التعرى والصياح وكشف العورات ، والنساء المترجلات اللاتي يدخلن خاصة ليطلعن على أحوال من فيه من النساء فيستغوين من يردن استغواها لمصلحة أهل الفساد ، فيستملن العفيفة الغافلة ويخدعنها ويصفنها للفسقة فيققون لها بالمرصاد ، يأخذون بالتعرض لها ، أو يوسطون من تجمعهم بها ، ويوجد في الحمامات أيضا المراهقون بل البالغون الذين يغرون من يراهم بقصر قامتهم ، أو نحافة أجسامهم ، أو تدافع عنهم أمهاتهم بأنهم صغار بعد وهم كبار ، وكثيرا ما حدث منهم من المفاسد في الحمامات . فلذلك نهى حضرة المشرع الحكيم ذى الخلق العظيم وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم ﷺ عن دخول النساء الحمامات حفظا لشرفهن ، وصيانة لعفتن ، فهل هن منتهيات ؟ !

النساء والسفر حتى لا تشرف الاقطار

قلنا فيما ذكرنا في هذا الكتاب انه لا يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها إلا باذن زوجها فيما هو لضرورة لا مندوحة عنها ، فمن باب أولى أن لا يجوز لها السفر حتى الى أداء فريضة الحج اذا وجبت عليها لا نافلتها إلا إذا كان معها زوجها او ذو رحم محرّم منها ، وهو من لا يصح له أن يتزوج بها ، أو تتزوج به ، فاذا سافرت من تلقاء نفسها ولو الى أداء فريضة الحج فقد عصت الله ورسوله ، ولا يبرر فعلها إذن زوجها لها فيها بالك بمن تسافر لغيره من الاقطار ، لا سيما للسفاهة والخلاعة والسرف

والتبذير أول عقد المؤتمرات والمجتمعات مما لا حاجة به ولا هو من واجبات النساء . نعم
إن ذلك يعد في هذه الأيام نهضة مدنية ؛ ولكنها هيضة دينية ، تذهب بالقائمة بها
الى أسفل سافلين ، وتستوجب بها لعنة رب العالمين ، ولتعلن نبأه بعد حين ، إنه لا مجال
لامرأة في أن تخرج من بيتها لغير ضرورة بعد قول الله تعالى (وقرن في بيوتكن)
اللهم إلا أن تكون خارجة عن إطاعة أمر ربها هي ومن . يسمح لها بالخروج ، فانه
ليس له بأن يتحكم في أوامر الله ويختار منها ما يوافق هواه قال الله تعالى (وما
كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن
يعص الله ورسوله فقد ضلّ لاهلينا) وقد أصبح السفر بهذا الزمان للنساء من
الأشياء السهلة المرغوب بها ؛ فقل أن تكون أنثى واجدة لما تنفقه في سفرها ولا تسافر
ووجهة سفرها الى أوربا وأمريكا ، والحكومة أيضا ترسل على حسابها طائفة من البنات
لتتعلمن في أوربا ما سبب إرسالهن اليها فيذهبن وحدهن أو برفقة شبان مرسلين أيضا
لهذه الغاية وهم أجانب عنهن ولكنهن ولكنهم أقارب فيما بينهم بجامعة العلة التي تجمعهم
للسفر ، وشق عصا التسيار في مختلف الأقطار ، في البراري والبحار فيزولون معا ويديتون
معا ، ويغدون معا ، ويروحون معا ، نعم إن عليهم رقيار سميا يراقب حركاتهم في غاياتهم
التي اتدبوا وانتدبن لاجلها كي لا يقال إنهم أو إنهن لا يداومون أو لا يداومن على
معاهد العلم التي هي المقصودة من بعثتهم أو بعثتهن ، وغيرهن من النساء كثيرا يذهبن
لقضاء فصل الصيف حيث يشتهن من البلاد الأوروبية حتى الأمريكية ، وبالطبع
أنهن لا يذهبن بقيافتهن الوطنية كي لا يقال عنهن أنهن همجيات غير متمدنيات ، بل لابد
من ارتداء اللباس الافرنجي الخاص بالافرنجيات من أهل تلك البلاد وآباؤهن
أو أزواجهن أو أبنائهن لا يحركون ساكنا ، ولا يغارون على انتهاك حرمت الله
وهم مسلمون أبناء مسلمين ، إذا كان الاسلام عبارة عن أن يقول المنسوب اليه
إنه مسلم وهو لا يعمل بشرعة الاسلام ولا ياتمر بأوامره ، ولا ينتهى بنواهيه ،
فما أشبههم بقول الله تعالى (قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا
ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) وقال رسول الله ﷺ « ليس الايمان بالتبني ولا

بالتحلي ولكن هو ما وقر في القلب وصدقه العمل» - رواه ابن النجار والديلمي عن انس - وهذا بعض من الأحاديث الواردة بسفر النساء وحكمه .

قال رسول الله ﷺ « لا تسافر امرأة بريدا إلا مع زوج أو ذى محرم » - رواه الطحاوى والبيهقى عن أبى سعيد المقبرى - والبريد إثنا عشر ميلا ، والميل مسافة نصف ساعة بالمشى الوسط للابل . وقال فى حديث آخر « لا تسافر امرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها ذو محرم » - رواه الطحاوى عن ابن عباس - وقال فى حديث آخر « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها ذو محرم لها » - رواه الامام احمد ومسلم وابو داود وابن ماجه عن أبى هريرة - وقال فى حديث آخر « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم إلا مع ذى محرم » - رواه مسلم عن أبى سعيد المقبرى - وقال فى حديث آخر « ليس للمرأة أن تنطلق للحج إلا باذن زوجها ، ولا يحل للمرأة أن تسافر ثلاث ليال إلا ومعها ذو محرم تحرم عليه » - رواه البيهقى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب .. وقال فى حديث آخر « لا يحل لامرأة مسلمة أن تخرج إلا مع زوج أو ذى محرم » فاقول حضرات النساء الحالات المترحلات بهذه الأحاديث ؛ وما رأى ولاية أمورهن هل يتصلن أو يتصلون من الايمان لتنفيذ ما ربهن ؟!

غاط عالم ولغظ واهم

كتب الشيخ محمد بن سليمان عنارة العضو فى المحكمة الشرعية العليا بمصر جملة مقالات فى جريدة المقطم تحت عنوان رسائل سائر عن جولة جالها فى أنحاء سوريا ولبنان وفلسطين استحسن فيها ما استحسن ، وانتقد ما انتقد - بحسب ما يباله - ومن ذلك ما كتبه فيها بتاريخ ١٣ رمضان سنة ١٣٥٠ و ٢١ يناير (كانون الثانى) .

سنة ١٩٣٢ واستطرد الى ماورد فى القرآن الكريم من كلمتى (السائحون - سائحات) فى قوله تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) وقوله تعالى (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات

عابدات سائحات ثنيات وأبكارات) ففسرهما من عنده بمعناهما الظاهر منه وهو السياحة أي الضرب في الارض والسفر فيها ، وخطأ من فسرهما بتفسيرهما الحقيقي الوارد عن النبي ﷺ والصحابة من أن المراد بهما الصائمون والصائمات كما يقتضيه سياق الأوصاف المسرودة ، فأخطأ وخطئ من وجهين ، الوجه الأول مخالفته للتفسير الوارد عن النبي ﷺ وأصحابه فقد ذكر الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ في تفسيره روح المعاني أن النبي ﷺ سئل عن معنى (السائحون) الواردة في الآية المذكورة في سورة براءة فقال (الصائمون) وإليه ذهب جلة الصحابة والتابعين - والتفسير وهو غير التأويل - أمر توقيفي لا تتحكم فيه اللغة والمنطق ، وهذا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه سئل عن معنى كلمة (أب) الواردة في سورة عبس في قوله تعالى (فأنبتنا فيها جبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلًا وحدائقًا غلبا فأكهةً وأبا) فقال : أى سماء تظلني ، وأى أرض تقلني ، إذا قلت في كتاب الله مالا أعلم ؟ ! وهو من فصحاء العرب في الجاهلية والاسلام لا يخفى عليه معنى الأب وهو كلمة عربية ، ولكن لم يحسر أن يقول هو الكلام لئلا يكون القرآن أراد به معنى آخر . ولكن الشيخ محمد بن سليمان عنارة لم يتورع في تفسير (السائحون - سائحات) بل بادر الى تفسيرهما بالمعنى المتبادر منهما ترغيبا منه للنساء والرجال بالسياحة والتجول في أنحاء الأرض كما فعل هو ، فخرج عن تفسير المفسرين جميعهم ، وليس هذا الخروج بمحمود في الشرع ولعله أن يكون من قبيل قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) والوجه الثاني من وجهي خطئه عدم نظره الى نسق الآية ونظمها وهو قوله تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والنهي عن المنكر والحافظون لحدود الله) فما مناسبة السفر مع التوبة والعبادة والحمد والركوع والسجود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحفظ لحدود الله ؟ وكذلك الكلام في آية (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) إلى آخرها ثم يتولد من هذه الآية على تفسير الشيخ محمد عنارة أن الله تعالى وعد

فيه ﷺ إذا طلق نساءه أن يبدله بنساء رحلات مسافرات ، مع العلم بأن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم حجر سفر النساء إلا مع زوج أو ذى رحم محرم . فيلزم من ذلك أن يتبع النبي أزواجه في الأسفار تنفيذا لوعده الله تعالى ، وفي ذلك تضييع للقيام بما أرسل به ، أو أن يدعن يسافرن من تلقاء أنفسهن وفيه تضييع لروابط الزوجية ، وإبطال لكل ما قاله من نهى النساء عن السفر إلا مع زوج أو ذى رحم محرم ، فأية الجهتين يختار الشيخ محمد عنارة ويرجحها ويعتمد عليها ؟ وليس منهل جهة مقبولة في الشرع . نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباد المتبعين ، لا من عبيده المبتدعين ، ما ليس له أصل في الدين .

غض الأبصار وحفظ الفروج

أمر الله تعالى الرجال والنساء بغض الأبصار عما تحرم رؤيته ، وحفظ الفروج من استعمالها إلا بحقها وهو الزواج الشرعى لا المدني ، فلا يجوز للرجل أن ينظر الى امرأة أجنبية عنه ، ولا للمرأة أن تنظر الى رجل أجنبي عنها قال الله تعالى (قل للؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، وقل للؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها) أى من غير قصد إبداء ويستثنى من ذلك الوجه والكفان للصلاة لأن كل بدن المرأة الحرة (وليس اليوم فى النساء أمة) عورة ولا يحل لغير الزوج أو ذى الرحم المحرم أن ينظر الى شيء منه إلا للضرورة كأن يكون طبيبا وهى فى حاجة لأن يطلع على قسم من بدنهما فينظر بقدر ما تقتضيه الحاجة ، وأما المحرم وهو كل من لا يجوز له أن يتزوج بها كالأب والابن والأخ وابن الأخ وابن الأخت والحفيد والسبط وفى الحال والعم خلاف وإن لم يحز له أن يتزوج بابنة أخيه أو ابنة أخته فإنه ينظر منها الى كل بدنهما ماعدا ما بين السرة والركبة من أمام وخلف ، وأما الزوج فإنه ينظر منها كل شيء من بدنهما من غير استثناء ، وهى كذلك مع زوجها وذوى رحمها تنظر من زوجها لكل عضو منه ، وتنظر من ذوى رحمها لكل جسمه ما عدا ما بين السرة والركبة من أمام وخلف ، وذلك كله عند الاقتضاء .

الإطلاقاً فقد قالت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها : ما رأى منى ولا رأيت منه
تبعنى النبي ﷺ أى ما رأت عورته ولا رأى عورتها حتى فى وقت الملامسة ، وهذا
ما يقتضيه الأدب . ثم إن الله تعالى بين للمرأة أن تجوز لها أن تظهر زينتها أمامهم فقال
تعالى (ولا يدين) - أى النساء - (زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو
أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بنى أخواتهن أو نساءهن أو ما ملكت
أيمنهن أو التابعين غير أولى الأربعة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء
ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) وتفصيل ما فى الآية أنه يجوز للمرأة أن تظهر
بزينتها أمام زوجها ومن لا يحل له الزوج بها من محارمها كأيها وأخيها وابن أخيها
عمها وخالها وأبي زوجها وابن زوجها من غيرها ، والخال والعمة والجد وأبو الزوج
وابنه وإن كانوا غير مذكورين فى هذه الآية فإنهم مذكورون فى آية (حرمت عليكم
أمهاتكم) الآية فى سورة النساء ، ومنها يفهم من يحل لها الظهور أمامهم ، إلا أن
الاحتياط فى الدين والغيرة على صيانة العرض يقضيان بحجب المرأة عن كل فاسد
الإفلاق ، غير مبال فى دينه ، ولو كان أقرب الناس إليها فقد سمعنا بأعمام
الاستمتاعوا ببنيات إخوتهم ، وبأخوة هتكوا أعراض أخواتهم ، وبأبناء أزواج
شاركوا آبائهم بأزواجهم غير أمهاتهم ، وما دام المرء متجرداً من الدين فكل
شئ من المنكرات لا يستبعد منه ، ومن الضرر الملحوظ أن تظهر المرأة لابن زوجها
وهو شاب وزوجها متقدم فى السن ، فإن لمس ابن الزوج رابته أى امرأة أبيه
من غير حائل بشهوة يحرّمها على أبيه ، والجهل بأمور الدين ليس بعذر للمرأة ولا
للرجل ، وأجاز الله تعالى للطفل غير المميز والشيخ الفانى وهو من ليس عنده حس
الشهوة أن تظهر المرأة أمامهما متزينة وغير متزينة ، وأما الأعمى والمجبوب أى
مقطوع عضو التناسل وهو المسمى بالطواشى فلا يجوز لها الدخول على النساء ،
لأنه وإن عميت العين وقطع الذكر لم تعد الشهوة ولم تقطع ، قالت أم سلمة زوج
النبي ﷺ كنت عند النبي وعنده زوجته ميمونة بنت الحارث ، فأقبل ابن أم مكتوم -
هو كان أعمى - وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال النبي ﷺ « احتجبنا منه »

فقلنا يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال « أفعميا وان أتما ألتما تبصرانه » اه
ولا يجوز للرجل أن ينظر الى أخت زوجته إذ لا محرمة بينهما ؛ وإنما يحرم عليه
التزوج بها لحرمة الجمع بين الأختين ، فإذا طلق أختها وانقضت عدتها أو ماتت
جازه أن يتزوج بها فلم تكن محرمة عليه حرمة تأييد كحرمة بنت زوجته من غيره ، أو
أمها وهي حماته ، فإن حرمتها عليه أبدية ، ولا يجوز للمرأة أن تنظر الى أخي
زوجها وعمه وخاله لأنهم ليس أحد منهم ذا رحم محرم منها ، بل يجوز لهم التزوج
بها عند خلوها من زوجها وهذه أحاديث نبوية بغض الأبصار وحفظ الفروج .

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن المرأة سهم من سهام إبليس فمن
رأى امرأة ذات جمال فغض عنها ابتغاء مرضاة الله أعقبه الله عبادة يجد لذتها »
وقال في حديث آخر « إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان
فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه » - رواه الامام
احمد ومسلم وأبو داود عن جابر - وقال في حديث آخر « إياك والنظرة بعد النظرة
فإن الأولى لك والثانية عليك » ، وقال في حديث آخر « إن الله كتب على ابن آدم
حظه من الزنا أدرك ذلك لاحالة ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس
تمني وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » - رواه البخاري ومسلم وأبو داود
والنسائي عن أبي هريرة - وقال في حديث آخر « يكره للنساء أن ينظرن الى الرجال
كما يكره للرجال أن ينظروا الى النساء » وسأل رسول الله ﷺ ابنته فاطمة
رضي الله تعالى عنها أي شيء خير للمرأة؟ فقالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل ،
فضمها الى صدره وقال « ذرية بعضهما من بعض »

وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يسدون المنافذ والثقوب في الجدران لئلا
يطلع منها النساء على الرجال . وقال سعيد بن مسلم : لأن يري زوجتي ألف
رجل على حال تكشف وهي لا تراهم أحب الى من أن ترى زوجتي رجلا مواجهة . وقالت
السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها : كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم محرمات ، فإذا حاذيناهم سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على
وجهها فإذا جاوزونا كشفناه .

الحجاب والسفور

الحجاب والتستر ولزوم البيوت أمر ديني محض ثابت بالقرآن والسنة وآثار السلف الصالح ، واجب على النساء لا مجال للخلاف والنزاع فيه بين المسلمين حقا وبين مدعى الإدراك والصلاح والإصلاح ، ورجال التأمل والتفكير منهم ، فإذ دينا مبني على النقول لا على العقول ، ولا على أن زيدا قال وعمرا يقول ، وإنما يجوز لهم البحث والتفكير في كلفه ، وفي الصورة التي يلزم أن يكون الحجاب والتستر بهما حسبما يقتضيه الزمان والمكان ، والقول الفصل في الحجاب أنه لا يتقيد بشكل مخصوص وزى معين ، بل هو عبارة عن مطلق صورة يحصل بها التستر ويدفع بها ، إلا أنى عن النساء وللعرف والزمان والمكان أن يخصه بالشكل اللائق به لأن يقول بهتكه وطرحه ، فإن الحجاب أصل من أصول الأدب ، وأعظم حصن للعفة ، وقد أفاد الله تعالى النساء بأزاء ما فرضه عليهن من الحجاب والتستر فوائد جلية ، فقد أسقط عنهم وجوب السعى في الكسب الذي يثرب الرجال تحت ثقل حملة واستحصاله لاسيما في هذا الزمن الذي أصبح فيه القابض على دينه كالقابض على الجمر ، وكاد يكون الكسب الحلال فيه متعذرا لكثرة أنواع الحرام فيه ، والمرأة في مأمن من هذه الأحوال حيث على وليها أو زوجها أن يرزقها ويكسوها ويقوم بكل ما يلزمها ، وعليه وزر ما يكتسبه ، كما أن له أجر ما يكسبه ، وأسقط الله تعالى أيضا عنهم الجهاد الذي هو أشد ما يكون على النفوس لما فيه من إزهاق الأرواح وإتلاف الأموال ، وتأيم النساء وتيتم الأطفال ، وكفى بالحرب العالمية التي نشبت سنة ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م عبرة وما عهدا منا بعيد . فما يظنه ضعيف الفكر رقيق الدين من أن الحجاب تشديد على المرأة وتضييق عليها هو خطأ محض ، بل هو تخفيف من الله تعالى لهن ورحمة بهن إذ لا ينكر عاقل خفيف النفس بعيد عن إضاعة الصلوات واتباع الشهوات ما في الحجاب من الفوائد المادية ، والمنافع المعنوية ، التي من أهمها وأعظمها صون الأعراض ، وحفظ الأخلاق ، وبقاء الآداب . وهل

يتعرض السارق إلا لسرقة ما هو سهل الحصول قريب الوصول ، فما دامت المرأة سائرة في ناحية من الطريق مسترة غير متعطرة ولا متبرجة ولا متزينة فقل أن يتعرض لها متعرض ، أو يتقصدها متقصده ، بخلاف السافرة المتعطرة المتبرجة المتزينة الماشية بعرض الطريق فإن لسان حالها يقول هاأنذا من شاء أن يتعرض لى فليفعل ، فاني لا أرد كف لامس . وليس استحسان الحجاب واستهجان السفور مقصوراً على المسلمين باعتبار أنه حكم ديني ، بل الأجانب عنا جنساً وديناً يستهجنون السفور والتهتك والتبرج ، فقد كنت قرأت في جريدة تصوير أفكار التركية التي كانت تصدر في استانبول بتاريخ ٢٥ رجب سنة ١٣٣٧ و ٢٦ نيسان (إبريل) سنة ١٩١٩ أنه اجتمع أحد مخبري تلك الجريدة برجل انكليزي ودارت بينهما محادثة في أمور شتى الى أن تكلم فيما عليه النساء اليوم من التبرج والتهتك وعدم الاكتراث والمبالاة بالآداب والأخلاق ، فعاب ذلك الرجل الانكليزي على الترك سكوتهم على تلك الأحوال الشائنة وقال : لا ينبغي لهم أن يتبعوا مدنية أوربا ولا أن يقلدوها إلا فيما هو نافع لهم ووسيلة لتقدمهم ، وقال : إنني أحذرهم من عاقبة هذا الاسترسال في هذه المنكرات اه فهذا رجل ليس بينه وبين المسلمين علاقة بدين ولا جنسية ولا وطن ، عاب التهلك وطرح الحجاب وحذر من عواقبه السيئة ، في حالة أن أصحاب الأقلام الجارية ، والأفكار العالية ، والمدارك الواسعة (بزعمهم) لا يحركون أقلامهم للجولان في ميدان الاستنكار لهذه المنكرات الآخذة بسرعة الانتشار ، بل إن كثيراً منهم يستحسنها ويدعو إليها تحت ستار الترقى والتقدم والمدن .

يقضى على المرء في أيام محتته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن وليس الحجاب مانعاً للمرأة من تعلم واجباتها البيتية والمدنية ، قالت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها : رحم الله نساء الانصار ، لم يكن الحجاب يمنعهن من أن يتفقهن في الدين اه

وكم كان من امرأة في صدر الاسلام اشتهرت بالعلم والفضل والادب فما كان الحجاب عقبة في سبيل تعلمها ونبوغها ؛ فلم يبق إلا أن من يشنع على الحجاب

مارق من الدين ، أو شهوانى محض غلبت عليه شهوته فقام يقاتل ويناضل من أجلها ليسهل عليه اقتناص أو ابد العفة والصيانة ، إذ كل معروض للنال سهل الحصول سريع الابتذال . والنساء من سلامة صدورهن - أو من ضعف قلوبهن - لا يعلن ما يراد منهن ، ومن العجيب أن يتجرأ المتجرون على الوقعة بالحجاب والطنن فيه والتشنيع عليه ويغزوه بألسنتهم وأقلامهم لمزيقه وهتك ستر من تستر به ، والله تعالى يقول قولاً واضحاً صريحاً لا يحتمل تأويلاً ولا تعليلاً (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) فهل أخطأ الله سبحانه وتعالى أم غلط أم أجحف بحق النساء بهذا الأمر الذى أمر به رسوله الأعظم ﷺ وأصاب ذلك الفاسد الفاسق المغلوب على عقله وإدراكه حيث قام يعلن الحرب على الحجاب ويقاومه بما أوتى من جمعة وسفسطة ، وإنما هو بالحقيقة يقاوم الله ورسوله وشريعته ويحاربهم ، فليتنظر ليري من هو الغالب ومن هو المغلوب . ويقول الله تعالى (وإذا سألتهم عن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن) بين الله تعالى أن الحجاب طهارة من الريبة للرجال والنساء ، أما الذين فى قلوبهم مرض من أصحاب الأهواء الضالة والأفكار الزائغة فانهم لا يريدون تلك الطهارة التى أخبر الله تعالى عنها لأن نجاستهم كلبية لا تقبل الطهارة ، ولو غسلت بمياه الأرض كلها . رتصديقاً لقول الله تعالى هذا قال سيدنا على رضى الله تعالى عنه : اكففوا أبصارهن بالحجاب ، فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب . ولسنا فى هذا الموضوع متعرضين لتفنيده أقوال القائلات من النساء بعدم لزوم الحجاب لأنه ليس قولهن منهن بل هو صدق قول غيرهن ، والصدق ليس مما يعبأ به ، أو أنه مثل قول البيغاء التى تلقن بعض كلمات تتقولها من غير أن تعي معناها . نعم إن الله تعالى رخص للنساء المسنات اللاتى دخلن فى سن الإياس ورغبت الرجال عنهن أن لا يتقيدن كل التقيد بالتستر والحجاب فقال جل وعلا (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة) رخص الله تعالى لهن أن لا يتسترن بشرط أن لا يكن متبرجات بزينة .

فان في التزين نوعا من الرغبة ولكن قال الله تعالى بعد ذلك (وإن يستغففن خير
 لهن) أى لانه أبعد عن التهمة ، وأحفظ للشرف . وقد كان الامام الشافعى المتوفى
 سنة ٢٠٤ رضى الله تعالى عنه يقول أولا بجواز ذهاب العجائز الى المساجد للصلاة
 مع الجماعة دون الشابات ، ففي ذات ليلة بينما كان ذاهبا بغسل لصلاة الفجر رأى رجلا
 هرما يسعى جهده وراء امرأة عجوز ويناديهما قفى واعطينى بوشه - يريد قبلة وإنما
 سقوط أسنانه من فمه خلط بين السنين والشين - فرجع سيدنا الامام الشافعى عن
 قوله بجواز حضور النساء العجائز الجماعات وقال : رحم الله الامام أباحيفة فما كان
 أدق نظره . وذلك أن الامام الاعظم أباحيفة يمنع مطلقا ، وأنشد الامام الشافعى يقول :
 لكل ساقطة في الحى لا قطة وكل كاسدة يوما لها سوق

قال صديقنا العالم الفاضل الشيخ ابو الفضل محي الدين افندى الملاح حاكم الصلح
 فى لواء نابلس وهو اليوم أول عشر السبعين من سنى حياته :

إن السفور من النساء وسيلة لتعارف القتيان بالفتيات
 وبه تباريح الغرام تثور من وهج الصدور بلاعج الزفرات
 حتى إذا تمت مراتبه وما قد عدها شوقى (١) من الحالات
 هجم الفجور على الصيانة والحيا ورمى العفاف بأسهم الشهوات
 مافى الرجال على النساء مؤمن كم من ثقة فتكوا بينات
 فتحجبى بنت العفاف ترفعا عن أعين الفساق فى النظرات
 إن الحجاب وقاية الأعراض من سفه السفور وذلة اللذات
 لا تسمى إفك الكلام بذه من كل أفك كثير هنات

وقال أمين الدين ناصر اللباني فى ديوانه المسمى صدى الخاطر :

قل لمن بعد حجاب سمرت أبهذا أمر الغيد الشرف
 أسفور والحيا يحظره وتقى الله وآداب السلف

(١) يريد قول احمد شوقى بك الشاعر المصرى الشهير المتوفى سنة ١٣٥١ من قصيدة

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

ليست المراة إلا درة أيكون الدر إلا في الصدف
وقال العالم الفاضل الشاعر البارع وطنينا عبد الحميد افندى الرافعى المتوفى
آخر سنة ١٣٥٠ رحمه الله تعالى من قصيدة طويلة :

بنت الحجاب تزينهم ظلموك والصون أمك والعفاف أبوك
ستروك عن مقل الرجال وليتهم حتى عن الجارات لو ستروك
قد لذ عيشك بالعفاف وإنه شرف توارث مجده أهلوك
ومن العجائب أن بعض بنيك في هذا الزمان برأيه الموعوك
قد رام كشف السترنك سفاهة يا بئس مارام الغداة بنوك
قالوا الحجاب ظلام ظلم للنسا وتشدقوا بالعقم المعلوك
راموا بمثلك خطة بل خزية من دونها خوض الدم المسفوك
ما شم ريح الدين يوما من يرى فضلا على المستور للهتوك
يدعو النسا لوظائف قد خصها برجالها رب بغير شريك
متحككا بعوائد البعداء لم يبرح بها متمحنكا يهجوك
ويرى التبرج كالمباح وذاك ما يأباه بين العالمين ذووك
والناس أكثرهم عبيد فروجه من مالك منهم ومن مملوك
إن قيل إن الوجه ليس بعورة ومرادهم هذا بلا تشكيك
فتقي بأن الوجه أكبر فتنة ولو انجلى لملائك ومملوك
ومصائب التقليد قد كثرت ومن ذا الداء غير السر ليس يقيك
والدين والناموس يأبى كل ما جاءوا به من ذلك التافيك
ردت رجال الدين زخرف قوهم ولو انهم نجحوا إذن فضحوك
إن الحجاب يصون من عين الفتى بنت الغنى وزوجة الصعلوك
وترى ابتذال الوجه منه محففا ماء الحياء فويل كل هتوك
بالله يا ذات النقاب تثبتى ودعى أقاويل الآلى امتهنوك
زعموا بأن تهذي في كشفه وتهذي كذبوا ودين أيك

إن كان تعليم النساء يترجل فالجهل عندي موجب التبريك
 عز الفتاة هي الصيانة وحدها وكما لها بالستر لا التهتك
 يكفيك بعد الدين أن تتعلمي تدير منزل الذي يؤويك
 لا الناس في هذا الزمان كما نرى نلس وليس النهج غير مشوك
 ساروا على سنن الآلى من قبلهم شبرا فشبرا فالزنى ناديك
 وتمسكى بحمى الحجاب على المدى وسلى الاله هداية لبنيك
 جزاه الله تعالى عن قوله هذا خيرا ورحمه رحمة واسعة .

فصل فى حكمة وجوب الحجاب وذكر بعض القبائح التى تحدث من السفور ومخالطة الرجال الأجانب

هذا فصل نفيس من فصول الرسالة الحميدة لمؤلفها العلامة الجليل الشيخ
 حسين افندي الجسر الشهير المتوفى سنة ١٣٢٧ رحمه الله تعالى بين فيه حكمة وجوب
 الحجاب على المرأة وكونه من أشرف نعوتها وليس ظلما لها بل هو صيانة وحفظ
 لها من الفساق ، وذكر بعض القبائح التى تحدث من خروج المرأة بلا ستر
 ومخالطتها للرجال الأجانب ، وخطأ من يبيح اتخاذها كن للزواني ترددها الفساق ،
 ودحض حججهم بذلك فقال جزاه الله تعالى عن المسلمين والمسلمات خيرا :
 وحيث أن المرأة غير مضطرة للخروج من بيتها (أى بسبب أن زوجها أو وليها
 قائم بما يلزم لها) وهى محل الشهوة ومطمح نظر الرجال فلاجل سد باب الفتنة
 وكف دواعى الزنا الممقوت شرعا وعقلا أمرتها (أى الشريعة الاسلامية) بالحجاب
 والستر ، وكان ذلك من أشرف نعوتها وأكرم مفاخرها تقبأهى به كلما استكمل فيها
 الحجاب صيانة لها ومحافظة عليها كالشئ النفيس الذى يضن به على الانظار ،
 ويحجب بالحجب والائتار ، وليس هو كما يظن بعض الجهلاء أنه لظن السوء بها
 فان ذلك يقال لو أمرت بكف بصرها عن رؤية الرجال فى كل حال ، وأمرت
 الرجال بالحجاب عن النساء ، وليس أيضا كما يزعم بعض الأغبياء أن حجابها
 هو حبس وتضييق عليها وملاشاة لحرقتها ، فان المرأة المسلمة تشب على الحجاب من أول

نشأتها ، وتألفه من بادی فطرتها ، فنجده كاللازم لطبيعتها ، وتعتاده اعتيادا محبوبا مألوفاً ، وتعير من يتساهل فيه من النساء وتنسبهن للطيش والوقاحة وقلة الحياء ، على أنها تقبله بأنه حكم الشريعة الالهية فترجو به الثواب ، ونوال الأجر من الملك الوهاب . فكيف مع جميع ما ذكر يقال إن المرأة في الشريعة المحمدية مظلومة أو محبوسة !! حاشا لله ما عليها من الخيف أدنى شيء ، إنها في هذه الشريعة محفوظة مصونة من أنظار الفسقة ، وأميال الفجار ، وألسنة السفهاء ، يغار عليها من مرور النسيم . على أنه لا يخلو الأمر من وجود امرأة غير كاملة في الآداب والتدين فبالحجاب لا ترتاب النفوس بأمانتها على نسب ذريتها ، فلا يدخل الشك على زوجها فيعلم أن من تلده هو ولده ، مطمئن القلب لذلك ليس للشيطان عليه سبيل في الوسوسة التي يتوصل اليها فيما لو كانت المرأة تخرج غير مستورة ، وتخالط الأجانب ، ومع ذلك كله فالشريعة المحمدية قد أجازت للمرأة الخروج لبعض أمور ضرورية من زيارة أرحامها ، وتعلم أحكام دينها إذا لم يعلمها الزوج ، ونحو ذلك . ومع التستر الذي يمنع نظر الفساق ويهيج النفوس المغتلة للتعرض لها بما يشين العرض والدين ، والذي يحكم به العقل السليم الخالي عن التعصب الدنيء : أن الحجاب للمرأة من أحسن الأحكام ، وأنفع الوسائل لصالح الزوج والمرأة بل لعموم الأمة فإنه يقطع مادة الفساد من البلاد . ومن هنا ترى البلاد التي تحتجب نساؤها لا يهتم رجال السياسة فيها بتخصيص أماكن للزواني يردها الفساق ، لأن شهوات فسادها غير مهيجة برؤية النساء ، ولا طامحة لمنازعة أهل العرض في نسايمهم . وأما البلاد التي لا تحتجب نساؤها فتري رجال السياسة فيها يرتكبون تخصيص أماكن للزواني ولا يمنعون الفساق عنهن ، حتى صار والعياذ بالله تعالى الأولاد النغول يقاربون في العدد أولاد النكاح هناك ، ويحتج أولئك السياسيون لارتكاب هذا الأمر الفظيع بأنه حصن للجرائر ، فلولا خشيتهم وخشية أهل العرض على نسايمهم من منازعة الفساق الذين تنهيج شهواتهم برؤية النساء المتبرجات وخوفهم أن يغلبوهم عليهم لما ارتكبوا

ذلك الأمر القبيح ، فياللعار وبالشسار على أولئك السياسيين الذين يسوسون بلادهم ، ويحصنون نساءهم بأعمال البهائم ، فلو أخذوا بحجاب النساء لكان يغنيهم عن ذلك الأمر الممقوت ، فقد ظهر أن خروج المرأة غير متسترة ضرر عظيم ، ولو سلم أن الحجاب ضرر عليها لكان عدمه أضر وارتكاب أخف الضررين هو الموافق للعقول والمنقول ، فما بالك وقد ظهر أنه لا ضرر عليها في الحجاب كما يحكم به ذووا الالباب اه

فصل اختلاط النساء بالرجال وما في ذلك من الضرر والوبال
إن الله تعالى اختار لكل دين خلقا ، وجعل خلق الاسلام الحياء ، واختلاط النساء بالرجال مخالف لذلك الحياء ، وسبب للشقاء والبلاء . والتربية مهما كملت لا تقوي على صد تيار الهوى ، وبلية اختلاط النساء بالرجال جاءت من الجانبين الذين يأتون بلاد الاسلام بعاداتهم ، ولم يبق مكان خاليا منهم إلا ماندر . وبعض المسلمين يذهبون لبلادهم ويحاورونهم ويعاشرونهم ويأخذون بعاداتهم لأنهم محبوبون للنفس كي لا يقال عنهم إنهم غير متمدين والمدنية الغربية التي يتبجح بذكرها المتفرنجون ويظنونها منتهى الكمال قاتلة للفضيلة ، جالبة للرزيلة ، وقد دلت الاحصاءات في بلاد فرنسا على أن النساء اللاتي يحترفن حرف الفحش بجواز من الحكومة يبلغن أربعين في المئة ، فما بالك بمقدار من يتعاطينه خفية عن الحكومة ؟ وأن أكثر من ربع المواليد من الزنا ، وأنه يقتل كل عام نحو خمسة عشر ألف نفس وقت الوضع أو أثناء الحمل خيفة من الفضيحة ، فهذه هي نتائج المدنية الأوروبية التي يرغب بها المتفرنجون ويدعون أن الاسلام مانع من الترقى لأنه يمنعها ويمنع أشباهها من كل ما فيه إخلال بالعفة وابتذال للشرف ، بسبب اختلاط النساء بالرجال الذي هو أمر جسيم الخطب ، عظيم الضرر ، وفيه فساد الدين والدنيا والعرض والمال والأخلاق والعقل والنسب ، وتفريق شمل الأهل والعيال ، وحصول الشك والشبهة في العفة والنسل ، وينشأ عنه الزهد في الزواج وقلة النسل حيث يجد الواحد من الجنسين ما يسد حاجته ويسكن حذته ، فلا ينهض الى الزواج

وتشكيل العائلة وحصول الولد . ويكثر عن الاختلاط بالجنسين الأمراض المعدية والسرف والتبذير والوقائع الجنائية ، فلا نامت أعين السفهاء الذين يسعون وراء الجمع بين الرجال والنساء الذى هو أشبه بأفعال القواد والديوثين . وقد ذكرت جريدة المقطم بتاريخ (٩) إبريل (نيسان) سنة ١٩٣٢م و٣ ذى الحجة سنة ١٣٥٠هـ عن أحوال إيطاليا ان الفرق بين الجنسين لا يزال عظيما فلا تجد شيئا من اختلاط الشبان بالشابات فى جزيرة صقلية سواء أكانت متزوجة أو عزباء ، وأنه لا يسمح لشابة أن تخرج وحدها من منزلها ، ولا أن تفرد برجل ليس من أهلها اه أفلا يحذر بالمسلمين والمسلمات أن يتشبهوا بهؤلاء الأوريات ماداموا يحجرون وراء تتبع سننهم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ؟ ومن شأن التابع أن يقلد متبوعه فى كل شىء . لا بشىء دون شىء ، فما للمسلمين والمسلمات يقلدون الأوريين فى سفاسف الأمور ودينئات الأحوال ، ويعرضون عن تقليدهم فى معالي الأمور وشرائفها ، فهل بلغت بهم الخسة والضعفة الى هذه الدركة السفلى !! وقد ذكر المؤرخون أن كاترين زوجة بطرس الأكبر قيصر الروس المتوفى سنة ١٧٢٥م ١١٣٨هـ شكت كسل رعيتهما وماهم عليه من العطلة والبطالة والقعود عن السعي والعمل ، فأرشدت الى حمل النساء على الاختلاط بالرجال والتهتك والخلاعة معهم ، ففعلت ذلك فتعلق الشبان بهن ونهضوا للعمل ليقدروا على القيام بما تقتضيه معاشرته أولئك المتهتكات فتضاعفت واردات خزانة الحكومة فى بضعة سنوات ، ورجال جمعية الاتحاد والترقى الذين كانوا قابضين على زمام أمور الحكومة العثمانية اتبعوا خطوات كاترين فبعثوا من سلاينك وغيرها كثيرا من النساء الدونمة وبشوهن فى أنحاء بلاد السلطنة العثمانية فوجدن رواجا وقبولا من السفلة الذين كان يحجزهم عن سفاهتهم شرف الحكم العثمانى قبل استيلاء الاتحاديين فاتسع نطاق الخلاعة والسفاهة فى البلاد التى انتشر فيها الدونمة ، حتى كانت عاقبة الدولتين الروسية والتركية الخسر والوبال ، والنكال والزوال ، وهذا جزاء كل من بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار . والدونمة هم اليهود فى سلاينك وغيرها من بلاد الروم ايلي كان محجورا

عليهم من لدن السلطان عبد الحميد أن يخرجوا من بلادهم ويأتوا استانبول إلا بشروط شديدة ، فاحتالوا وتظاهروا بالاسلام ليتمكنوا من السفر حيث يريدون ، فأسلبوا رسميا ولكنهم بقوا على ما كانوا عليه من الأحوال التي نشئوا عليها وتسموا بالدومة أى المهتدون وكان لهم نفوذ واسع في أيام الاتحاديين بعد إعلان الحرية في البلاد العثمانية سنة ١٩٠٨ م ١٣٢٧ هـ وكان بسبب تدخلهم في الحكم وأمور الدولة ما كان من السياسة الخرقاء ، والفكرة العوجاء ، حتى زالت الدولة العثمانية وقامت على أنقاضها الجمهورية التركية بعد تلك الحرب العامة التي حصلت ، وقد بلغ من توسع السفلة في سفاهتهم أن كثرت السرقات ، وتنوعت الجنايات وامتلاّت السجون بالمسجونين ، وما منهم إلا كل سارق أوجان أو محتال في سبيل الحصول على المال ليصرفه على فلانة التي عرفها ، أو فلانة التي تعرف بها ليقضى أربه منها ، حتى أن الواحد منهم كان يسرق حلى أمه أو أخته أو زوجته أو ماتصل إليه يده من غير أولئك بل زاد ببعضهم الأمر فقتل أمه أو ضرب أباه لمنعهما له مما يريد منها ، وقلت الرغبة بالزواج ، ونقص عدد النفوس ، وكثرت الأمراض وانتشرت عدوى الزهري بين الرجال والنساء الى غير ذلك من المفاسد والمضار التي نشأت عن اختلاط النساء بالرجال . وهذه أحاديث نبوية في التحذير من الاختلاط بالنساء قال رسول الله ﷺ « باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء فانه إذا كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذي لادواء له » . وقال في حديث آخر « إياكم والدخول على النساء » قيل يا رسول الله أفرأيت الجوى؟ قال « الجوى الموت » - رواه البخارى ومسلم واحمد والترمذى عن عقبة بن عامر - وقال في حديث آخر « إياك والخلوة بالنساء ، والذي نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما ، ولأن يزحم رجل خنزيرا متلطخا بطين وحمأة خير له من أن يزحم منكبه امرأة لا تحل له » - رواه الطبرانى - . وقال في حديث آخر « ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى رحم محرم » . وقال في حديث آخر « لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من يديه خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » - رواه الطبرانى عن معقل بن

يسار - وقال في حديث آخر « اذا استقبلتك المرأة فلا تمر بينهما ، خذ يمينه أو يسرة » - رواه البيهقي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وقال في حديث آخر « إياكم ومحادثه النساء فانه لا يخلو رجل بامرأة ليس لها محرم إلا هم بها » - رواه الحكيم الترمذي عن سعد بن مسعود - . وقال في حديث آخر « ليس للنساء سلام ولا عليهن سلام » - رواه أبو نعيم في الحلية عن عطاء الخراساني مرسل - وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ « نهى أن يمشى الرجل بين المراتين » - رواه أبو داود والحاكم - . وقال الحسن السبط بن علي رضي الله تعالى عنهما : لا تدعوا نساءكم يزاحمن العلوج في الأسواق قبح الله من لا يغار . العلوج جمع عالج وهو الكافر مطلقا ، وأراد به مطلق الفاسد الأخلاق أيا كان . وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : لا يخلون رجل بمغيبة فإن النساء لحم على وضم أي لا يخلو رجل بامرأة غاب عنها زوجها فانها كاللحم الناض الحاضر يسهل تناوله ، وليس قوله بمغيبة قيذا أو شرطا ما في الأحاديث الشريفة من النهي عن الخلوة بالمرأة مطلقا ، وإنما أراد أن المرأة الغائب عنها زوجها ألين وأسهل على من يريد بها بمن زوجها حاضر . ورأى قوما يتناضلون أي يترامون بالسهم قريبا من البيوت فقال : اتسموا أي ابتعدوا عن البيوت فإن للرجال كلاما لا يصلح أن يسمعه النساء . وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه : من أراد أن يكرم دينه فلا يخلون بالنساء * وذكر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ في كتابه المحاسن والأضداد أنه قيل له نبتت الخس الا يادية وكانت من حكيمة العرب : لم زنت بعبدك ولم تزني بحر ؟ فقالت : طول السواد (بضم السين) وقرب الوساد . تعنى قرب مضجعه منها وطول محادثته لها . وقال بعض الحكماء : امش خلف الأسد والأسود (الحية) ولا تمشي خلف المرأة - أي لا تتبعها - وقال بعض الشعراء :

لا يأمنن على النساء أخا ما في الرجال على النساء أمين

وقال أبو العلاء المعري المتوفى سنة ٤٤٩ في لزومياته :

إذا بلغ الوليد لديك عشرا فلا يدخل على الحرم الوليد

وإن خالفتني وأضعت نصحي فأنت وإن رزقت حببي بليد

ألا إن النساء حبال غي بهن يضع الشرف التليد

فصل في التبرج والتبرج

التبرج إظهار المرأة زينتها للأجانب عنها ، والتبرج تشبه المرأة بالرجل فيما هو خاص به ، وهما مذمومان منهي عنهما في الشرع الشريف الاسلامي ، منفور منهما عند كل ذى عقل سليم ولا يأنس بهما ولا يميل إليهما إلا كل ساقط الهمة ، سافل الطبع ، بهيمى العادة ، وقد نهى الله تعالى النساء عن التبرج فقال (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) قال المرحوم محمود شكرى الألوسى المتوفى سنة ١٣٤٢ في كتابه بلوغ الأرب : كانت المرأة تلبس الدرع المزين باللؤلؤ وغير مخطط الجانبين ، وتلبس الثياب الرقاق التى لا توارى بدنها ، وتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال . وكانت النساء تظهر ما يقبح إظهاره حتى إن المرأة كانت تجلس مع زوجها وصاحبها فينفرد أحدهما بالاستمتاع بما فوق الأزار والآخر بما دونه اه وقد لعن رسول الله ﷺ المترجلات والمخنثين . وفى كتب الفقه لا يجوز دخول المرأة المترجلة على النساء لاسيما فى الحمامات ، لأنها كالرجل الأجنبى بسبب مخالطتها للرجال فتصف لهم ما تراهم من النساء فيحصل من وصفها ما لاخيره فيه . وهذه أحاديث نبوية فى النهى عن التبرج وتوعد فاعلاته ولعن المترجلات من النساء والمخنثين من الرجال

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما قط ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات يميلات رؤسهن كأسنة البخت لا يدخان الجنة ولا يرحن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » - رواه الامام احمد ومسلم عن أبى هريرة - أراد رسول الله ﷺ بالقوم الذين معهم سياط الشرطة أى رجال البوليس الذين يمرّون فى الأسواق فيضربون بعض الباعة فيها أو بعض المارة بحجة أنهم يصدونهم عن الاخلال بالطريق ، والبخت الابل العجمية . وقال فى حديث آخر « لعن الله القاشرة والمقشورة » - رواه الامام احمد عن عائشة - قال ابن الأثير الجزرى المتوفى سنة ٦٠٦ فى كتابه النهاية : القاشرة التى تعالج وجهها أو وجه غيرها بالغمره

ليصفو لونها ، والمقشورة التي يفعل بها ذلك كأنها تقشر أعلى الجلد . قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : والنساء اليوم يستعملن العقيدة وهو السكر المعقود يضعنه على وجوههن ، وعلى منابت الشعر من أجسامهن ليزلن مافيه من شعر أو وبر ، وليس هذا داخلا تحت حديث اللعن بل هو أمر حسن لما فيه من النظافة والنعومة الموجبة لازدياد رغبة الزوج بها . وقال في حديث آخر « لعن الله الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، والنامصة والمتنمصة ، والمتفلجة للحسن المغيرة خلق الله » - رواه البخارى ومسلم واحمد بن حنبل عن عبد الله بن مسعود - قال في النهاية : الواصلة التي تصل شعرها بشعر آخر زورا ، والمستوصلة التي تأمر من يفعل بها ذلك لتغش من يراها فيظن أنها ذات شعر طويل فيرغب بها حيث كان الشعر الطويل مرغوبا به ، وأما اليوم فقد أخذ النساء المسلمات يتشبهن بالافرنجيات في قص شعورهن حتى إنه تخصص لذلك حلاقون يقصون للنساء شعورهن فيصبحن بلا شعور ولا شعور ، وقد كان الشعر الطويل من أول الزينة والجمال في المرأة فحرمت منه بسبب الموضة واتباع الافرنجيات في حالة أن كثيرا من النساء الذميات لا يزان محافظات على شعورهن يربينها ويباهين بطولها ، أفلا يجدر بالمرأة المسلمة أن تتشبه على الأقل ببنت وطنها من غير دينها فتحافظ على شعرها كما حافظت هي عليه ؟ ولكن يا للأسف ما أسرع تردى المسلمين والمسلمات في مهاوى التقليد الاعمى للافرنجيات من غير تعقل ولا تبصر ولا إعمال روية ، والواشمة هي التي تغرز الجلد بآبرة ثم تحشوه بكحل أو نيل فيزرق أثره أو يخضر ، والمستوشمة المفعول فيها الوشم وهو في النساء القرويات أكثر منه في المدنيات لاسيما في مصر ، والنامصة التي تنتف الشعر من وجهها والمتنمصة التي يفعل بها ذلك ، والمتفلجة التي تفرق بين أسنانها الثنايا والرباعيات رغبة في التحسين ، والمغيرة لخلق الله هي التي تضع على وجهها الاصباغ من بياض وحمرة وخطوط لتخفى لونها الطبيعي فيظن الراى له أنها حسنة اللون فيرغب بها . وقال في حديث آخر « كل عين زانية والمرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي زانية » - رواه الامام احمد والترمذى عن أبي موسى

الأشعري - وقال في حديث آخر « إذا تطيب المرأة لغير زوجها فأنما هو نار وشنار » - رواه الطبراني عن أنس - الشنار العيب الذي فيه عار . وقال في حديث آخر « أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل » - رواه الامام احمد بن حنبل وابن ماجه والحاكم عن عائشة - وضع ثيابها في غير بيت زوجها كناية عن تزنيها في خارجه كما يكون في الأعراس والأفراح . وقد اعتاد النساء في هذا الزمان تبعا للفاجرات والمومسات أن لا يلبسن السراويل (اللباسات) أو إنهن يلبسها صغيرة قصيرة ضيقة كأنها رقعة على خرق لا يستتر من عورتهم الغليظة إلا ما هو قدر أصابع معدودة وتبقى أفخاذهن بادية عارية من أصولها إلى نهاية أرجلهن ومن الغريب ان الرجال أخذوا يتشبهون بالنساء بقصر سراويلهن (لباساتهن) وأكثر ما يظهر هذا في لابسى القفاطين والجلاليب في مصر فان الهواء يكشف قفاطينهم فتظهر لباساتهم الى ما فوق ركبهم وهو شيء ممنوع شرعا ومنفور منه طبعاً ، وقد دعا رسول الله ﷺ للنساء المتسرولات لو انهن يقبلن بركة دعائه عليه الصلاة والسلام فقال « رحم الله المتسرولات من النساء » - رواه الدارقطني والحاكم والبيهقي والخطيب والعقيلي عن مجاهد بلاغا - قال أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى المتوفى سنة ٦٠٥ في كتابه الف باء : والنساء في زماننا متبرجات متفراجات محتفلات غير تفلات تشاهد إحداهن الأعراس والحمامات ، وتساعد جارتها في مأتم حميمها اذا مات ، لا تقعد عن ترح ولا تبعد عن فرح ، واما في الاعياد فالكلام فيه مزداد لاحس عند الزوج ولا غيره ، ولا خشية أن ترى في طريقها غيره فتعلقه وتهواه فتقع في مهواه ، وأن تبغض الاول وتفركه وتنهض الى الآخر فلا تتركه اه قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : هذا ما حكاه عن النساء في زمانه وهو القرن السادس حيث الاسلام غض طرى سميتين قوى لم يدنس بدنس تدخل الافرنج في بلاده ، ولا أحد من أهله يذهب الى ديار الكفر فماذا يقول لو رأى نساء زماننا ونحن في القرن الرابع عشر الهجري ، أى يبعده بثمانية قرون تقريبا ، فان النساء فوق ما ذكر عنهن في زمانه يحضرن مسارح

اللهو ، وبيوت الفسق ، وبؤر الخلاعة ، ويشربن الخمر ، ويرقصن مع الرجال ويلبسن لباس الافرنج ، ويسافرن بلا زوج ولا محرم من أدنى البلاد الى أقصاها ويشتركن مع الرجال بالبعثات العلمية أو الفنية الى أوروبا وأميركا ، ويتن ويقمن معهم ، ويحضرن الدروس جنبا الى جنب ، ولم يبق في النساء شيء من أنوثتهم إلا استعملته في مشاركة الرجال إلا مالا بد لهن من استعماله . فهذا باق على ماهو عليه وهو كونها أنثى خلقة اذ ليس بمقدورها أن تكون ذكرا ، ولو قدرت عليه لما تأخرت عنه . وآباؤهن وأولياء أمورهن يرون أحوالهن وأفعالهن فيسكتون عليها بل يساعدونهن على أهوائهن ، ويفتخرون اذا برعن في الخلاعة ، ويتقبلون تهنأي المهنيين لهم إذا برعت لأحدهم بنت بدق العود ، أو العزف على البيانو ، أو اذا مهرت في الرقص ، ويقيمون الحفلات الراقصة لذلك وهم يدعون أنهم مسلمون بل مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . قال الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ : روى أنه اذا أغير الرجل في أهله فلم يغرب بعث الله اليه طيرا يقال له القرقفنة حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله أربعين صباحا يهتف به إن الله غيور يحب كل غيور ، فان هو تغير وأنكر ذلك وإلا طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه فينزع الله منه روح الايمان وتسميه الملائكة الديوث اه وأما ماورد من الأحاديث في لعن المترجلات والمخنثين فهذا بعضها ، قال رسول الله ﷺ « ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ولا من تشبه بالنساء من الرجال » - رواه الامام احمد عن عبد الله بن عمرو - وقال في حديث آخر « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » - رواه الامام احمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن عباس - وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ لعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال « أخرجوهم من بيوتكم » - رواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي - وقال في حديث آخر « لعن الله الرجل من النساء » - رواه ابوداود عن عائشة - وقال في حديث آخر « ثلاثة لا يدخلون الجنة ، العاق لوالديه ، والديوث ، ورجلة النساء » - رواه الحاكم والبيهقي

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وقال في حديث آخر « أربعة لعنوا في السماء رجل خلقه الله ذكراً فتأنث ، وامرأة خلقها الله أنثى فتذكرت تشبه بالرجال والذي يضل الاعمى ، ورجل حضور ولم يجعل الله حضوراً إلا يحيى بن زكريا عليه السلام ، (الحضور الذي لم يتزوج مع القدرة على الزواج)

باب

٢١

في بيان أن غاية أمر المرأة الزواج وأن هناءها بما يكون منها من نتاج وذلك أنها مهما مكثت في بيت أبيها أو وليها فانها تعد نفسها ضيقاً فيه ، وأنها ستنتقل الى بيتها الحقيقي وهويت زوجها ولو كان دون بيت أبيها ، ولو كان زوجها أيضاً دون أبيها حالاً ومالاً ، فهي تنتظر ذلك اليوم السعيد الذي تعلن فيه خطبتها وتحصل فيه زوجيتها ، لعلها أن هناءها وسعادتها منوطان بالزواج والزوج ، فهي تستعد له منذ ما تفتح عينيها وتعقل . وما يرى من تبرج النساء وتزينهن ، وغشيانهن المجتمعات ، وذهابهن الى محل اللهو والزهو والمسارح ، فهو محمول بحسن الظن على أن القصد منه الحصول على زوج حيث ترى الرجال ويرونها ، فعسى أن يحصل لها نصيب من ابن حلال يراها فيستحسنها فيطلبها من أهلها فيجاب الى طلبه نظراً لما في الشريعة الاسلامية من وجوب التستر ولزوم البيوت ، وبسببهما يخفين على الناس ولا يعلنن فيبقين في بيوتهن الى ما شاء الله تعالى . ومهما كانت المرأة غانية في جمالها مستغنية بما لها ، معتزة بأهلها ؛ فهي محتاجة الى رجل يقوم عليها بما يلزم لها أكثر من احتياج الرجل اليها . قال بزرجمهر (بضم الباء والراء وفتح الهاء وكسر الميم وسكون الراءين والجيم) وزير كسري (خسرو) نوشيروان المتوفى قبل الاسلام أوفر ما يكون من الدواب لا بد له من سوط أو عصا ، وأعقل ما يكون من النساء لا غنى لها عن الزوج ، وأعقل ما يكون من الرجال لا غنى له عن مشورة ذى عقل . وقال الكمال أحسن الله تعالى اليه :

لا بد للمرأة الحناء من رجل مهما اغتنت واكتفت في حسنها الذاتي

فانه هو مرأة لصورتهـا ولا ترى نفسها إلا بمرأة
وقد جاءت أحاديث كثيرة في الحث على تزويج البنت متى جاءها الطالب الكفء
والنهي عن عضل النساء - أى منعهن من الزواج - لأسباب وغايات كحديث « إذا
جاءكم الأوكفاء فأنكحوهن ولا تربصوا بهن الحدثنان » - رواه الديلمى عن عبد الله
ابن عمر بن الخطاب - وحديث « إذا أناكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه
إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض » - رواه الترمذى وابن ماجه
والحاكم عن أبى هريرة - وحديث « مكتوب فى التوراة من بلغت له ابنة اثنتى
عشرة سنة فلم يزوجها فأصابته إثمافثم ذلك عليه » - رواه البيهقى عن عمر وأنس -
وحديث « زوجوا أبناءكم وبناتكم وحلوهم بالذهب والفضة وأجيدوا لهن الكسوة
وأحسنوا إليهن بالنحلة ليرغب فيهن » - رواه الديلمى عن عبد الله بن عمر - ويجب
على أبى البنت أو وليها أن يراعى خصال الزوج ، وينظر لسكريمته فلا يزوجهـا ممن
ساء خلقه ، أو ضعف دينه ، أو قصر عن القيام بحقوق الزوجية ، أو لم يكن كفؤا
لها فى نسبها ، ففى الحديث عن عائشة رضى الله تعالى عنها « النكاح رق فلي نظر
أحدكم أين يضع كريمته » فانزوج ابنته لظالم أو فاسق أو مبتدع أو شارب خمر
فقد جنى على دينه ، وتعرض لسخط الله تعالى لما قطعه من حق الرحم بسبب
سوء الاختيار . وقال رجل لسيدنا الحسن السبط بن سيدنا على رضى الله تعالى
عنهما : إن لى بنتافمن ترى أن أزوجهـا له ؟ قال : زوجها ممن يتقى الله ، فانه إن
أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها هـ والزواج من ضروريات النساء مهمما
أظهرن التمتع عنه ، حتى أن كتب الأدب مملوءة بحكايات رغبتهن به ، فقد ذكر
الفيروز آبادى المتوفى سنة ٨١٧ فى مادة القفاف من القاموس أنه كان لهما بن مرة التغلبى
ثلاث بنات فأبى أن يزوجهن ، فلما عسن قالت إحداهن وأسمعته متجاهلة أنه يسمعهـا
أهمام بن مرة إن همى لفى اللائى يكن مع الرجال
فأعطاها سيفا وقال هذا يكون مع الرجال ، فقالت الأخرى ما صنعت شيئا
ولكنى أقول :
أهمام بن مرة إن همى لفى قفءا مشرفة القذال

فقال وما قنفاء ؟ تريدن معزى ؟ فقالت الصغرى ما صنعتما شيئاً ولكني أقول :
 (وصرحت بأنها تريد زوجاً ولا يمكن نقل مآلاته وإن ذكره صاحب القاموس)
 فقال : أخزأكن الله ، وزوجهن . وكتب الأدب كالمستطرف للأبشي المتوفي
 سنة ٨٥٢ وغيره تذكر هذه الحكاية بصورة أنهم قعدن معه للشرب ، فلما أخذتهن
 نشوة السكر تكلمت كل واحدة منهن بما في ضميرها كما سبق ، وهو الأقرب للواقع
 لأن الخمر تخامر العقل أي تغطيه فيتكلم كل ثمل بما في نفسه حقيقة من غير كناية
 ولا إيماء ، على أنه قد يشير أو يرمز الى ما يريد من ليس بسكران أيضاً كما
 قالت قسمة بنت إسماعيل الأندلسية وقد بلغت سن الزواج فلم يجئها طالب :
 أرى روضة قد حان منها قطافها . ولست أرى الجاني يمد لها يداً
 فوا أسفي يمضى الشباب مضياً ويبقى الذي ما إن أسميه مفرداً
 وكم مثلها من آنسة أمست لعدم الرغبة بها عانسة لا لعة فيها بل لقسمتها
 وطالعتها . فكم من درة في مزاب ، وبعرة في محافل ، فليس الأمر بالجمال ، ولا
 بنعومة الحال ، بل ذلك بالقسمة والنصيب ، وهو أمر عجيب . فاذا تزوجت البنت
 وقضت مع زوجها شهر العسل أخذت تتوقع الحمل ، وكلما تأخر زمان حملها كثر
 اشتغالها ، فأخذت تبحث عن الوسائل التي تسرع في حملها ، مستعينة بمعرفة
 صاحباتها وأهلها ، لعلها أن هنأها وسعادتها لا يحصلان إلا اذا رأت ولدها في
 حجرها ، فاذا حصلت عليه أخذت ترغب في الثاني ، وهكذا حتى تصبح أم أولاد
 بنين وبنات ، وكلما زاد ولدها قوي ظهرها وزاد تأثيرها على زوجها ، إذ تأثيرها
 عليه بالأولاد أقوى من تأثيرها عليه بالجمال أو المال ، فانها تملكه بأولادها
 أكثر مما تملكه بغيرهم ، فان زوجة بلا أولاد كعالم بلا شمس ، وحصير بأثر خير
 من زوجة عاقر ، وفي الحديث «سوء» (وفي رواية) سوءاً ولود خير من حسناء
 عقيم » وسئل نابليون عاهل الفرنسيين المتوفي سنة ١٢٣٧ هـ ١٨١٣ م أي النساء
 أعظم بنظره ؟ فقال : أكثرهن أولاداً . وفي الأمثال : كثرة الأولاد زينة الوالدات
 ولا فرق بين أن يكون الأولاد بنين أو بنات ، وإن كانت رغبة الآباء بالبنين
 ورغبة الأمهات البنات ، فالكل نعمة من الله للوالدين ، وشرح صدر ورقة

عين . وفي القرآن الكريم (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلناهم أزواجا وذرية) وفيه أيضا (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وفي الأحاديث الشريفة ما يدل على عظم فائدة الآولاد كحديث « الولد من ريحان الجنة » وحديث « الولد ثمرة القلب » وحديث « ما ولد في أهل بيت غلام إلا أصبح فيهم عز لم يكن » وفي مادة النطاق من القاموس قال سيدنا علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه : من يطل هن أبيه ينتطق به ، أى من كثر بنو أبيه تقوى بهم . وفي الأمثال الحكيمية : بقاء الاسم في البرية ، بتخليف الذرية ، والوسيلة الموصلة الى حصول التناج هو الزواج ، فلتسكلم عليه مبينين الأقوال فيه ما بين مرغوب ومنفر ، وميسر ومعسر .

باب

٢٢

فى التزوج والعزوبة ، وما فيهما من مرارة وعذوبة

اتفقت الأئمة كلها على أنه لا بد من تكثير أفراد العالم لعارة الكون ، وإدامة الحياة ، واستكمال أسباب المعيشة ، بل اتفقوا على وجوب تكثير أفراد جميع المخلوقات من حيوانات وطيور وحشرات ، لأن في كل شيء مزية حتى في الحية والله تعالى لم يخلق شيئا عبثا ، وقد جعل الله في كثير من الضعفاء تسلطا على كثير من الأقوياء ، كالديك مثلا فإنه على ضعفه وتسلط البشر وبعض الحيوان عليه جعله الله موضع الخوف والمهابة من النمر على كبره وعتوه وخطرسته ، حتى إنه ليضرب به المثل في عزته ومنعته فيقال أحى من إست النمر ، ولكنه إذا رأى الديك خاف منه وولى هاربا ، ولذلك تصطحبه القوافل في الفيا في والقفار التي يكون فيها النمورة - ولكنهم أى الأئمة - اختلفوا في صفة الاكثار من عدد المخلوقات مع علمهم بأنه لا يكون إلا باتصال الذكر بالأنثى والآنثى بالذكر ، والشرع الاسلامى جعله بايجاب وقبول من المتعاقدين أصالة أو وكالة بلفظ الماضى : كزوجتك نفسى أو موكلتى ، وقول الزوج أو وكيله : قبلت منك تزويجك لى أو لموكلتى ، أو تزويجك موكلتك لى أو لموكلتى ، مع رعاية الكفاءة وعدم وجود المانع الشرعى بأن تكون ذات رحم

قربة منه لا يحل له التزوج بها ، أو الطبيعي بأن يكون فيها موانع تمنع من حصول الزوجية أو المانع النظامي كان تكون دون السن التي رخصت به الحكومة المحلية مع العلم بأن كل مانع غير شرعي لا يمنع من صحة العقد ، وإنما المحاكم لا تقره ولا تعتبره امتثالاً لأمر الحكومة . وهذا التعاقد بين الطرفين بالإيجاب والقبول بالصيغة الماضية أو مضى إحداهما يسمى بعرف الشرع نكاحاً وتثبت به الزوجية وتجب فيه مبادلة الحقوق بين الزوجين ، كما قال الله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن) وما كان على غير وجهه الشرعي فهو سفاح محرم توعده الله عليه بالنكال في الدنيا والعذاب في الآخرة ، والنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء معين على الدين ومهين للشياطين ، وحصن من الفحشاء ، وسبب لتكثير النسل ، وكاسر لحد الشهوة ، ومعين على تدبير أمور المنزل ، ومكثر للعشيرة ؛ ومسبب لجهاد النفس بالقيام على نفقة الأهل والعيال وفي ذلك الثواب ، والقصد منه بقاء نسل العالم إلى آخر أيامه المقررة عند الله تعالى . والشهوة باعثة له ، وفي حصول الولد قربة من أربعة أوجه ، موافقة محبة الله بالسعي وراء حصوله لبقاء الجنس الانساني ، وطلب محبة رسول الله ﷺ في تكثير من يباهى به يوم القيامة ، ففي الحديث الشريف «تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط» - رواه عبد الرزاق عن سعيد بن أبي هلال مرسلًا - وطلب التبرك بدعاء الولد الصالح لأبيه بعد وفاته ، ففي الحديث الشريف «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» - رواه البخاري في الأذنب المفرد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي - وطلب الشفاعة بموت الولد الصغير قبل والديه ، ففي الحديث الشريف عن أبي هريرة «إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة» وفي حديث آخر إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محببًا ويقول لا أدخل إلا وأبواي معي ، فيقال ادخلوا أبواه معي إلى الجنة» - محببًا مملأ غيظًا وغضبًا - وقد مدح الله تعالى التزوج والمتزوجين فقال في وصف الرسل عليهم الصلاة والسلام (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) ومدح عباده الصالحين بسؤال الأزواج والذرية في الدعاء فقال عنهم في القرآن الكريم (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة

أعين) وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور . وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما : لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج . وكان سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه يقول : لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكي لا ألقى الله عزبا . وماتت امرأتان لسيدنا معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه في الطاعون ، وطعن هو أيضا بعد موتهما فقال : زوجوني فاني أكره أن ألقى الله عزبا . وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يكثر النكاح ويقول : ما أتزوج إلا لأجل الولد . وتزوج الامام احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه في اليوم الثانى من وفاة زوجته أم ولده عبد الله وقال : أكره أن أبيت عزبا . وفى الحديث الشريف « شراركم عزابكم » - رواه أبو يعلى والطبرانى وابن عدى عن أبي هريرة - وفى رواية « أراذل الموتى عزاب البشر » .

ومن فضيلة النكاح أن المتزوج يسعى فى طلب الرزق لنفسه ولغيره ، والنفع المتعدى أكثر ثوبا من النفع القاصر . وفى الآثار ، إن فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد ، وإن ركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب . والتزوج عبادة وقربة لما فيه من الاحصان عن الوقوع فى المحرمات ، وكف الفرج والعين عن الوقوع فيما لا يجوز ، ولما فيه من النفقة على العيال . وينبغى لمن يتزوج أن يقصد بتزوجه النسل وتكثير عدد أمة النبي محمد ﷺ والقيام بما يتولاه النساء من تدبير أمور المنزل لأن يقصد به مجرد الاستمتاع وقضاء الشهوة فقط فانه مذموم لما فيه من التشبه بالحيوانات ، إلا أن يفعل ذلك لكسر حدة شهوته ، وتسكين ثائر غلبته ، حتى لا تطمح نفسه للوقوع بريبة . ومع هذه الفوائد والمنافع الحاصلة فى الزواج للمتزوجين والترغيب الوارد فيه فقد كره التزوج وما يترتب عليه من حصول الأولاد ، واستدل على كراهيته بآيات وأحاديث وأقوال علمية وحكمية وشعرية قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) وقوله تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) وقد أنفى الله تعالى على نفسه فى القرآن الكريم بكونه لم يتخذ زوجة ولا ولدا فقال تعالى (وقل الحمد لله الذى لم

يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك) وقوله تعالى (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) صاحبة هي الزوجة وقوله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) وفي الحديث الشريف « خير الناس بعد المؤمنين الخفيف الحاذ » وفسره بقوله « الذي لا أهل له ولا ولد » وفي حديث آخر « يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل فيه على يد زوجته ، وأبويه ، وولده يعبرونه بالفقر ، ويكفونه ما لا يطيق ، فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك » وفي حديث آخر « ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة ، وإذا قتلته كان لك نورا ، ولكن عدوك نفسك التي بين جنبيك ، وامرأتك التي تضاجعك على فراشك ، وولدك الذي من صلبك ، فهو لا أعدى عدو هو لك » - رواه الديلمي عن أبي مالك الأشعرى - وفي حديث آخر « قلة العيال أحد اليسارين ، وكثرتهم أحد الفقيرين » وقال أبو سليمان الداراني المتوفى سنة ٢١٥ - وهو من الصوفية - : الصبر عن النساء خير من الصبر عليهن . وقال أيضا : الوحيد يجد حلاوة العمل ، وفراغ القلب ، ما لا يجد المتأهل . وقال أيضا : ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا ، من طلب معاشا أو تزوج امرأة ، أو كتب الحديث . وقال الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ : إذا أراد الله بعبد خيرا لم يشغله بأهل ولا مال . وقيل لبشر الحافي المتوفى سنة ٣٢٧ - وهو من الصوفية - إن الناس يتكلمون فيك لتركك النكاح ، يقولون هو تارك للسنة ؟ فقال : قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة . وعوتب مرة أخرى على ترك النكاح فقال : ما يمنعني من التزوج إلا قوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وامتنع كثير من الصالحين من التزوج اقتداء بابن الخالدة يحيى بن زكريا ، وعيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام . ويقول الكارهون للنكاح أيضا : إن التخلي لعبادة الله تعالى أفضل من التزوج ، لما فيه من التخلي عن الشواغل ، والاتجاه لعبادة الله تعالى ، لاسيما أن الكسب الحلال متعذر في هذا الزمان ، وأخلاق النساء ليست مرضية في الغالب ، فيخشى على المتزوج أن يقع في الأثم بسبب زواجه ، إلا إذا خاف الفتنة على نفسه لما يجد فيها من التوقان الى ملامسة النساء فانه حينئذ يكون

واجبا عليه أن يتزوج . وقال بعض الصالحين : ضاع العلم بين أخفاذ النساء . وقال الفيلسوف جيجه رون : لا تجتمع الحكمة والمرأة . وقال خالد بن صفوان : لا تتزوج واحدة فتحيض أنت اذا حاضت ، وتنفس اذا نفست ، وتمرض اذا مرضت ، ولا تتزوج اثنتين فتقع بين جمرتين ، ولا تتزوج ثلاثا فتقع بين الاثافي ، ولا تتزوج أربعاً فيحقرنك ويهرمنك ويفلسنك . فقل له حرمت ما أحل الله ؟ فقال : طمران ، وكوزان ، ورغيفان ، وعبادة الرحمن . وقال بعض القلندرية : مالى ومال من تحيض وتبيض ، وتوقعى فى الطويل والعريض ، حتى اذا أتتني بولد ، أتتني بنكد ، ييكى فيكيني ، وأغذره ولا يغذونى ، فاذا كبر وترعرع ، وقوى منه المبلغ ، أخذ يكلفنى ويتجهمنى ويعنفنى ، فان كنت غنيا تمنى زوالى ، ليتصرف فى أموالى ، وإن كنت فقيرا أوسعني تحقيرا ، ومن أين أو مل أن يكون ولدى كيحيى بن زكريا ، برا بوالديه تقيا ولعله أن يكون ذا سفاه : كابن بسام الشاعر (المتوفى سنة ٣٠٣) اذ هجا أباه فقال :

هبك عمرت عمر عشرين نسرا أترى أننى أموت وتبقى
فلئن عشت بعد موتك يوما لا شقر جيب مالك شقا

أو كالحطيئة ، مقترفا للخطيئة ، إذ هجا أمه فقال - وما أذمه - :

تنحى يادافار فلست منى أراح الله منك العالمينا
أغر بالال إذا استودعت سرا وكانونا على المتحدثينا

ومن العقل ، أن يكون من النسل بلا عقل ، كما قال أبو الفتح البستي المتوفى سنة ٤٠٠ :

يقولون ذكر المرء يبقى بنسله وليس له ذكر إذا لم يكن نسل

فقلت لهم نسلى بدائع حكمتي وإنابها عن كل ذي ولد نسلو

وبالغ أبو العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ في التنفير من الزواج وحصول الاولاد وعد أن مجيئهم جناية عظيمة عليهم من الآباء فلذلك لم يتزوج ، وأوصى إذا مات أن يكتب على قبره :

هذا جناه أي على وما جنيت على أحد

وقال : تواصل جبل النسل ما بين آدم وبينى ولم توصل بلامى باه
تثاب زبد إذ تثاب خالد بعدوى فما أعدتني الثوباء
علي الولد ينجني والد ولوانهم ملوك على أمصارهم خطباء
وزادك بعدا عن نيك وزادهم عليك حقودا أنهم نجباء
يرون أبا ألقاهم في مؤرب من العيش ضلت حله الأرباء
العيش المؤرب الشديد من أرب الشاة اذا قطعها إربا إربا ، والأرباء جمع
أريب وهو المدرب الماهر البصير . وقال شاعر :

الزوج شؤم وفي الأولاد منقصة والله فرد يجب الفرد فانفرد
لو كان في الزوج والأولاد منفعة ما قيل ما اتخذ الرحمن من ولد
وقال الكمال (مؤلف هذا الكتاب) أحسن الله تعالى إليه في كتابه ثمرات
التجارب : الزواج فرحة شهر ، وترحة دهر وغرامة مهر ، وكسر ظهر ، ولو كان على
نهر ، في رياض ثمر وزهر ، السر بالسر والجهر بالجهر . وقال عفا الله تعالى عنه :

أخا العقل إني لا أريد زواجا ولا أبتغي - إنما نكحت - تتاجا
أرى هذه الدنيا عظيما بلاؤها فداخلها لا يستطيع خراجا
أراها وعاليها وسافلها سوا لقد أصبحت فيها الأمور خداجا
فدعني أكن فردا أعيش براحة أعد الحالى في المعاد رواجا
إذا نسلخ الإنسان عن قشر شهوة تساوى لديه النكل غير مداجى
إلا أنه غلب عليه القدر المتاح ، فأوقعه في شرك النكاح ، وجاءه البنون والبنات
ووقع في فخ تعدد الزوجات ، وكل ذلك بعد أن طرق باب الأربعين ، ولا معين
لديه ولا معين ، والله غالب على أمره ، لا يجرى إلا ما هو بمشيئته وإرادته . وقال
أيضا من قصيدة له طويلة تبلغ نحو ثلاثمائة بيت جامعة لكثير من النظرات الفلسفية
والنفكرات العلمية من البحر السريع :

✓ إن الزواج أصل كل البلا على رقيق الخلق أو حره
✓ بل هو تمرات على جمرة أعوذ بالرحمن من تمره

جناية يحني بها والد على بنيه وهو لم يدره
 تسوقه فيها له شهوة تكسر منه العظم في ظهره
 من أجلها يلقي بأيديه في قفر بيلقع وفي وعره
 تجيئه بعيلة غيلة تعدمه المحبوب من صبره
 فيسخط الله وياربما أدته في السخط إلى كفره
 وكل طفل ولدته النساء فهو لكرب الدهر أو قهره
 وقل أن يلقي من ابن أب على الجليل الجزء من بره
 وأية النساء فيها الوفا لزوجها في اليسر أو عسره
 أليست المرأة إحدى الثلا ث في حديث الشؤم فاستقره (١)
 فأكبح جماح النفس عن شهوة تذهب بالمرء إلى ضره
 مكرم نوع بنى آدم وهو يهين النفس في عره
 وما عليه لو تأنى فلا يسوء عند الله في وزره
 إذا تخلى المرء عن شهوة تساوت الأشياء في سبره
 فخف ما يلقاه من ثقله وسال ما استجمد من صخره
 وما مكان المرء إلا الذي ينزل من حاله أو قفره
 لا سيما في زمن شره أقرب للانسان من سره
 زماننا هذا الذي منه شا هدنا نجوم الظهر في عصره
 وانما المسعد فيه الذي كان خفيف الحاذ أي ظهره
 لا ولد عق ولا زوجة سليطة منه على فكره
 وليس في الزوجات إلا البلاء وأول البلاء في مهره
 وكثرة العيال جهد البلاء تذهب بالمرء إلى فقره
 وقلة العيال أحد اليسا رين فزد يارب في يسره

وقال أمين ناصر اللبناني في ديوانه صدى الخاطر :

(١) يريد ما جاء في الحديث « الشؤم في ثلاث ، المرأة والدابة والدار »

إذا كان ينبغي المرء كربا معجلا فإن الزواج اليوم مجلبة الكرب
به المرء يمسى مجرما نحو نسله بوضعهم في موضع العيشة الصعب
أليس أبو البناء علة كونهم يعانون أهوال الحياة بلا ذنب
وما دام تزويج الرجال مسيبا شقاء بنهم فليحاذره ذو اللب
وقال ابن الشبل البغدادي المتوفى سنة ٤٧٤ من قصيدة :

قبسح الله لذة لاذا نالها الأمهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألف الفقه دفايحادنا علينا بلاء

وقال أبو الطيب المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ :

هل الولد المحبوب إلا تعلة وهل خلوة الحسناء إلا أذى البعل
وقد ذقت حلواء البنين على الصبا فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل
وما الدهر أهلا أن تؤمل عنده حياة وإن يشاقق فيه إلى النسل

وقال آخر: المرأة الجميلة توقعك في الشبهة ، والقيحة تغمك والفقيرة تحرب بيتك
والغنية تستأسرك وتتحكم فيك والشابة تستنفد قواك والمسننة تنهك صحتك ، فإذا
أردت السلامة من ذلك فعليك بالعزوبة والسلام .

قال الكمال أحسن الله تعالى إليه : ما من شيء إلا هو قابل للمدح والقدح فيه
لذاته ، والزواج وحصول التناج من هذا القبيل ، ولكن سنة الله جارية على سنن
الاقبال عليه والاكثر منه لحفظ العالم وبقائه إلى آخر اليوم المحدد له ، فلا بد
منه لأفراد البشر ، بل لكل ما خلق الله من حيوان وحجر ، وشجر (وإن تجدد
لسنة الله تحويلا) (وإن تجدد لسنة الله تبديلا) والكون في رقيه سائر ، وبكل
شيء من الموافق والمضاد عامر ، فإذا زهد بالزواج وحصول التناج قوم لا يستلزم
منه زهد غيرهم ، كيف والأحاديث الشريفة في الترغيب فيه والحث عليه كثيرة
وهاك بعض منها : قال رسول الله ﷺ « النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني »
رغب عني « وقال في حديث آخر « النكاح سنتي فمن أحب فطرني فليس مني »
وقال في حديث آخر « التمسوا الرزق بالنكاح » - رواه الديلمي عن ابن عباس -

وقال في حديث آخر « من كان على ديني ودين داود وسليمان وابراهيم فليتزوج »
وقال في حديث آخر « من كان له ما يتزوج فلم يتزوج فليس منا » وقال في
حديث آخر « من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا » وقال في حديث آخر « من
تزوج فقد أحرز شطر دينه فليترك الله في الشطر الآخر » وفي رواية « من تزوج
فقد استكمل نصف الايمان فليترك الله في النصف الباقي » - رواه الطبراني عن أنس -
وقال في حديث آخر « من كان ذا طول فليتزوج » وقال في حديث آخر « من
استطاع منكم الباءة (النكاح) فليتزوج فانه أغض للبصر، وأحصن للفرج،
ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء » وقال في حديث آخر « حق على الله عون من
نكح التماس العفاف عما حرم الله » - رواه ابن عدي عن أبي هريرة - وقال في
حديث آخر « تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط »
- رواه عبدالرزاق عن سعيد بن أبي هلال مرسل - وقال في حديث آخر « تزوجوا
بالنساء فانهم يأتين بالمال » - رواه البزار والخطيب عن عائشة وأبو داود عن عروة
مرسل - وقال في حديث آخر « تزوجوا فاني مكاثركم الأمم ولا تكونوا كرهبانية
النصارى » - رواه البيهقي عن أبي أمامة - وقال في حديث آخر « اذا تزوج
أحدكم عجب شيطانه يقول ياويله عصم ابن آدم مني ثلث دينه » وفي رواية « أيما
شاب تزوج في حداثة سنه عجب شيطانه ياويله عصم مني دينه » - رواه أبو يعلى عن
جابر - وقاله في حديث آخر « اذا حرم أحدكم الزوجة والولد فعليه بالجهاد » -
رواه الطبراني عن محمد بن حاطب - وعن عكاف بن وداعة الهلالي أن رسول الله ﷺ
قال له « يا عكاف ألك امرأة؟ » قال لا، قال « فأنت اذن من إخوان الشياطين،
إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم، وإن كنت منا فانكح فان من سننا النكاح »
ونقلت جريدة الاهرام بتاريخ ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٥٢ بعنوان وفیات المتزوجين
والعزاب مانصه : يموت ٤٢ متزوجا و ٦٦ أعزب في المئة ما بين سن ٢٠ و ٣٠
و ١٨ متزوجا و ٢٧ أعزبا في المئة ما بين سن ٣٠ و ٤٥ و ٣٥ متزوجا و ٨٥
أعزب في المئة ما بين سن ٥٠ و ٦٠ أما في الستين وما بعدها فلا سبيل الى المقارنة
بين الفريقين إذ لا يبقى من العزاب أحد .

باب

٢٣

في المهر ووجوبه معجلاً ومؤجلاً

المهر واجب على الزوج للزوجة بمقابلة تملك البضع حسب أمثالها من قوم أبيها وللزوجة أن تمنع نفسها عن زوجها حتى يؤديها المهر المتفق على معجله ، ولها أن تهبه المهر كله أو بعضه ، ويسقط عنه بعد الهبة فلا يحق لها أن تعود مطالبة به ثانياً مرة ولا تعد ناشزة فيما لو منعت نفسها عنه حتى يعطيها المهر المعجل ، وعليه نفقتها حسب وسعه ومقدرته ، ففي الحديث الشريف « ما من امرأة تصدقت على زوجها بشيء من صداقها قبل أن يدخل بها إلا كتب الله لها بكل دينار عرق رقة » وقد جاء الشرع الشريف بالوعيد الشديد لمن يتزوج امرأة ولا يعطيها مهرها ، ومن ذلك حديث « أيما رجل تزوج امرأة فنوى أن لا يعطيها من صداقها شيئاً مات يوم يموت وهو زان » - رواه أبو يعلى والطبراني عن حبيب - وفي حديث آخر « إن أعظم الذنوب عند الله رجل تزوج امرأة فلما قضى حاجته منها طلقها وذهب بمهرها »

والمتعارف عليه منذ القديم أن المهر قسمان ، معجل ، ومؤجل ، فالمعجل يدفعه الزوج عند العقد أو بعده قبل الدخول بالزوجة ، والمؤجل يبقى في ذمته ديناً عليه إلى أن يفارقها بطلاق أو موت ، فإذا طلقها وجب عليه أن يدفع مالها بذمته من المهر المؤجل ونفقة عدة الطلاق ، وإدامات عنها كان مهرها المؤجل ديناً في التركة يبدأ بأدائه بعد تجهيزه ودفنه وقبل تنفيذ وصيته ، لأنه حق ثابت في ذمة المتوفى كالديون الآخر ، فإذا مات قبله فهو ميراث متروك عنها لمن يرثها وزوجها من جملتهم ، وله النصف إذا لم يكن لها ولد مطلقاً منه أو من زوج آخر قبله ، والربع إذا كان لها ولد منه أو من زوج آخر قبله ، والباقي لبقية الورثة الأقرب فالأقرب كما هو مبين في كتب الفرائض وأحكامها . وللزوج أن يخلص من التبعة فيعطيهما وهو في حياته وهي تحت عصمته مؤجل صداقها الذي تستحقه بطلاقها أو بموته تخلصاً من تبعة الدين الثقيلة الوطأة على المدين (المديون) ولها أن تسقط عنه مهرها المؤجل كله أو بعضه في حياته وبعد موته ، وعليه أن يوصي به أي يلزم ويدفع مؤجل مهرها ، وليست هذه وصية صدقة بل وصية تأدية حق كالديون

الأخر ، يسأل عنها في قبره ويعذب على سكوته عليها ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء تنطحها » - رواه احمد والبخارى ومسلم والترمذى عن أبي هريرة - وقال فى حديث آخر « نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه » - رواه الامام احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة - وقال فى حديث آخر « صاحب الدين مأسور بدينه يشكو الى الله الوحدة » - رواه الطبرانى وابن النجار عن البراء - وقال فى حديث آخر « والذى نفسى بيده لو قتل رجل فى سبيل الله ثم عاش ثم قتل ثم عاش ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى دينه » .

باب

٢٤

فيما يلزم من العناية فى التزوج والتزويج

المرأة بضعة - أى قطعة - من أبويها ، وأتمودج لأمها ، فكيفما كانا كانت ، وصلاح الأبوين أو فسادهما مؤثر فى الأولاد ولوبعدحين ، كما أن للرضاع تأثيراً فى الأخلاق والطباع ، والولد فى الغالب ينزع الى أصل أمه وطباعها وشكلها ، ففى الحديث الشريف « كادت المرأة تلد أباهاً أو أخاهاً » وفى حديث آخر « الناس معادن والعرق دساس » وأدب السوء كعرق السوء » - رواه البيهقى عن ابن عباس - وقال بعض الشعراء :

إذا أردت زوجة تبغيها كريمة فانظر الى أخيها

ينبيك عنها والى أبيها فان أشباه أبيها فيها

والاعتراك يقولون (كنفارينه باق آل بزي) (اناسنه باق آل قيزى) أى انظر الى الحاشية ثم خذ القماش ، وانظر الى الأم ثم خذ البنت . وفى كتاب إحياء علوم الدين للغزالى المتوفى سنة ٥٥٠ هـ فى كتاب النكاح منه ما نصه : وأما الخصال المطيبة للعيش التى لا بد من مراعاتها فى المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده فثمانية ، الدين ، والخلق والجنس ، وخفة المهر ، والبكارة ، والولادة ، والنسب ، وأن لا تكون ذات قرابة قريبة منه اه وفى الحديث الشريف « تنكح المرأة لأربع ، لجمالها ولما لها ولحسنها ولدينها فعليك بذات الدين تربت يداك » - رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه

عن أبي هريرة - وفي حديث آخر « إياكم وخضراء الدمن ، المرأة الحسناء في المنبت السوء » وقال أكثم بن صيفي حكيم العرب المتوفى سنة (٩) لولده : يا بني لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب ، فإن المناكح اللئيمة مذهبة للشرف . وقال أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٩٩ لبنيه : يا بني قد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا قالوا كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد ؟ قال اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون بها أه وفي الأمثال : المناكح الكريمة مدارج الشرف ، فلا تغتر بمن يقول النساء أوعية ، كلا . فإن الولد قطعة من كبد أبيه وأمه ، وعلى فرض أنها وعاء فإن للوعاء تأثيراً على ما فيه ، وابن أخت القوم منهم . وقدمراً نفا حديث « كادت المرأة تلد أباهاً أو أخاه » فلا تنزوج بمن يعيب ابنك بخاله ، فإن الولد قد يعير به كما يقتخر بخاله . قال الشاعر :

خالى لانت ومن جرير خاله ينل العلاء ويكرم الأخوالا

وفي الأمثال : قيل للبغل من أبوك ؟ قال خالي الحصان . وقال الأصمعي المتوفى سنة ٢١٣ : مرفع أحد نفسه بعد الايمان بالله تعالى بمثل منكح صدق ، ولا وضع نفسه بعد الكفر بالله تعالى بمثل منكح سوء اه قال الكمال أحسن الله تعالى إليه : وقد يجنى على المرء اجتهاده في طاب الزوجة الموافقة لينفذ فيه قضاء الله وقدره . قال الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ في كتابه المحاسن والأضداد : روى أن رجلاً أتى إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني أريد أن أتزوج فادع الله أن يرزقني زوجة صالحة ؟ فقال « لودعالك جبريل وميكائيل وأنا معهما ما تزوجت إلا المرأة التي كتب الله لك ، فانه ينادى في السماء ألا إن امرأة فلان بن فلان فلانة بنت فلانة » اه فليرض كل شخص بما قسم الله تعالى له ، فإن كان خيراً فعليه بالشكر ، وإن كان شراً فعليه بالصبر ، حتى يجعل الله له من أمره فرجاً ومخرجاً . قال سيدنا الحسن السبط بن سيدنا علي رضي الله تعالى عنهما : من اتكل على حسن اختيار الله تعالى لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختارها الله تعالى له . ويجب على أبي البنت أو وليها أن يراعي خصال الزوج وينظر لكريمته فلا يزوجه من ساء الخلق ، أو ضعيف الدين ، أو ممن يعرف عنه تقصيره في القيام بحقوق الزوجية ، أو ممن كان دونها في الشرف والحيشة . ففي الحديث الشريف

عن عائشة رضي الله تعالى عنها « النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته » فان زوج ابنته من ظالم ، أو فاسق ، أو مبتدع ، أو شارب خمر ، أو مراب ، فقد جنى على ابنته ، وعلى نفسه وعلى دينه ، وتعرض لسخط الله تعالى ، فانه مسئول أمامه عما فعل . وقال رجل لسيدنا الحسن السبط بن سيدنا علي رضي الله تعالى عنهما : إن لي بنتا فن ترى أن أزوجهالها ؟ قال : زوجها من يتقي الله تعالى فانه إن أحباها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها . وكان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يزوجه امرأة من نسائه يأتيها من وراء حجاب فيقول لها « يا بنية إن فلانا قد خطبك فان كرهته فقولى لافانه لا يستحي أحد أن يقول لا ، وإن أحببت فان سكوتك إقرار » وفي الحديث أيضا « أمروا النساء في أنفسهن فان الثيب تعرب عن نفسها ، والبكر رضاها صممتها » - رواه الطبراني والبيهقي عن الغرس بن عمير - وفي حديث آخر « أمروا النساء في بناتهن » - رواه أبو داود والبيهقي عن ابن عمر - وفي أخبار الخنساء أنه خطبها دريد بن الصمة من أيها موكان طاعنا في السز ، فقال له أبوها إنك الكريم الذي لا يطعن في حسبه ، ولكن لهذه المرأة في نفسها مالميس لغيرها ، وإنما أذكرك لها . ثم دخل عليها وقال : يا خنساء أتاك فارس هوأزن ، وسيد بنى جشم ، دريد بن الصمة يخطبك وهو من تملين ؟ فقالت : يا أبت أتراني تاركة بني عمى مثل عوالى الرماح ونا كحة شيخ بنى جشم هامة اليوم أو غد ؟ ! وأبت أن تزوجه . فلا بد من أخذ رأى البنت فيمن يعرض عليها لتكون معه على حب وائتلاف هذا وقد اعتاد مرید الزواج أن يرسل من قبله من يعتمد عليها من أهله كأمه وأخته وغيرهما لتنظر له واحدة مناسبة أو ربما خصص واحدة فبعث بمن تراها وتكلم أهلها بخصوصها فتذهب الائم مثلا الى بيت أهل المطلوبة وتدخل عليهم وهم لا يعرفونها من قبل ، أو بينهم وبينها معرفة ضعيفة ، فاذا لم يكن لهم رغبة في أن يعطوا بنتهم اعتذروا وليس في ذلك كبير ضرر وأما اذا أرادوا أن يعطوا فيها المعركة ، فان البنت قد تكرر مؤدبة في ذاتها ، موافقة في طابعها ، وهذا لا ضرر فيه . ولكن قد تكون على غير المطلوب طبعاً ووصفاً ويريد أهلها أن يدفعوها عنهم بمجر دخاطب يخطبها ، أو طالب يطلبها ، فحينئذ يصنعونها ويحملونها ويعلمونها شيئاً من حسن الملاقاة ، فتتقدم نحو الزائرة الخاطبة بالقهوة أو ما يعتاد تقديمه وهى في غانة من

الحياء المصطنع، والحشمة المزورة، وتبادر الى تقبيل يدها وتراجع الى ورائها واقفة واضعة يداً على يد، او حاملة الصينية تنتظر تلك الحماة المستقبلية ان تفرغ من شرب ما قدم اليها، وتلحها بل تنظرها تلك الزائرة الخاطبة بكل ما في عينها من قوة، وبكل ما في قلبها من حب، وتعطف عليها وقد شغفتها حبا بالنظر لما رأت من ادبها وحشمتها وتعد نفسها انها هي ومن أرسلها سعيديان حيث ظفرت بهذه الدررة الحرة، وبالحقيقة ما شغفها وران على قلبها إلا لتقبيل تلك السكينة المستقبلية يدها، فان هذا التقبيل قد جمع كل أنواع الأدب، والترفية، والحشمة، والوقار، واللفظ، والظرف، وما الى ذلك من الصفات الحسنة، وانطلقت تنهب الأرض نهبا بسرعة مشيها حتى تصل الى من أرسلها ولو قبل ثانية، فتحكي له عن إعجابها بتلك البنت، ولا ينتهي لها كلام ولا ينشف لها ريق من كثرة ما تنظف في وصفها ومدحها حتى اذا قدر الله أن تتم الخطبة ويحصل الزواج فلا تمضي مدة قليلة إلا وقد انكشف الخبايا وظهرت تلك البنت ذات الادب المصطنع بمظهرها الحقيقي، فقامت الحماة تكيل ماعندها لمن أعجبت بها جزافا، وأخذت نار الشقاق تستعر، ومحجة الوفاق تعر، الى أن يكون ما يكون من قتل وضرب، وشتيم وسب، وفراق ونزاع، وشكاوى قد تصل الى المحاكم تنتهي بالطلاق، وتحميل الزوج أعباء النفقة لاسيما إن كانت علقت منه بولد، وهذه نتيجة تلك القبلية التي طبعتها تلك البنت المؤدبة على ظهر يد تلك الخاطبة الغافلة، وقد صور هذه الحالة صديقنا الشاعر البارع، وطنينا جمال الدين افندي الملاح فقال بعنوان الزواج المغشوش في قصيدة له :

ومسلم عزب في أفق صبوته	رام الزواج لشر ليس يدرية
مرأى الخطيين سنته شريعته	وظلت العادة الصماء تلغيه
فألجأته الى إرسال والده	له لتبحث عن حسناء ترضيه
لم تصبها فاتنات خرد عرب	نسين لثم يديها وهي تبغيه
حتى اذا لثمت كفا لها نصف	حمقاء في الوجه منها بعض تشويه
ضامت كشمس الضحى في عينها لهوى	أضلها والهوى في المرء يعميه
فأسرعت لابتها المخدوع واصفة	لها بأكمل وصف بات يغريه

وراح يخطبها من أهلها وبه شوق الحب الى لقاء محبيه
فكان عقد عليها منه كلفه بذل القناطير من مال ينمي
بنى عليها بليل فيه قد عرفا أن النزاع سيشقيها ويشقيه
رأى بها فوق عيب الجسم جربة وخفة أورثتها عجب ذى التيه
وجملة من عيوب ليس يهضمها تضر تدبير بيت رست فيه
وأبصرت فيه أنواع المعايب من خلق وخلق فظلت مثل مشدوه
دار الزمان على الزوجين دورته ولج بينهما بالخلف داعيه
كلاهما ضاق ذرعا من معاشره حتى نعى البين بالتطيق ناعيه
وظل أرمل لاحال تساعد على الزواج ولا مال يواتيه
ماتا ولم يبلغا من وصلة أربا سوى شقاء أذييا فى مقاليه
ماتا ضحية عادات مذمة وجهل أرباب دين فى معانيه
أمسى الزواج الذى ترجى سعادته ضرب المقامر خاتمه مراميه

وهذا كله بسبب تهاون الطرفين فيما يازم العناية والتدقيق فيه ، وسذاجة الوساطة
التي ران على قلبها قبلة فى يدها أنزلتها شفاه تلك الخادعة المخدوعة ، وعدم تحرى أهلها
عن أحوال من سيكون رفيق حياتها الى مماته أو مماتها . نعم نحن لانقول بما يفعله
غير المسلمين من عشرة بعضهم لبعض ومخالطتهم فى أعمالهم وحركاتهم وسكناتهم
بزعم أن كلا يختبر حال من سيكون رفيقه وعشيرته ، إن ذلك منهم حيث لا تلاق عندهم
بل تبقى زوجته ويبقى زوجها حتى يفرق الله بينهما ، أو حتى تأتى منكرا فى دينها
يثبتة عليها زوجها فيحكم رئيس دينهم بالفرقة بينهما ، وإنما نحن معشر المسلمين لنا
دين يأمر بالنصيحة وينهى عن الغش والخدعة ، فمن أراد أن يتزوج ببنت الناس
عليه أن يبحث عن حقيقة أمرها بحثا دقيقا ، وعلى من أراد أن يزوجه بنته أن يبحث
بحثا دقيقا عن حال خاطبها وطالبها من غير أن يغتر أحد الطرفين أو كلاهما بزخرف
القول وكذب الادعاء ، والا وقعنا فى البلاء .

باب

٢٥

فيما يحبه النساء من أزواجهن وما يكرهه

تحب المرأة أن يكون زوجها غنيا فنيا قادرا على القيام بالوظيفة الزوجية من كل جهاتها ، لا عاجزا عنها ، ولا فقيرا ، أو غنيا مقترنا عليها ، وأن لا يكون مانعا عنها كل ما تطلبه سواء أ كان في مقدرة القيام به أم لم يكن ، من غير أن تنظر في نفسها ودرجتها ودرجة زوجها بين الناس ، لأن المرأة والطفل الصغير يحسبان أن الرجل على كل شيء قدير ، ثم تريده أن يكون حسن الرواء والبزة لا تتقحمه العيون ، ولا تتجهمه النفوس ، وهذا الذي تريده من واجب الزوجة وحقوقها كما أنه يريد بها كذلك فقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : تصنعوا للنساءكم فانهن يحبن منكم ما تحبونه منهن . وقال عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما : أحب أن أنزين الزوجي كما أحب أن تنزين لي . وكان الامام محمد المتوفى سنة ١٨٩ يلبس الثياب النفيسة ويقول : إن لي نساء وجواري فأزين نفسي كي لا ينظرن إلى غيري . وقد تريد المرأة أن يكون زوجها عظيما أو وجيها . أو أميرا كبيرا ، أو غير ذلك ، ولكن فتوة السن ووفرة المال هما في مقدمة كل مطلوب لها ، ولو أنها أكبر منه سنا ، وأصغر منه قدرا ، وبقدر ما تكون الجامعة بينهما متعددة تكون الرغبة متأكدة ، والعلاقة متوطدة ، والعكس بالعكس . ومن الضرر البين أن يتزوج مسن شابة ولو كان غنيا فإن تباين السن من أقوى عوامل النزاع بين الزوجين لما في كبر السن من الضعف والعجز عن القيام بالوظيفة الزوجية التي هي الغاية الوحيدة للمرأة من زواجها ، بدليل أنها تترك بيت أبيها وقد يكون أحسن حالا وأكثر مالا ، وتنتقل إلى بيت زوجها وهو دونه فيهما . ولكن عنده ما ليس عند أبيها فإذا لم تجده كما حسبت اختلت حالتها معه ، وانتقضت عليه ، وجرى بينهما مالا خير فيه من غير انقطاع ، فاما أن تبقى معه ويبقى معها على هم وغم وكدر ونقص عيش ، وأن تطلب منه أن يطلقها وقد يكون في تطليقها ضرر عليها وعليه أيضا إذ يحتمل أن تبقى أرملة (عزباء) إلى ما شاء الله لأن المرأة ليست سلعة تعرض في الأسواق

لكل من يراها حتى يرغب بها فيشتريها ؛ بل هي درة محفوظة في صدف بيتها لا يتفطن لها إلا القليل ، وقد تصبر على البقاء معه مع الكره له إما لضرورة منها في نفسها ، وإما لطمع لها فيما عنده إن كان عنده ما تطمع فيه ، أو لعدم تمكنها من مفارقتها لسبب من الأسباب ولكنها تحدث له كل يوم ما يغمه ويكدره لا دني سبب حتى وبلا سبب ، فيدخل البيت مستعيذا من شرها ، ويخرج مستجيها من ضررها ، والسبب الوحيد الذي أوصله الى هذه الحالة السيئة ضعفه وعجزه عن القيام بما يكفي ، أو يسد حاجتها الطبيعية ، فما لذلك الزوج الغبي وذلك الزواج وهو أعلم بنفسه من غيره بما عنده وبما هو موجود فيه قال الشاعر :

أرى شيب الرجال من الغواني بموضع شيبهن من الرجال
أى ان النساء يكرهن الرجل الأشيب كما يكره هو المرأة الشيباء ، بل التي في رأسها بعض الشيب . وقال شاعر آخر :

من كان آدم جملا في سنة هجرته حواء السنين من الدى
أى من كان مجاوزا للأربعين من سنة كما هو عدد حروف آدم بحساب الجمل لا ترغب به من كانت شابة دون العشرين كما هو عدد حروف كلمة حواء بحساب الجمل . وقال أبو الشمقمق الشاعر :

شيئات لا تصبوا النساء اليهما حلى المشيب وحلة الانقراض
ولا عبرة بقول مهيار الديلمي الشاعر المعروف المتوفى سنة ٤٢٨ :
يا للواتى كرهن الشيب وهو الى بياضهن من الألوان منسوب
فان بياض الشيب من بياض القطان الذى تسد به منافذ الشخص بعد أن يموت ويغسل ، والنساء لسن بحاجة اليه وهن في عنفوان شبابهن . وتكره المرأة أن يكون زوجها تقيا صالحا متوقيا للحرام ، مشتغلا بقراءة كتب العلم الديني ، وكم من قيامة تقوم بين امرأة ورجل هو من هذا القبيل لأنه يمنعها بسبب تقواه ودينه وعلمه من أن تعطى لنفسها هواها من نحو حضور مراسح اللهو ، وغشيان محل الخلاعة وقراءة المجلات المخلة بالعفة والأدب ، والمرأة لا تقدم على شهواتها شيئا ، ولا يردعها عنها رادع معنوى من تخويف بالله ، أو تذكير بآياته . وتكره أن يكون زوجها بزي

العلماء وسيا الصالحين من نحو العمامة واللحية والجبة ولو كان عالما حقيقيا ، ولو كانت هي أيضا بنت عالم أو شيخ ، بل تريد زوجها أن يكون بطربوش (ولا مانع عندها أن يكون بيرنيطة أيضا) وأن يكون حليق اللحية (ولا مانع عندها أن يكون أيضا حليق الشاربين) وأن يكون باللباس الافرنجى من نحو السترة والبنطلون ولو كان متقدما فى السن لعلمها بأن الزى العلمى مانع من إجابتها ، لما تتطلبه من حرام بخلاف ذلك الزى المدنى (سيفيل) فان من لازمه أن لا يكون المتزى به متمسكا بدينه إلا ما قل وندر ، بل هو عون على اتباع هوى النفس بقدر ما تساعد عليه قوة المال فلذلك هي تحبه وتكره الزى العلمى ولو كانت من بيت العلم والدين كما قلنا آنفا وهذا ما عرفته مما يكرهه النساء بالتجربة والاختبار . على انه لا يخلو الأمر من وجود امرأة صالحة تصبر على ما لا تحبه من زوجها ، إما لطيب أصلها ، أو لقوة دينها ، أو لوفرة عقلها ومعرفتها بأن ما هي عليه مما هو معلوم خير لها من غيره وهو مجهول . فالنساء أقسام جواهر ، وكوافر ، وعواهر ، وإن لم يختلفن فى الطباع والعادات . قال الشاعر :

قالت بنات العم يا سلى وإن كان فقيرا معدما قالت وإن

فان هذه المرأة تطلب زوجها كيفما كان . قال الفيروز آبادى صاحب القاموس المتوفى سنة ٨١٧ فى مادة الحمد منه : خطب خدش بن حابس الرباب فرده أبوها فأضرب عنها زمانا ثم أقبل حتى انتهى الى حلتهم فقال أبياتا منها :

ألا ليت شعري يارباب متى أرى لنا منك نجحا أو شفاء فاشفى

فلما سمعت الرباب الايات أرسلت اليه أن قد عرفت حاجتك فاغد خاطبا ، ثم قالت لأمها : هل أنكح إلا من أهوى ، وألتحف إلا من أرضى ؟ قالت لا ، قالت فانكحيني خدشا ، قالت مع قلة ماله ؟ قالت اذا جمع المال السيئ الفعال فقبحا للبال ، فأقى خدش وسلم على من بالمجلس وقال : العود أحمد ، والمرأة ترشد ، والورد يحمد ، ثم طلب الرباب فزوجه أبوها ياها . والمثل المشهور هو (الضيف ضيعت اللبن) كاف فى بيان غاية المرأة من الرجل ، وذلك أن امرأة كانت تحت رجل غنى ولكنه مسن فكرهته لكبر سنه وأصرت عليه أن يطلقها إذ لم تجد فيه ما يقوم بسد حاجتها الطبيعية فطلقتها فتر وحت بشاب فقير ، فلما جاء الشتاء واشتد البرد ولم يكن عندهما ما يسد

ومقها قال لها زوجها هذا : لو ذهبت الى زوجك الاول فطلبت لنا منه شيئا من اللبن
تمتقوت به فقد أجهدنا الجوع ؟ فذهبت اليه تستمحيه فقال لها : الصيف ضيعت اللبن .
فانصرفت من عنده قائلة له : هو وفقره خير منك ومن غناك . فانظر كيف تركت
زوجها الغني لانه طاعن في السن ، وتركت ماعنده من الخير والسعة ، ورغبت
بفقير ليس يملك شيئا من أجل أنه شاب قوى الحركة ، كثير البركة . وليست هذه الحكاية
واحدة في بابها ، بل لها من أمثالها كثير . وقال رجل أشمط أى خالط سواد شعره بياض :

سألتها قبله في ثغرها ورأت شيبى وقد كنت ذامال وذا نعم
فأعرضت عن سؤالي وهى قائلة أنى الحياة يكون القطن حشوفى

خضب لحيته وجاءها فقال له : ما هذا العيب والريب ، وسواد وجه الشيب ؟ فقال :

قلت أراك خضبت الشيب قلت لها سترته عنك ياسمعى ويا بصرى
فقهقهت ثم قالت إن ذا عجب تكاثر الغش حتى صار فى الشعر
وعاهات الرجل من أدرة - أى انتفاخ فى الخنصية أو ما هو أشد من ذلك كالفتق -
وبخر الفم ، وغير ذلك من العوارض مستكره عند النساء ، منفرفهن من أزواجهن .
فعلى من كان به شئ من ذلك أن لا يكتمه قبل التزوج حتى يكون أهل الزوجة
على علم به فلا يحصل بعد الزواج خلاف ونزاع بينهما بسببه ، فقد سمع عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه امرأة تنشد :

فمنهن من تسقى بعذب مبرد نقاخ (١) فتلكم عند ذلك قرت

ومنهن من تسقى بأخضر آجن أجاج فلولا خشية الله فرت

فأمر باحضار زوجها فوجده أبخر ، فخيره بين جارية من المغنم ، أو خمسمائة درهم
على طلاقها . فاختار الدراهم وطلقها .

وقالت امرأة من العرب لزوجها وكان أبخر :

يا حب والرحمان إن فادكا أعدمنى فولنى قفاكا

إذا غدوت فاتخذ سواكا من عرفط إن لم تجد اراكا

إني اراك ماضا خراكا

(١) النقاخ بالضم الماء العذب الذي ينقخ الفؤاد ببرده .

فائدة لعلاج البخر

البخر هو تن الفم من فساد فى المعدة ، او إنه خلقة طبيعية وهو اقبح ما فى المرء من العيوب الظاهرة ، ويداوى بالاكثر من استعمال السواك، وبمضغ الآس مع زبيب بلا بذر ، ومضغ الكرفس ، والنعنع ، والتمضمض بالخردل فى كل ثلاثة ايام بعد مثلها على الريق ، اى قبل أكل شىء ما ، ووسط النهار ، وعند النوم ، وبالصبر فى كل ثلاثة ايام نوع من ذلك ، وبامساك الذهب بالقم اه من كتابى (الفوائد الكمالية فى المنافع الدينية والدنيوية) نقلا عن كتاب الفروع فى الفقه الحنبلى فى باب النكاح منه .

(عود على بدء) وأراد قبيح دميم الصورة ان يتزوج جميلة ، فلما رآته قالت : ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا . واراد رجل آخر دميم ان يتزوج جميلة فقالت : بكي الحسب الزاكي بعين غزيرة من الحسب المنقوص أن يجمعا معا وقال أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى المتوفى سنة ٦٠٥ فى كتابه الفباء : وما زال الشيخ المسكين اذا قلت بركته ، وضعفت حركته تدعو عليه امرأته لاسيا إذا كانت فى السن شابة ، وفى السمن دابة . وفى الجزء الثانى من كتاب حياة الحيوان للدميمى المتوفى سنة ٨٠٨ : تزوجت صبية برجل مسن فكرهته وقالت فيه : فقدت الشيوخ وأشباههم وذلك من بعض أقواله ترى زوجة الشيخ مغمومة وتمسى لصحبته قاله

فطلقها وقال : ساق الله إليك زوجا شابا يسكر ويقيء فى حجرى ، فتزوجها شاب اسمه فيض فكان يسكر ويقيء فى حجرها ويسلح أيضا فى فسحة الدار ، فكانت تقول : يا بلى استجيبت فى دعوة زوجى الاول رحمه الله تعالى ، وقالت تهجو زوجها الثانى : سميت فيضا ولا شىء تفيض به إلا بسلحك بين الباب والدار وتلك دعوة شيخى الزوج أعرفها عليه رحمه ربى الخالق البارى ونظر عمران بن حطان السدوسى المتوفى سنة ٨٩ الى امرأته وكانت من أجل النساء وهو من أقبح الرجال فقال : أنا وأنت فى الجنة إن شاء الله تعالى فأنى أعطيت

مثلك فشكرت ، وأعطيت مثلي فصبرت ، والصابر والشاكر في الجنة * وذكرنا
قبلا أن الخنساء الصحابية الجليلة المتوفاة سنة ٣٤ خطبها دريد بن الصمة وكان طاعنا
في السن ، فقال له أبوها إنك الكريم الذي لا يطعن في حسبه ، ولكن لهذه المرأة
في نفسها ما ليس لغيرها ، وإنما أذكرك لها . ثم دخل عليها وقال : يا خنساء أناك فارس
هو وزن وسيد بنى جسم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين ؟ فقالت : يأبى أترانى
تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح ونا كحة شيخ بنى جسم هامة اليوم أو غد ؟
وأبى أن تتزوج به .

وفي الجزء الثالث من الأغاني لأبى العرج الأصهباني المتوفى سنة ٣٥٦ في أخبار
ذى الأصبع العدواني ما حاصله : انه كان له أربع بنات ، وكان يتمتع من تزويجهن
الى أن سمعن ذات يوم يتحدثن وكل منهن تذكر رغبتها بالتزوج وهن لا يعلمن
بسماعه لهن ، فقالت الكبرى :

اللايت زوجي من اناس ذوي غنى حديث شباب طيب الريح والعطر
طيب بأدواء النساء كأنه خليفة جان لا ينام على وتر
تعنى انها تريد ان يكون زوجها شابا غنيا ترفا نظيفا عليا بما تطلبه النساء لا يضع
عصاه عن كتفه ، وقالت الثانية :

الأهل أراها ليلة وضجيعها أشم كنصل السيف غير مبلد
لصوق بأكباد النساء وأصله اذا ما اتتمى من سر أهلي ومحتدى
تعنى انها تريد أن يكون زوجها طويل القامة ، ماضى العزيمة ، مغرما يحب النساء
وهو من بنى عمها . وقالت الثالثة :

ألا ليته يملا الجفان لضيغه له جفنة تشقى به الثيب والجزر
به محبكات الشيب من غير كبرة تشين ولا الفاني ولا الضرع الغمر
تعنى انها تريد أن يكون زوجها كريما مضيافا - مستجمعا لصفات الرجال المسنين
من العقل والوقار والتجارب ، من غير أن يكون كبيرا كبيرا يقعده عن القيام بمسك
يجب عليه لزوجته ، ولا ذليلا ولا جاهلا . وقالت الرابعة وهى الصغرى : زوج من
م - ٢٢ - امرأة

عود ، خير من قعود . تريد مطلق زوج من غير أن يكون مقيدا بوصف . والقعود بفتح
القاف الجمل (١) فلما سمع ابوهن ما قلته زوجهن ، وبعد برهة - أى زمان طويل -
اجتمعن اليه فقال للسكبرى : يابنية مامالكم ؟ قالت الابل . قال كيف تجدونها ؟ قالت
خير مال نأكل لحومها مزعا ، ونشرب ألبانها جرجا ، وتحملنا وضعيفنا معا : فقال
كيف تجدين زوجك ؟ قالت خير زوج يكرم الحليلة ، ويعطى الوسيلة . فقال : مال
عميم ، وزوج كريم . ثم قال للثانية : يابنية مامالكم ؟ قالت البقر ، قال فكيف تجدونها ؟
قالت خير مال ، تألف الفناء ، وتودك السقاء ، وتملأ الأنا ، ونساء مع نساء . قال فكيف
تجدين زوجك ؟ قالت خير زوج يكرم اهله ، وينسى فضله . قال : حظيت ورضيت . ثم
قال للثالثة مامالكم ؟ قالت المعزى ، قال فكيف تجدونها ؟ قالت لا بأس بها ، نولدها
فطما ، ونسلخها ادما . قال فكيف تجدين زوجك ؟ قالت لا بأس به ، ليس بالبخل
الخنتر ولا بالسّمح البذر . قال جدوى مغنية . ثم قال للرابعة : يابنية ما ممالككم ؟ قالت
الضان ، قال وكيف تجدونها ؟ قالت شر مال جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن
وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن . قال فكيف تجدين زوجك ؟ قالت شر زوج
يكرم نفسه ويهين عرسه قال أشبه امرأ بعض بزه .

باب

٢٦

فى حساب الوقف بين الزوجين

من الخرافات السارية بين كثير من الناس أن يعتمد مرید التزوج بفلانة
مثلا الى بعض الجهة الذين يدعون أو يزعمون مشاركتهم لله تعالى بعلم الغيب
فيطلب منه أن ينظر في أمر زواجه بفلانة هل هو موافق أم لا ، فيأخذ ذلك الجاهل
بحساب الجمل بين اسم فلانة وطالباها ، ويسقط المجموع تسعة تسعة فان بقى واحد فهو
فراق ، وإن بقى اثنان فهو أنس وبركة ، وإن بقى ثلاثة فهو بين بين ، وإن بقى أربعة
(١) والذى اراه انها تريد قعودا مصدر قعد يقعد أى زوج من عود احسن من مكشها
ببلا زوج اه مصححه .

فهي نحسة ، وإن بقي خمسة فهي مال وبنون ، وإن بقي ستة فهي نحسة ، وإن بقي سبعة فهي سعد أكبر ، وإن بقي ثمانية . فهي باب رزق ، وإن بقي تسعة فهي لآخر فيها . ويعتمد الطالب على هذا الحساب من غير نظر في شيء من موجبات الطلب من نحو العفة ، والصيانة ، والدين ، والمال ، والجمال ، والحسب ، كأن مجرد موافقة حساب الوفاق كاف في انتقاء الزوجة ، وتنظيم حياة البيت ، وسعادة العائلة . وهذا من السخف بمكان لا يختلف فيه اثنان ، ولا ينتطح عنزان . وقد قلت في كتابي (ثمرات التجارب في كل قول مصيب) موافقة البروج ، مع النساء لا يروج ، من أراد نيل الوطر ، من ذوات الخفر ، فعليه أن يكون قريب الشباب بعيد الطفر (الافلاس) وهو معهن بخير مادام قوى الظهر كثير الخير :

أحلى الرجال من النساء موافعا من كان أشبههم بهن خدودا
إن ذلك فيها والا ، لا يرين له عهدا ولا إلا ، ولا يحلنه منهن محلا . فليأت البيوت من أبوابها ، ليكون من أبوابها ، وإن خالف بين متقابلين ، رجع بخيبة وخفي حنين .

باب

٢٧

في تعرض النساء للزواج

كلما كبرت البنت وترعرعت ، وشبت وأدركت علمت أن بيت أبيها ليس بيتها ، بل هي ضيف فيه مهما كانت عزيزة مكرمة . وأن بيتها الحقيقي هو بيت زوجها المنتظر ، فلذلك هي ترقبه بفروغ صبر ، لاسيما إذا كان لها إخوة حان وقت زواجهم . ومن المتعارف عليه أن لا يتزوج الواحد منهم مادام في بيته أخت أو أخوات وكلما طال عليها أمد الانتظار أخذ اليأس يدب منها ، فاما أن تجدد في وقت من الأوقات زوجها ، وإما أن تبقى آنسة عانسة الى ما شاء الله وما نراه من تزين النساء وخروجهن الى الأسواق والمجتمعات العامة فهو محمول بحسن الظن بهن على انهن يردن من خروجهن على تلك الصورة أن تقع عليهن عين راغب بهن ، فيتزوج بمن تعجبه ، وترضى هي بمن يعجبها ، على أنه لا يخلو الأمر من غير ذلك . وقد ذكر

العلامة محمود شكري الألوسي المتوفى سنة ١٣٤٢ في كتابه بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : أن المرأة منهم اذا عسر عليها الزواج نشرت جانباً من شعرها وكحلت إحدى عينيها ، وحجلت على إحدى رجليها ، وخرجت ليلاً وهي تقول : يالكاح ، أبغى النكاح ، قبل الصباح . فيسهل أمرها وتتزوج عن قريب . قال شاعر في امرأة تفعل ما ذكر مقنطراً لها من الزوج :

تصنعى ما شئت أن تصنعى وكحلى عينك أولاً فدعى
ثم احجلى فى البيت أوفى المجمع مالك فى بعل أرى من مطمع
قال الكمال أحسن الله تعالى إليه : وليس السر فى تسهيل أمر زواجها فعلها
ما ذكر ، بل هو فى خروجها وصياحها طالبة النكاح . والافن يرى كحل أحد عينيها
ونشر جانب من شعرها ، وحجلمها على إحدى رجليها فى الليل . وليس فى بلاد
العرب وبواديها مصاييح تضاء بالليل كما هى فى البلاد المتقدمة فى زماننا ؟ هذا لا ما
قبله ، وإنما صياحها هو الذى يسهل عليها حيث يكون الرجال مجتمعين للسمر
والحجل هو أن يرفع الماشى رجلاً ويمشى مترثلاً على رجله الأخرى كما يحجل البعير
العقير على ثلاث ، والغلام على رجل واحدة .

باب

٢٨

فى التزوج من الغرائب

التزوج بالغرائب سبب فى حصول النجاسة فى الولد ، نظراً لاختلاف الدم .
والعرب يقولون اغتربوا ولا تضوا . أى تزوجوا ببعيدات النسب عنكم كى لا يأتى
الولد مهزولاً قال الشاعر :

تجاوزت بنت العم وهى حبيبة مخافة أن يضوى على سليلها
وفى نكاح البعداء أيضاً بهاء الخلقة ، وتقريب البعيد ، وتألف المخالف ، وهذه
أمور حسنة يتحمل معها التعب من اختلاف العادات بين الزوجين وبحسن الإدارة
يمكن تلافى المجافاة .

قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : ولكن الذى أراه مع التسليم بصحة ما قيل ونقلته آنفا ، أن تزوج الرجل بمن هى من أهله فى بلده أهنأ لعيشته ، وأهدأ لباله وأسلم لحاله ، وأحفظ لشرفه ، وأوفق لعاداته ، فى مأكله ومشربه وملبسه ، وقيامه ومنامه ويقظته ، وفى كل حال من أحواله ، وعمل من أعماله ، وأبعد عن الخلاف فى شئ من ذلك مع زوجته . فقد يريد ولا تريد ، أو تريد ولا يريد ، وما كل خلاف يمكن أن يتلافى أو يتحمل ، فإذا لم يتزوج من أهله الذين هم فى بلده ، فليكن تزوجه بمن تيسر له من أهل بلده ، فإذا كان فى ديار الغربة وأراد التزوج فليتزوج بمن هى من أهل بلده أيضا من اللاتي هن متغربات ، فإذا لم يمكن فمن هى من أهله ولو أنها غريبة . وأما تزوجه بالغريبة عنه قرابة وبلدا فالغالب فيه أن لا يكون مرتاحا معها إلا إذا تبين له أنها محتاجة اليه ، ومقتصرة عليه ، ليس لها من تشمخ عليه بأنفها بسببهم من أهل ، والافالغالب على الغريب المتزوج بمن هو فى بلدها أن يكون مهانا محقرا ، مضغوطا على حريته ، مغلوبا على أمره معها ، وربما كانت شريرة سليطة فتلعن أبا زوجها وأمه ، وأصله وفصيلته ، وتغمره بكل عيب ، وأهون ما نقوله له لو كان فيك خير ما تركت بلادك . وكذلك الغريبة إذا تزوجت بمن هى فى بلده فإنها تكون مهانة مضطهدة عنده وعند أهله ، إلا إذا كان يخاف الله ويتقيه . وأهون ما يقال فيها أن لا أحد يدرى قرعة أبيها ما هى ، ولو كان لها أهل يعتد بهم لما سمحوا بتزويجها ، فهى مغمومة لتزوجها من غير أهل بلدها ، وهو مهموم كذلك . وأما مسألة نبوغ الولد ونجابته ، وسلامة بنيته ، فهى مواهب من الله تعالى لا يشترط فيها الابعاد فى التزوج . على أن مجرد صحة أبويه وسلامتهما وبعدهما عن استعمال ما يضر بعقليهما وجسميهما من مسكرات ومخدرات ومكيفات ومغيبات كاف بنشء الولد ونموه نشأ طيبا ، ونموا حسنا ، لاسيما إذا كان أبواه صالحين متقين ، وهذا مما أراه والسلام على من اتبع الهدى .

باب

٢٩

في الزوج من غير المسلمات

تزوج الرجل المسلم بغير المسلمة كالنصرانية ، أو اليهودية فقط ، جائز شرعاً . ولكن ليس كل ما جاز شرعاً وجب فعله ، كلا بل المقصد بيان الحكم لمن ابتلى بمثل ذلك فقد قدمنا في فصل سابق ما يلزم من العناية في الزوج والتزويج ، وتكلمنا على ما ينبغي فعله في هذا الخصوص ومن مراجعته يفهم أن تزوج المسلم بغير المسلمة مهما كانت جميلة ، أو غنية ، أو ذات وجهة ونفوذ ، جناية عظيمة من الزوج على أولاده الذين يحصلون له منها ، وسببة وعار عليهم ، ووصمة في الأخلاق وثلمة في الدين . وكيف يستحل المسلم مضاجعة امرأة ومعاشرتها وهي تقول له بلسان حالها ، إن نيك الذي تعتزى إليه وتفخر به وتحترمه وتعد الإيمان به واجبا عليك ، وترجو في الدنيا معاوته ، وفي الآخرة شفاعته ، هو كاذب عندي وفي اعتقادي ليس بنبي ، ولا دينه بدين حق والعياذ بالله تعالى . ومن تفكر في هذا ولا ترتعد فرائصه ، ولا يذهل عقله ليس بإنسان . حتى ولا بحيوان ولا حجر ! (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما يعملون) والداهية الدهياء بعد ذلك الزواج ما هو متعارف عليه بين المسلم وغير المسلمة التي يريد أن يتزوج بها أن الأولاد بينهما قسمان ، الذكور يتبعون أباهم في دينه وقبده بسجلات النفوس في حكومته ، والإناث تبع لأمهم أي أنهن يكن غير مسلمات بل تابعات لدين أمهن ، يهودية كانت أو نصرانية وفي أكثر الأحوال تنتهي هذه الصلة بين الرجل المسلم وزوجته غير المسلمة بافتراق أليم ، حيث يفرغ منها حبه ، أو تفرغ منه شهوتها ، فتأخذ بناتها منه وتذهب إلى بلادها التي جاءت منها ، فتنشأ تلك البنات كافرات وأبوهن مسلم ، وكثيراً ما قتلت تلك الزوجة الكافرة زوجها المسلم ، أو تركته بعدما سلبت نعمته . ولكن البلاء الذي لا يدفع ولا يمنع ، هو حصول النسل منها كما ذكرنا على أن الأولاد مطلقاً يتبعون أمهم في أخلاقها وعاداتها وطباعها ، حيث هي المربية لهم ، ومن لازم تربيتها لهم أن يكونوا

في مدارس الأجانب ، فهي تربيتهم وهم أطفال بحسب ما فطرت عليه ، والمدارس تربيتهم حتى يترعرعوا ويوفعوا وجناب الوالد الماسجد ينفق عليهم في ذلك السبيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) نعم أنه ورد في الأحاديث النبوية ثواب من يتزوج بغير مسلمة فيكون وسيلة لاسلامها ، وأى ثواب أعظم من ثواب من سعى في خلاص نفس من عذاب النار الأبدى ، ولكن فاعل ذلك أقل من القليل . ومن الغريب أن من يتزوج بأولئك الكافرات ، أكثرهم من ذوى المظاهر والحيثيات ، ومن الوجاهة بمكانة لو طلب معها من أفضل الأسر وأعرقها في الشرف والمجد لما رد طلبه . ولكن ران على قلبه ، وزين الشيطان له سوء عمله ، فعاد من أوروبا وهو مصطحب امرأة منها الله أعلم بجنسها ونوعها ، ويكثر أن يكون اتصاله بها مدنيا - أي على غير وجه شرعى - فيعيش معها عيشة الزناة ، وتلد له الأولاد سفاحا بغير نكاح ظلمات بعضها فوق بعض ، لاجرم أنه يصدق عليه قوله تعالى (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات)

باب

٣٠

في بناء صرح الزواج على قواعد الحب

هو بناء على شفا جرف هار ، يهوى بمن بناه الى هوة من الخراب والدمار ما هلا من قرار ، وذلك ما يحصل بين شاب وشابة في الغالب من مسارقة نظرات ، ثم ابتسامات وإشارات ، ثم كتابات بمواعيد ملاقة ، كما يقول احمد شوقي بك شاعر مصر المتوفى سنة ١٣٥١ :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فوعد فلقاء

وعند اللقاء ينكشف الغطاء ، ويصارح كل واحد الآخر بما عنده من الحب الصحيح ، والود الصريح ، والوفاء الأكيد ، والثبات العتيد ، الذي تزول عنده الجبال وهو لا يزول ، ويشهد ضميره وذمته ووجدانه على صحة ما يقول ، لأن من رجل الشهوة يغلى ويفور ، وثورة الغلبة تهيج وتثور ، وكل من الطرفين - بل العاشقين الغريين - ينظر

للقابل به بأعين لا بعين ، حتى اذا أخذت المحبة بينهما تزيد وتناكد ، والقوى عندها تخور من كثرة ما تقاوم وتتجدد ، طلبها من أبيها ، أو أهلها وذويها ، وهنا المعركة فاما الفوز باجابة الطلب أو الخيبة والخسران ، فان كانت الثانية أخذ يعمل وتعمل هي أيضاً بكل ما عندهما من حيلة ودهاء ، فان كان الوصول للحصول فقد خرجت من أهلها بكل معنى الخروج ، واكتفت بذلك الزوج المحب الخاص ، وكل الصيد في جوف المرا ، حتى اذا حصل الاتصال ، وانفصل الانفصال ، وبلغت الشهوة مقرها المعلوم وأخذت تتصرف تصرف الموهوم بالمعلوم ، فبدأت بعد الثوران ، وسكنت بعد الهيجان تحول نظر العيون من الخيال الى الحقيقة ، فأخذ ينظر كل منهما عشيقه بغير العين التي كان ينظر بها بالأمس ، فاذا هو ليس من شكلها واذا هي ليست من شكله ، فاخذت تدب بينهما عقارب النزاع والخلاف ، والتلون والاستخفاف ، وأخذ كل واحد يساق الآخر بلسان من حديد ، بعد أن عاهدته أن تكون له جارية وعاهداً أن يكون لها من جملة العبيد . لأن الحب اذا نكح فسد ، وصار حبله الذهبي حبلان مسد . وهذه عاقبة كل زواج يبني صرحه على قواعد الحب ، من غير أن ينظر فيه عن بعد وقرب . ووقائع هذه المناكحات والزيجات كثيرة ، وعندى عن كثير منها علم بالسمع والعيان أكد لي أن الزواج الحاصل عن حب وعشق فاسد سريع التغير ، لا يلبث أن يتبدل وينغص عيش من أقدم عليه ، ويندمو ولكن بعد خراب البصرة . ولست أعني بدم الزواج الحاصل عن حب مفهوماً ، وهو الزواج الذي يحصل عن بغض وكرهية ؟ كلا وإنما أريد الزواج الخالص من كل شهوة بهيمية ، وذلك بأن يتطلب مريد الزواج بنت حلال بحسب شروطه التي يشترطها ، ويتوسط بذلك أهله أو من يعتمد عليه . فهذا هو الزواج الذي هو أقرب الى السلامة ، بلا ندامة ولا ملالة . لا الزواج الحاصل بسبب الحب والعشق ، وقد ذكرنا كيفيته بالرغم عما يتجمع به الشبان عشاق الا وهام ويدافعون عنه ويؤيدونه بعقد المحاضرات ، ويجعلون له طرفين طرفا يؤيده وطرفا يفنده وهم شبان عذاب أغرار ، لا معرفة لهم بالزواج ، ولا بما تقتضيه الحياة البيئية ، ولا في مقدرة واحد منهم أن يتولى أموره الذاتية بنفسه ، بما هو بديهي وعادى كقلى بيضة وخياطة زرا انقطع . فما أكثر الدعوى من هو خال من كل علم ، ومتملى بكل وهم

غير عارفين بالقول الذي لا يفند ولا ينتقد (إذا نكح الحب فسد) وفي الأقوال
الافرنجية ؛ الزواج القائم على أساس الحب شؤم على الزوجين ، ومنها : محبة النساء .
كورد الرياض حسن المنظر ، سريع الذبول . ومنها : مهما أحببتك المرأة فهي رقيقة
عليك . ومنها : وما يدل على حماقة النساء قول بعضهن لمن يدعى حبه لها ؛ احلف لي
أنك تحبني دائماً وأحق منها التي تصدقه . ومنها : محبة المتحابين قبل الزواج عرض زائل
ليس تحته من طائل .

باب

٣١

في تزويج المرأة نفسها من غيرها

لا صلاحية لأية امرأة أن تتولى عقدا من العقود بنفسها ، من دون إشراف ولي
علي أعمالها ، نظراً لما انصفت به من نقص العقل والدين . فانها بسبب ذلك لا تعرف
عاقبة ما تريد أن تعمله أخير هو أم شر ؟ ومن ذلك الزواج ؛ فليس للمرأة أن تزوج
نفسها بغير إذن وليها ولو من كفو ، لقول رسول الله ﷺ « أيما امرأة نكحت بغير
إذن وليها فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل » - رواه الطبراني عن
عبد الله بن عمرو بن العاص - فان حصل شيء من ذلك ودخل الرجل بها فعليه لها
المهر بما استحل من الاستمتاع بها ، وعلى من له بنت أو أخت أو غيرها ممن له
ولاية عليها أن يستأمرها في الزواج ، أي أن يعرض عليها قائلاً يا فلانة إن فلانا جاء
يطلبك ويذكرها ما يعلم عنه ، ولها أن تراه ، فان كانت بكرأ فاذهبا سكوتها ، وإن كانت
ثيباً فلا بد من موافقتها بالقول إذا أرادته ، وعليهما أن يصرحا بالرد بالقول إذا لم يرغب
به ، فان المرأة إذ استحيت من القول بالرضا ولو بالسكوت ، لا تستحي من الرد
والامتناع بالقول ومن الأمثال التركية : لو تركت المرأة وشأنها لتزوجت طبالاً أو زماراً

باب

٣٢

في خصائص النساء

من الأقوال الحكيمة الماثورة قول : إن لله خواص في الأزمنة والأمكنة والأشخاص . وللنساء نصيب وافر منها بحسب جنسهن ونوعهن ، سواء أكانت تلك الخاصة مدوحة أو مذمومة . قال الأعصمى المتوفى سنة ٢١٣ : بنات العم أصبر على عشرة أزواجهن ، والغرائب أنجب ، وما ضرب رؤس الأبطال كابن الأعجمية . وقال ابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ في كتابه العقد الفريد : أنجب النساء الفروك - وهي المرأة المبغضة لزوجها - وذلك بسبب أن الرجل يغلبها على الشبق لزهدها في زوجها فتمسكنه من نفسها إلا بالغبسة والقوة . وقالت العرب : إن الرجل إذا أكره المرأة على وطئها وهي مذعورة فولدت ذكرا كان نجيبا وداهية لا يطاق . وقال بعضهم : إذا أردت أن تنجب المرأة فاغضبها ثم قمع عليها . قال الشاعر :

تسمنمتها غضبي فجاء مسهدا وأنفع أولاد الرجال المسهد

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : تزوجها سمرا ، ذلفا ، عينا . فان أبغضتها فعلى صداقها (الذلفاء الصغيرة الائف مع استواء الأربة والعينا الواسعة العين) وقال الحجاج بن يوسف الثقفي المتوفى سنة ٩٥ من تزوج قصيرة فلم يجد لها على ما يريد فعلى صداقها اه وقال محمد بن أبي طالب الأنصاري المتوفى سنة ٧٢٧ في كتابه السياسة في علم الفراسة : النساء الشاميات أوسط النساء وأعدلهن ، وأودهن ، وأطوعهن لأزواجهن . والبغداديات أجلب لشهوة الرجال وأحسن عشرة واستمتعا . والحجازيات والفارسيات أحسن أحوالا ، وأنجب أولادا ، وأحلى منطلقا ، وأطيب خلقا ، وأحفظ من غيرهن لعرضهن ، وأشكرهن لأزواجهن . والتركيات أطيب استمتعا إلى خمس وعشرين سنة ، حسان الوجوه نجباء البنين . والروميات أطهر أرحاما ، حسان الوجوه ، جيدات الخدمة . والأرمينات أحسن تربية وإرضاعا . والحبشيات والزنجيات أطيب نكحة ، وأنعم

أبدانا ، وأرق نفوسا ، وأشد طاعة . وقال غيره علاوة على قوله وذيل له : والمصريات أكثر جاذبية للرجال وأشد رغبة بهم وأخف روحا ، وأمرح نفوسا ، وأطيب عشرة ، وأعطف على الأعداء لكنهن مسلمات على رجالهن لا يرضين منهم بقليل ولا يقنعن بكثير . ونسا. الافرنج لاخير فيهن ، ولا يوثق بهن ، ولا دوام لعدهن ولا يتزوجن برجل إلا لطمع لهن به ، وهن أسرع تفلتنا وانقلابا ، وكثيرا ما يعتدين على أزواجهن بالقتل .

باب

٣٣

في الثيبات والأبكار

من الناس من يرى تقديم البكر على الثيب ، ومنهم من يرى تقديم الثيب على البكر لاعتبارات يجدها كل منهما فيمن يرى تقديمها ، وقد ذكر الله تعالى الأبكار في معرض الامتنان على عباده الصالحين فقال (حور مقصورات في الخيام كأنهن اللؤلؤ والمرجان، لم يطمشهن إنس قبلهم ولا جان) وقدم الثيبات على الأبكار في آية (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات - أي صائمات - ثيبات وأبكارا) وقد تزوج رسول الله ﷺ إحدى عشرة امرأة ليس فيهن بكر غير عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي تعالى عنه وعنهما ، ومع هذا فقد وردت أحاديث في الحث على تزوج الأبكار منها حديث «عليكم بالأبكار فانهن أعذب أفواها ، وأنتق أرحاما ، وأقل خبا (مكرا) وأرضى باليسير من العمل» - رواه الطبراني وغيره عن جابر - يعني بقوله أعذب أفواها، عفة لسانهن وصيانتهم من البداءة فان البكر خفرة حمية لم تلتق بشخص غير محارمها فهي عفيفة القول والفعل ، وقوله أنتق أرحاما أي أكثر أولادا ، وقوله وأرضى باليسير من العمل أي انها تقنع بما قل من اقتراب زوجها منها حيث لم تعتد عليه من قبل فتطلب الزيادة منه ، ولحيائها من أن تطلبه . وقال معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه : عليكم بالأبكار ، فانهن أكثر حبا ، وأقل خبا . - الحب معلوم

والخب بفتح الخاء المعجمة وكسرهما الخداع والخبث والغش - والعرب يقولون : إن
 المنسكح خيرها الا بكار . ويرغبون بالحدائث والبيكار لانها أخص بالولادة
 وهي عند العجم كذلك قال الشيخ مصلح الدين سعدى الشيرازى المتوفى سنة ٦٩١
 باكيره بخير أكرجه كوراست
 شوديده مخواه أكرجه حوراست
 وتفسيره بالعربية : تزوج البكر ولو انها عمياء ، وإياك والثيب ولو انها حوراء .
 وبلغ النبي ﷺ أن رجلا من أصحابه تزوج ثيبا فقال له « هلا بكرا - أى
 لماذا لم تتزوج بكرا - تلاعبها وتلاعبك » فاعتذر اليه ﷺ عن تزوجه بالثيب
 بأن له بنات صغارا يحتجن لمن تقوم عليهن ، وتصلح من شأنهن ، فعذره . ومن هذا
 يفهم ترجيح الزوج بالثيب لإدارة أمور البيت والقيام على ما فيه من الاطفال مقام
 أمهم ، فان الغالب فيمن يتزوج الثيب إنما يتزوجها وهو أرمل ذو اطفال صغار
 ماتت أمهم ، فهو أحوج الى امرأة سبق لها إدارة البيت ورؤية أموره ، وهذا في
 الثيب أكثر منه في البكر ولأن الغالب في الثيب أن تكون متقدمة في سنها ، والبكر
 صغيرة بعد ، والا أكبر سنا ، أكثر علما ، وأوسع خبرة . وقد يصعب على الأرمل
 أن يتزوج ببكر حيث لا يوافق أهله على تزويجهم لها منه بحجة أنها صغيرة بعد تريد
 أن تتمتع بزوجها ويتمتع بها ، لا أن تكون رابة لأولاد ، وقيمة على بيت .
 والحصول على الثيب أسهل تناولا ، وأقل كلفة ، وربما كانت تعبئة من زوجها
 الأول فترتاح مع الثانى وتتجنب معه أسباب كل اختلاف ، ففى الثيب منافع
 وفى البكر فوائد . منها أنها أكمل فى المودة ، وأحب للزوج ، لأنه أول واحد عرفته
 ولا تطمع نفسها بأن تعرف غيره بعده ، بخلاف الثيب فانها قد تطمع فى زوج
 ثالث ورابع وهلم جرا ، خصوصا إذا كانت من أهل بلاد يكثر فيها الطلاق والاتجار
 بالازواج ، فانها ماتكد تستقر مع زوج حتى تحدث بينه وبينها خلافا ونزاعا وشقاقا
 وبقدر ما عندها من الوقاحة وما عند زوجها من السكون والدعة تكون الغلبة لها
 فتفارقه وما أسرع ما تتزوج بغيره . وقد ورد فى الحديث الشريف مدح الأرملة - وهى
 التى مات عنها زوجها - اذا صبرت واحتسبت مصابها بزوجها عند الله تعالى ، قال

رسول الله ﷺ «الأرملة الصالحة سميت في السماوات شهيدة» وقد أبدع الحريري المتوفى سنة ٥١٦ رحمه الله تعالى في مدح كل من البكر والثيب وذمهما حيث قال في المقامة البكرية في مدح البكر: أما البكر فالدرة الخزونة، والبيضة المكنونة والباكورة الجنية، والسلافة الهنية، والروضة الانف، والطوق الذي ثمن وشرف لم يدنسها لامس، ولا استغشاها لابس، ولا مارسها عابث، ولا وكسها طامث. لها الوجه الحي، والطرف الخفي، واللسان العي، والقلب النقي. ثم هي الدمية الملاعبة، واللعبة المداعبة، والغزاة المغازلة، والملحة الكاملة، والوشاح الطاهر القشيب والضجيع الذي يشب ولا يشيب * وقال في ذمها: - هي المهرة الأيية العنان والمطية البطيئة الاذعان، والزندة المتعسرة الاقتداح، والقلعة المستعصبة الافتتاح ثم إن مؤنتها كثيرة، ومعوته يسيرة، وعشرتها صلفة، ودالتها مكلفة، ويدها خرقاء وفتنتها صماء، وعريكتها خشناء، وليلتها ليلاء، وفي رياضتها عناء، وعلى خبرتها غشاء وطالما أخزت المنازل، وفركت المغازل، وأحنقت الهازل، وأضرعت الفتيق البازل. ثم انها تقول أنا ألبس وأجلس، فأطلب من يطلق ويحبس * ومدح الثيب فقال: وأما الثيب فالمطية المذلة، واللهنة المعجلة، والبغية المسهلة، والطبنة المعللة، والقرينة المتحبة، والخليلة المتقربة، والصناع المدبرة، والفطنة المختبرة، ثم إنها عجالة الراكب، وأنشودة الخاطب، وقعدة العاجز، ونهزة المبارز، وعريكتها لينة وعقلتها هينة، ودخلاتها مينة، وخدمتها مزية * وذمها فقال: أترغب في فضلة الماكل وثمالة المناهل، واللباس المستبذل، والوعاء المستعمل، والذوافة المتطرفة، والخراجة المتصرفة، والوقاح المتسلطة، والمحكرة المتسخرطة، كتبها كنت فصرت، وطالما بغى على فنصرت، وشتان بين اليوم وأمس، وأين القمر من الشمس اه وفي كتاب أساس الاقتباس لاختيار الدين الحسيني المتوفى سنة ٩٢٨: أن على بن الجهم الشاعر المتوفى سنة ٢٤٩ تزوج صبية على امرأته فعاتبته فقال:

قلت عشقت صبية فأجبتها أشهي المطى الى مالم يركب

كم بين حبة أولؤ مثقوبة لبست وحة أولؤ لم تثقب

فاجابة امرأته على الفور وكانت ثيبا لما تزوج بها:

إن المطية لا يطيب ركوبها مالم تذلل بالزمام وتركب
والدور ليس بنافع أصحابه مالم ينظم في العقود ويثقب
وعزا صاحب العقد الفريد ابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ هذه الحكاية الى غير
على بن الجهم فقال : كانت فضل المتوكلية (جارية المتوكل) الشاعرة ثيبا ، فأراد ابو
دلف العجلي أن ينكت عليها فأنشد ذنبك البيتين ، وأجابته هي بما ذكر . وفي العقد
الفريد أيضا : قال رجل اردت النكاح فاستشرت من أئمنه فقال : البكر لك
والثيب عليك ، وذات الولد لاتقربها ، وتزوج امرأة تنظر في يدك لاتنظر في يدها
- أى تزوجها فقيرة تري أنها محتاجة اليك لا غنية تراك محتاجا اليها - وحذر بعض
الشعراء من التزوج من الاثنتين البكر والثيب فقال :

توق النساء على عفة ليجزيك الواحد القيم
فأبكارهن ابتكار البلاء وأيمهن هى الايم
البكرهى العذراء التى لم تتزوج ، والبقرة الفتية . قال الله تعالى (لا افارض ولا بكر)
والسحابة الغزيرة ، واول مولود لأبويه ، ويقال صبي بكر ، وبنت بكر بلفظ واحد فيهما
والجمع أبكار ، واول كل شئ . والضربة البكر القاطعة القاتلة ، والايم بفتح الهمزة
وتشديد الياء المكسورة كالقيم المرأة التى فقدت زوجها ، والرجل الذى فقد زوجته أيضا
والجمع أيام وأيام للنساء والرجال ، وأيمون للرجال ، وأيمات للنساء خاصة ، والايم
آخر البيت هى الحية ، والعزب كسبب الرجل الذى ليس له زوجة أى لم يتزوج بعد
وهو أيضا المرأة كذلك ، ويقال فيها عزبة ايضا ، وأهل مصر يقولون العازبة لمن كان
لها زوج وطلقها ، وبالحقيقة هى أرملة أى كان لها زوج وفقدته بطلاق أو موت
أو غيبة منقطعة ، والرجل أرمل كذلك ، والجمع أرامل . قال الشيخ امين الجندى
المتوفى سنة ١٢٥٧ :

وفي العيد عادات الكرام لقد جرت ببر اليستامى وافترقاد الأرامل

باب

٣٤

في وصايا العرب لمن يزوجون

مابلغنى ولا علمت عن اهل بيت اذا زوجوا بنتاهم اوصوها بما يلزم لها في عشرة
زوجها ورفاقته ، وما يجب ان تقابله به لينتظم الشمل بينهما ، ولا سمعت عن اب او ام
او صت ولدها بما يلزم اتخاذ من المعاملة الحسنة لزوجها ، لاسيما في ليلة زفافها له وبنائه
بها ، كلا بل انها كهم في العرس وما يكون فيه شغلهم عن كل ما سواه ، حتى لا
يخطر لهم شيء من مقتضيات حسن المعاشرة يوصى به كل من الزوجين كآن الزواج
تجرد قضاء الشهوة لا لتأليف الشمل ، وتكثير الأهل ، وحسن المعاشرة ، وسعادة
العائلة . ولكن العرب في صدر الاسلام وقبله فهموا وعرفوا الغاية من الزواج اكثر
مما عرفناه نحن معاصر المسلمين المتأخرين في كل شيء فقد كانوا يوصون من يريدون
تزويجها فيقولون : احسنى خلقك ، واكرمى زوجك ، وتجبى الى احمائك فان لهم
عيننا ناطرة إليك ، واذنا سامعة عليك وليكن طيبك الماء - يعنون المبالغة في النظافة -
ولما زوج عوف بن محم الشيباني ابنته ام إياس من عمرو بن حجر جد امرىء القيس
الشاعر المشهور المتوفى قبل الاسلام بنحو مئة وعشرين سنة خلت بها امها ليلة بنائه
بها فقالت لها اي بنية إنك قد فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذى فيه درجت
الى رجل لم تعرفه ، وقرين لم تألفه ، فكونى له امة يكن لك عبدا ، واحفظى له عشر
خصال يكن لك ذخرا ، الخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع والطاعة ، والتفقد
لموضع عينه وانفه ، فلا تقع عينه منك على قيح ، ولا يشم منك إلا اطيب ريح ، والتفقد
لوقت منامه وطعامه ، فان تواتر الجوع ملهبة ، وتغيص التوم مغضبة ، والاحتباس
على ماله ، والارعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر فى المال حسن التقدير ، وفى
العيال حسن التدبير ، ولا تعصين له امرا ، ولا تفشين له سرا ، فانك إن خالفت امره
او غرت صدره ، وإن افشيت سره لم تأمنى مكره ، ثم إياك والفرح بين يديه اذا
كان مغتما والكآبة بين يديه اذا كان فرحاه قال الكمال أحسن الله تعالى اليه لله ما أحسنها
من وصية جامعة لكل أسباب الهناء والرخاء ، والسعادة بين الزوجين لو عملابها ما حصل

خلاف بينهما على وجه الأرض أصلاً. وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا زفوا امرأة على زوجها يأمرونها بخدمة الزوج ومراعاة حقه. وأوصى سيدنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ابنته فقال: إياك والغيرة فانه مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب فانه يورث البغضاء، وعليك بالسكحل فانه أزين الزينة وأطيب الطيب الماء. وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه لامرأته: إذارأيتيني غضبت فرضيني، وإذا رأيتك غضبت رضيتك وإلا لم نصطحب. وقال رجل لزوجته: خذى العفو منى تستديمي مودتى ولا تنطقي فى سورتي حين أغضب ولا تنقرينى فترك الدف مرة فانك لا تدرين كيف المغيب ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالقوى ويأبأك قلبى والقلوب تقالب فانى رأيت الحب فى القلب والأذى اذا اجتمع. عالم يلبث الحب يذهب فهل فى نساءنا الراقيات، ورجالنا المتمدنين، بل المسلمين الذين هم متمسكون بالدين من ينحو نحو من ذكر، فى الوصايا بهذه؟!

باب

٣٥

فى التهنة بالزواج

يهنىء الأديباء من يعرفونه بمن يتزوج فيقولون له: جمع الله شملك، وأدام طولك وأقر عينك، وحسن حالك. ويقولون: على الرفاء والبنين والبنات، والتيسير والبركة وسعد السعود، وأمن الجدود وجعلها الله ودوداً ولوداً وجمع شملكما على الخير والبركة ولا زال هذا الزواج موصولاً بنماء العدد. وزكاه الولد، واتصال الحبل، وتكثير النسل، وهنأ أيوب بن القرية البليغ المتوفى سنة ٨٤ بعض اصحابه بزواجه فقال له باليمن والبركة، وشدة الحركة والظفر بالمعركة. وهنأ بعضهم معرساً فقال: بالرفاء والثبات والبنين والبنات. أى بالثام الشملى، وكثرة النسل، ودوام الوصل، واحسن من هذا كله اتباع ماورد فى السنة السنية فى الحديث الشريف «إذا تزوج أحدكم فليقل له بارك الله لك وبارك عليك» - رواه الطبرانى عن عقيل بن أبى طالب - وفى

حديث آخر « اذا تزوج أحدكم أو اشترى جارية أو فرسا فليضع يده على ناصيتها وليدع بالبركة » وأخرج ابو داود والترمذي وابن ماجه عن ابي هريره رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا رفاً إنسان (أى تزوج) قال «بارك الله لك وبارك عليك ، وجمع بينكما فى خير » وأخرج الطبرانى عن هبار أن النبي صلى الله عليه وسلم شهد نكاح رجل فقال «على الخير والبركة، والالفة والمحبة والطائرا الميهوت ، والسعة فى الرزق بارك الله لكم » وأخرج ابن ماجه وابو يعلى عن عقيل بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه تزوج فقيل له : بالرفاء والبنين . فقال : لا تقولوا هكذا ، ولكن قولوا كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : على الخير والبركة بارك الله لك وبارك عليك . والعرب تهنى الزوجة فيقولون لها : أيسرت وأذكرت وجعل الله منك عددا ، وعزا وخلدا .

وليمة العرس

يسن إعلان النكاح والضرب فيه بالدف وذلك لدفع الشبهة، ولترغيب بالتزوج وتسن الوليمة وهى الاطعام فى العرس كل بحسب طاقته . وهى سنة عند الامام الأعظم أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه ، وعند الامام مالك ، والامام احمد بن حنبل ، وعند الامام الشافعى فى احد قوليه ، وواجبة فى القول الثانى . قال الشاعر :
طعام العرس مندوب اليه وبعض الناس صرح بالوجوب ولا يكره النشار فى العرس ولا التقاطه عند أبى حنيفة واحمد ، وقال مالك والشافعى يكره .

أنواع المطاعم وأسمائها

وبمناسبة ذكر الوليمة وهى طعام العرس نذكر انواع المطاعم عند العرب واسماؤها فنقول : القرى بكسر القاف وفتح الراء ما يقدم للضيف من الطعام والمأدبة طعام الدعوة والتحفة طعام الزائر والشذخية طعام الاملاك بكسر الهمزة وهو عقد النكاح والوليمة طعام العرس والخرس طعام الولادة والعقيقة طعام

يعمل في اليوم السابع من ولادة الطفل والعذيرة طعام الختان وهي مستحبة عند أبي حنيفة ومالك والشافعي والوضيمة طعام المأتم والنقيعة طعام القادم من سفر والوكيرة طعام البناء والعسلفة واللينة طعام المتعلل قبل الغداء والعجالة طعام المستعجل قبل إدراك الغداء والقفي والزلة طعام الكرامة اهـ

العرس والعروس والعريس

تطلق العامة وصف العروس على المتزوجة في الأسبوع الأول من زواجها ووصف العريس على المتزوج كذلك ، ولكن الصحيح ان العرس بكسر العين وسكون الراء امرأة الرجل ورجلها ، يقال هو عرسها . وهي عرسه - اى امراته - وهما العرسان والعرس الرجل والمرأة ماداما في أعراسهما ، وهم عرس بضم العين الراء وهن عرائس ولا يستعمل العروس للمرأة خاصة . والعريس الرجل مولدة أى ليست بعربية صحيحة ، ولا يقال للمرأة عروسة إلا في لغة قليلة ، والعروس بضم العين ، وسكون الراء حفلة الزواج وما يكون فيها مما هو متعارف عليه في البلاد كل بحسبه ، وفي الأمثال العربية كاد العروس يكون أميرا ، لا عطر بعد عروس .

أسماء الزوجة

يقال هي حليته وقربته ، ورفيقته ، وضيعته ، وقعيدته ، وقعيدة بيته ، وحنته وربضه ، وعرسه ، ولباسه ، وإزاره ، وبيته ، وفراشه ، وطلته بفتح الطاء ، وزوجه وزوجته في لغة قليلة ، وقد اتبعته في كتابي هذا في كل ما تذكر فيه الزوجة رعاية للعرف الشائع في كل البلاد ، مع على بأنها في لغة قليلة وهي كذلك مستعملة في اصطلاح علم الفرائض .

باب

٣٦

فصل في أن الرجل سيد زوجته وليست هي سته

الزوج سيد زوجته بنص القرآن الكريم قال الله تعالى حكاية عن امرأة عزيز مصر (وألفيا سيدها لدى الباب) أي زوجها ، وله عليها العلو والسيادة ، وهي لها التحية منه . قال الله تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) ويجوز للرجل أن يحترم زوجته قولاً وعملاً ، بل هو أدعى للآلفة بينهما ، فله أن يقول لها في النداء : يا ست لائها سيده من البيت ، وفي الاخبار بأن يقول : جاءت الست ، والست غائبة ، وأما نداؤها أو الاخبار عنها بالاضافة الى ياء المتكلم فهو من صنيع المصريين خاصة ، اخذوه بالتوارث المتصل الى زمن الفراعنة . قال الشيخ احمد بن سلامة القليوبي المتوفى سنة ١٠٦٩ في كتابه المسمى نوادر القليوبي ما حاصله : ولما أغرق الله فرعون وجنوده في اليم بقيت النساء بلا أزواج فعمدن الى التزوج بخدمهن ، فكان الخادم مع كونه زوجاً لا يخرج عن مقام الخدمة بل كان خادماً يؤدي الواجب عليه ، ويعبر عن زوجته بلفظ ستى ، واستمر هذا الخطاب جارياً الى زماننا هذا ولا تجد كبيراً ولا صغيراً يتحاشى أو يترفع عن أن يقول عن زوجته ستى نداءً واخباراً ، وهو تواضع منه في غير محله ، وتغيير لو وضع الله تعالى كما ذكرته أنفأ من الآيتين (١) ولكن بالنظر لتسلط النساء على الرجال وهو في مصر أكثر منه في غيرها لم يجد الرجال تملصاً ولا تخلفاً من قول ستى مهما كان الرجل عظيماً ، وهو مالا يتوافق مع مقام الرجولة ولكن :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه فان شاء اعلاها وإن شاء سفلا

(١) لم أدر من أين جاء حضرة المؤلف بذلك ونحن في مصر نشاهد رجالها ونساءها ولم نسمع أن أحد الأزواج يقول لزوجته ياستى بل الغالب نداؤها باسمها المجرد إلا أن يحكى عنها فيقول : الست بتاعتى . وللخادم ارسل هذا للست واما اعتماده على ما ذكره القليوبي فقد يكون في غير محله اه مصححه

باب

٣٨

في يمن المرأة وشؤمها

جمع الله في المرأة الخير والشر، والنفع والضر، والحلو والمر، والعسر واليسر بحسب ما شتمت عليه طبيعتها، وقامت به تربيتها، قال رسول الله ﷺ «خجور المرأة الفاجرة كفجور الف فاجر، وبر المرأة الصالحة كعمل سبعين صديقا» - رواه ابو الشيخ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها بقوله «يمن المرأة أن يتيسر في خطبتها وأن يتيسر صداقها، وأن يتيسر رحمها» وقال في حديث آخر «من يمن المرأة تكبيرها بالأنث» - رواه ابن عساكر عن واثلة بن الأسقع - وذكر شؤم المرأة ولم يبين نوعه لاحتمال أن يكون في أشياء كثيرة، فقال: «إن كان الشؤم في شيء ففي المرأة والدار والفرس» - رواه الامام احمد ومالك والبخاري ومسلم والنسائي عن سهل بن سعد وابن عمر وجابر - وهذا الحديث ظاهر الصدق في مدلوله، فكم من امرأة مطلقا سواء أكانت غنية أو فقيرة رفيعة أو وضعية، كانت يمنا على زوجها فحسن حاله بعد سوءه وظهر شأنه بعد خموله، وغنى بعد ما كان فقيرا. وكم من امرأة كانت شؤما على زوجها ففسد حاله وخمل، وافقر واصبح عبدة لمن اعتبر. وقد صدق هذا الحديث ايضا قول العوام: اعتبار ابواب ونواص واقدام وكذلك قل في الدار والفرس ولا ادري بماذا يعلل به هذا الشؤم منهما، والبيت من مقولة الجماد، والفرس من مقولة الحيوان؟ ولئن قلت إن الفرس قد يجمع برا كبه فيرديه، او يصيب احدا بسوء يعود شره على راكبه فما هو سبب الشؤم في الدار؟ ذلك مالم أجده له تعليلا وهو أمر واقع.

باب

٣٨

في طاعة الزوج وعصيانه وشكره وكفرانه

هذا بحث هام يجب على النساء أن يقرأنه أو يقرأ لهن بدقه واعتناء ، لما يترتب عليه من الخير لهن ، والشر عليهن . وذلك بسبب أن ليس لأحد حق على أحد كما للرجل على زوجته ، فانه ولى أمرها ، وصاحب عصمتها ، والقائم عليها بما يلزم لها ، والساد الحاجاتها ، والمتكفل بكل ما هي محتاجة إليه ، فلا مرجع لها سواه ولا اعتماد لها بعد الله تعالى إلا عليه ، وبمجرد مات زوجته فقد انقطعت الرابطة بينها وبين أبويها وإخوتها ، واتصلت بذلك الزوج الجديد الذي عرفته بحكم الشرع وسنة النكاح ، فأصبحت تنسب إليه ، فيقال زوجة فلان ، وشاركتة في نسبه وتحتل عن نسبها لأبويها ، فقيل فلانة الفلانية ، نسبة الى زوجها لانسبة الى أسرة أبيها أو أمها ، وليس معنى ذلك التخلي والتبرى من نسبها لأبيها كلا وإنما معناه قوة رابطتها بزوجها ، سواء أكان رفيعاً أو وضعياً ، وفي مقابلة ذلك كله لم يكلفها الله تعالى إلا اتباع أمره ، واجتناب نهيه ، في كل ما يجوز به الشرع ويمنعه . ولهذا الوعد بالثواب العظيم للمرأة المطيعة لزوجها ، والوعيد بالعقاب الأليم للمرأة التي تعصيه ، قال رسول الله ﷺ « يا معشر النساء اتقن من نكاحكم أزواجهن ، فان المرأة لو تعلم ما حق زوجها لم تزل قائمة ما حضر غداؤه وعشاؤه » - رواه أبو نعيم عن علي - وقال في حديث آخر « لو كنت أمر أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » - رواه النسائي عن أبي هريرة - وقال في حديث آخر « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » - رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم عن أم سلمة - وقال في حديث آخر « المرأة لا تؤدى حق الله حتى تؤدى حق زوجها كله » - رواه الطبراني عن زيد ابن أرقم - وقال في حديث آخر « انه ليس من امرأة اطاعت ربها ، وأدت حق زوجها وتذكر حسنه ولا تخونه في نفسها وماله ، إلا كان بينها وبين الشهداء درجة واحدة في الجنة ، فاذا كان زوجها مؤمنا حسن الخلق فهمى زوجته في الجنة ، والا زوجها الله من الشهداء » وقال في حديث آخر « اذاصلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت

فرجها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها ادخلي من أى أبواب الجنة شئت » - رواه ابن حبان عن أبي هريرة - وقال فى حديث آخر « إلا إن النار خلقت للسفهاء وهن النساء ، إلا التى أطاعت بعلمها » وقال فى حديث آخر « إذا قالت المرأة لزوجها ما رأيت منك خيرا قط فقد حبط عملها » - رواه بن عدى وابن عساكر عن عائشة - وقال فى حديث آخر « أيما امرأة اغضبت زوجها فعليها لعنة الله » وقال فى حديث آخر « إذا باتت المرأة هاجرة لفراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح » - رواه الامام احمد والبخارى ومسلم عن أبي هريرة - وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال « والذى نفسى بيده ما من رجل يدعوا امرأته الى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها » وفى رواية « اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت أن تجى فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح » وفى رواية « حتى ترجع » - رواه الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى عن أبي هريرة - وعن ابن عباس مرفوعا « ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رأسهم شبرا » وفى رواية « ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا تصعد لهم الى السماء حسنة ؛ العبد الآبق حتى يرجع الى مواليه ، فيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخطة عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو » - رواه ابن ماجه - وفى حديث آخر « ثلاثة لا تمسهم النار المرأة المطيعة لزوجها والولد البار بوالديه والمرأة الصبور على غيره زوجها » وفى حديث آخر « اذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها وأطاعت زوجها ، دخلت الجنة » - رواه البزار عن أنس والامام احمد عن عبد الرحمن الزهرى والطبرانى عن عبد الرحمن بن حسنة - وفى حديث آخر قيل يا رسول الله أى النساء خير ؟ فقال « التى تسره اذا نظر لها ، وتطيعه اذا أمرها ، ولا تخالفه فى نفسها ولا ماله بما يكره » - رواه الامام احمد والنسائى والحاكم عن أبي هريرة - وفى حديث آخر « خير نسائكم الودود الولود المواسية المواتية اذا اتقين الله ، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم » - رواه البيهقى عن ابن أبى أذينة الصدقى مرسلا وعن سليمان بن يسار مرسلا .

إخلاص المرأة اليابانية لزوجها

يقضى نظام المجتمع الياباني أن تخلص المرأة لزوجها ، وان تجعل نصب عينها سعادته وراحته في داخل منزله وخارجه ، وطاعة الزوجة لزوجها أساس الزواج عندهم ، فالزوجة تطيع زوجها طاعة زائدة بحيث لا تسأله عن شيء لماذافعله ، أو لماذا لم يفعله ، ولا تخالفه في شيء أمرها به سواء أوافقها أم لم يوافقها حتى انها لا تجلس أمامه أو الى جنبه حتى يأذن لها بالجلوس ، ويسمح لها به . وعليها ان تلتزم الأدب أمامه ، وتظهر بالحب له سواء أكان حبا حقيقيا أو مصنعا ، وإذا خرج الى عمله شيعته الى باب الدار وودعته وداعا حارا ، وإذا عاد استقبلته بخشوع وابتهاج بعودته ووفرت له أسباب الراحة والهناء . وهي مع ذلك تجد لذة في إداء هذا الواجب عليها ولا تعدد ذلا أو إفسادا ، لا أخذها هذه الصفات بالوراثه عن أمها وجدتها فمافوقهما . فهذه هي المرأة في بلاد اليابان ، تلك الأمة التي لا تعد بنظر الشرع امة ذات كتاب سماوى كالمسلمين والنصارى واليهود ، ومع ذلك لقد بلغت من الرقي والحضارة في الماديات والمعنويات مالم يبلغه غيرها من الأمم إلا المسلمين في سالف عهدهم وتالد مجدهم .

تصرفات الزوجة وأحكامها

تصرف المرأة في مالها أو مال زوجها موقوف الصحة على إذنه ورضائه ، فمال يأذن لها أو يرض به لا يصح وتأثم في تصرفها ، وذلك بنص الأحاديث النبوية الواردة في ذلك ، منها حديث « لا يجوز لامرأة أن تعطي إلا باذن زوجها » وحديث « لا يجوز لامرأة عطية إلا باذن زوجها » - رواه أبو داود عن عبد الله بن عمر - وحديث « لا يجوز للمرأة في مالها أمر إلا باذن زوجها » - رواه البغوى عن عبد الله بن يحيى الانصارى عن أبيه عن جده - وحديث « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته » - رواه الامام احمد والبخارى

ومسلم وأبوداود والترمذى عن عبد الله بن عمر - وحديث «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بأذنه ، ولا تأذن في بيته إلا بأذنه ، ولا تقوم من فراشها فتصلي تطوعاً إلا بأذنه» - رواه الطبراني عن ابن عباس - وقد بينت الأحكام الفقهية ان المراد من الصوم صوم النافلة لا صوم الفرض ، فلا يجوز للمرأة أن تتنفل بصوم الاحتمال أن يكون له أرب في قربه منها ، فإذا كانت صائمة منعه صيامها عن الاستمتاع بها ، واستمتاع الزوج بزوجه أفضل من نفل العبادات لما فيه من صون النفس عن الوقوع في المحرم ، واستجلاب مسرة زوجته في فعل ما هو أحب اليها من كل شيء ، ولما فيه من أصل حصول الحمل وبجى . ذرية يكثر بهم عدد المسلمين ويكونون عوناً لو الديهم في الدنيا والدين ، وإنما لم تجز تصرفات المرأة بنفسها لأنها كما وصفها الحديث الشريف ناقصة عقل ودين ، فربما تتصرف بشيء من ماله أو مال زوجها وهي تحسب أن تصرفها هذا حسن وهو في الحقيقة سىء لعدم تمام إدراكها ، ولكون جميع أعمالها تكون عن شهوة لا عن تبصر في الحقيقة ، وهذا هو الغالب في النساء ، وإن كن فيهن عاقلات مدبرات . وإنما الحكم يبنى على الغالب لعدم إمكان التمييز بين العاقلة والجاهلة وقال في حديث آخر « لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخیل يوشك أن يفارقك اثنا » - رواه الامام احمد والترمذى وابن ماجه عن معاذ - وفي هذا الحديث إشارة الى أن موت الأزواج قبل زوجاتهم أكثر من موت الزوجات قبل أزواجهن وهو الواقع (١) وإطاعة المرأة لزوجها واجبة في كل الأديان السماوية ، ففي الديانة النصرانية يقول الرئيس الدينى الذى يتولى حفلة عقد القران بين العروسين : هل تعدين أن تحبى زوجك وتطيعيه ؟ لأن هذين الأمرين أساس عندهم في صحة العقد ، مأخوذ من قول رسالهم : أيتها النساء أطعن أزواجكن . والمادة الرابعة عشرة بعد المائتين (٢١٤) من القانون المدنى الفرنسى صريحة في وجوب خضوع المرأة لزوجها ، والمعيشة معه ، والذهاب معه حيث

(١) قول المؤلف وهو الواقع يكذبه الواقع فلقد توفى له - أطال الله عمره - زوجتان وله ميدان لم يزل فسيحاً لاخذ ثلاثة ورابعة اه مصححه .

يذهب ، وله أن يلزمها بعودتها الى منزله إن كانت قد تركته من غير سبب ، وينفذ هذا الازام بقوة الحكومة المحلية ، وله أن يمنع عنها النفقة . وأن يحجز كل مايرد لها حتى تعود اليه ، ويحكم له بكل هذا إلا اذا كانت هناك أسباب تجعل الزوجة لا تستطيع أن تعاشر زوجها اه من مقالة لشمس الدين الغرياني الموظف بدار السكتب في مصر .

باب

٣٩

في اطاعة الرجال للنساء

من أشرط قرب يوم القيامة وعلاماتها كجاء في الحديث الشريف ، أن يعق الرجل أباه وأمه . ويطيع زوجته ، فان طاعة الزوجة لا تأتي بخير في الغالب لأن النساء لا يتكلمن إلا بما فيه هوى لهن ، سواء أ كان كلامهن نصحا أو زجرا ، او ذما أو مدحا ، ولذلك جاءت أحاديث كثيرة في النهي عن إطاعة الرجل امرأته وهو أمر معقول ، فان من النقص أن ينزل الرجل نفسه في غير منزلتها اللائقة بها ، فان الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء ، ومن هو قائم على شيء فهو افضل منه من كل جهة . ومن شأنه ان يكون مطاعا لا مطيعا ، ومتبوعا لا تابعا ، بسبب ما أتاه الله تعالى من كمال العقل ، وتمام القوة ، واستجماع الفكرة ، وحصافة الرأي ، وسلامته من الهوى . نعم أن له أن يستشير زوجته وينظر في رأيها . ويبين لها صوابه من خطئه ، وله ان يداريها ويماشيها على فكرها فيما تريده مما ليس محرما ولا مكروها ، كي لا يكون في عشرته معها جافيا قاسيا فظا غليظا ، وكثير من المسائل يستأنس بها بآراء النساء لا سيما فيما لا يعلم إلا من جهتهن ، ولذلك جاء في الحديث الشريف « آمروا النساء في بناتهن » - رواه ابو داود والبيهقي عن عبد الله بن عمر - يعني أنه اذا اراد الرجل أن يزوج ابنته من أحد من الناس فعليه أن يستشير امها (امرأته) في ذلك لاحتمال ان يكون بينها وبين ام الطالب او احد من اهله معرفة فتجيب حينئذ بالموافقة او بالسلب عن علم ، ويستدل من هذا الحديث لزوم الاستشارة فيما لهن به خبرة ومعرفة

والأحاديث الواردة في النهي عن طاعة النساء المراد منها الطاعة العمياء وهي المجهولة العاقبة. أو التي يعلم أن عاقبتها شر فلهذا يجب على الرجال اجتنابها والتوقي منها، ومن الأحاديث الواردة في النهي عن إطاعة النساء واستشارتهن فيما ليس لهن به علم قوله صلى الله عليه وسلم «طاعة النساء ندامة» - رواه ابن عساکر والقضاعي عن عائشة - وحديث «لا تزال الرجال بخير ما لم يطيعوا النساء» - رواه الدارقطني عن سهل بن سعد - وحديث «من أطاع امرأته في أربع كبه الله في النار على وجهه؛ أن يطيعها في أن تذهب إلى العرسات، وإلى المعلمات، وإلى الحمامات، وإلى الجنائز» وحديث «هلكت الرجال حين أطاعت النساء» - رواه الإمام أحمد والطبراني والحاكم عن أبي بكر - وحديث «لا يقدر الله أمة قادتهم امرأة» - رواه الطبراني - وحديث «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» - رواه البخاري والترمذي والنسائي وأحمد بن حنبل - وحديث «النساء لا يستشرن ولا يحتبرن» وحديث «شاوروهن وخالفوهن» وقال سيدنا الحسن السبط المتوفى سنة ٤٩ هـ عن علي رضي الله تعالى عنهما : ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله في النار . وقال سيدنا عمر بن الخطاب المتوفى سنة ٢٣ هـ رضي الله تعالى عنه : خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة . وقال لقمان الحكيم عليه السلام لابنته : يا بني إذا أردت أن تقوى على الحكمة فلا تملك نفسك للنساء ، فإن المرأة حرب ليس فيها صلح ، إن أحببتك أكلتك ، وإن أبغضتك أهلكتك . وفي كتب الأدب : طاعة النساء ندامة ، ومشاورتهن غرامة ، اعص هواك والنساء وأطع من تشاء . طاعة النساء تردى العقل . وتذل الأجزاء . وكان في بني إسرائيل رجل أعطى ثلاث دعوات مستجابات ، وكانت له امرأة ، فقالت اجعل لي منها واحدة ؟ فقال لك منها واحدة ، فقالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل ، فدعا فصارت فلما رأت نفسها أن ليس مثلها أحد رغبت عن زوجها ، فدعا عليها فانقلبت كلبة فجاءه أهلها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ، ادع الله أن يردها بحالها الأول ، فدعا فعدت وذهبت دعواته الثلاث فيما لا فائدة له به بسبب إطاعته لامرأته . ويسوغ نقل هذه الحكاية على علاقتها حديث «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» - رواه أبو داود عن أبي هريرة - وذكر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ في كتابه المحاسن والأضداد : أن تحية الدخول على ملوك الفرس أن يقول الداخل : عشت أيها الملك بسعادة الجسد

ورزقت الظفر على الأعداء ، وأعطيت الخير ، وجنبت طاعة النساء . وقال الأستاذ
الفاضل الشيخ مصطفى أبو سيف الحمamy (نسبة الى حمام بلدة في صعيد مصر) خطيب
المسجد الجامع الزينبي والمدرس فيه في خطبة من خطبه المنبرية : إن في زمانك هذا
رجالا في غاية الضعف أمام النساء ، المرأة مع أحدهم حبلا على غاربها تفعل ما تشاء وتترك
ما تشاء ، ولا تعجب إذا قلت لك إن الولاية المطلقة للنساء على هؤلاء ، وهذا الطراز
ليس بقليل عندنا بل تأكد أنه كثير . تجلس مع أحدهم فتري رجلا من أوجه الرجال
وقد يعجبك أن تعامله لتتشف بمأينك وبينه من الاتصال ، وقد تبرم معه عقد
التعامل لإبراما ليس للنقض معه مجال ، فإذا أحس بأنه لا يعجب امرأته سارع الى
نقضه مهما لحقه من تحقير ، وقد يهيم أن يقضى حاجته منها فتأبى فيسكت في ذل الكلاب
وقد يغاط فيشتري شيئا فتعيده ثم تعيده حتى يمل الذهاب والاياب ، وقد يتوب
الى الله تعالى من معصية فإذا شعر بعدم ارتياحها لتوبته نقض المتاب ! فهو في حر كاته
رهن إشارتها كأنه معها قرد ترقصه صغير ، ولا أدري كيف رضى أولئك الرجال
بهذا الذل البالغ وهذا الاحتقار ، مع ان الله تعالى جعلهم قوامين على النساء لانفاقهم
الكثير وفضلهم المدرار ، مع ان من يطيعهن لا يفلح أبدا . لافي هذه الدار ولا في
تلك الدار ، ولهذا السري ينبغي أن يحمل ما عليه مطيعوا النساء من تأخير ، قال الكمال والاعتماد
فاضل خبير ، وناقد بصير ، يصف الحالة في كل شيء كمن يسمع ويرى ، وكل ديوان
خطبه المسمى (منتهى آمال الخطباء و منار المسترشدين النبلاء) حقائق مجسمة ، وقضايا
مسلمة ، كادت تكون آيات محكمة ، جزاه الله تعالى خيرا عما بذله من وسع وصرفه
من مجهود ، فيما أخرجه للناس من خطب كأنها الدر المنضود ، في أسلاك العقود .

باب

٤٠

في ذكر الحقوق المتبادلة بين الزوجين

لكل من الزوج والزوجة حقوق متبادلة فيما بينهما لهما وعليهما ، كما قال الله تعالى
(ولهن مثل الذي عليهن) لا ينتظم أمر الحياة ، ولا تحصل الألفة بينهما إلا بقيام كل منهما

بما هو واجب عليه نحو الآخر ، وهي حقوق شرعية ، وعرفية ، ومدنية ، متداخل بعضها في بعض . فمن وفي بما عليه منهما عاش عيشة هنيئة سعيدة ، ومن قصر منهما بما عليه فإن له معيشة ضنكا ، وهو آثم عند الحق ، وظالم بين الخلق ، واليك تفصيل ما أجملت :

باب

٤١

في حقوق الزوج على زوجته

النكاح والدخول تحت عصمة الزوج نوع من الرق ولكنه رقيق ، فلا بد للزوجة أن تراعى حقوق زوجها بازاء ماله عليها من التزام المهر ، وجوب النفقة ، والدفاع عنها ، والقيام برؤية مصالحها وصيانتها من مواقع الآفات ، وماله عليها من الفضل والمئة بستر عرضها ، وكفاية حاجتها وصيانتها ، وكونه سببا في إحياء ذكرها بحضور الولد لها ، فواجب عليها أن تراعى حقه ، وتطيع أمره فيما ليس بحرام ، فلا تخرج من الدار إلا بأذنه ، ولا تدخل أحدا داره إلا برضاه ، ولا تتصرف في مالها فضلا عن ماله إلا بأمره ، ولا تخالفه ، ولا تراجع ، ولا تجادله ، ولا تكذبه ، ولا تحقره ولا تعيره بما فيه فضلا عما ليس فيه ، ولا تنسبه ، ولا تشتمه ، ولا ترفع صوتها فوق صوته فضلا عن أن تضربه ، ولا تمتنع عليه إذا أرادها ، ولا تمنع عنه شيئا يريد ، وفي قدرتها إعطاؤه ، ولا تكتمه سرا ولا حالا حسنة كانت أو قبيحة ، ولا تخونه في نفسها وماله أو مالها ، ولا تعترف بأحد من أصدقائه ، ولا تستفهم من هو إذا جاء يسأل عن زوجها وهو ليس في الدار ، ولا تفتخر على زوجها بما عندها من أسباب الفخر كالمال والجمال والحسب ، ولا تزدريه لنقص شيء من ذلك فيه ، ولا تؤذيه بحال أو مقال ، وعليها أن تجيب نداه من غير تأخير ولا امتناع ، إلا إذا كانت في أداء عبادة فرض من صلاة أو صيام وأن تلزم الحشمة والانقباض في غيبته ، والتبذل والانبساط في حضوره ، وأن تحفظه في غيبته وحضرته ، وتطلب مسرته في جميع أمورها ، وأن تكون قاعة منه بما رزقه الله تعالى ، وأن تقدم حقه على حق جميع أقاربها

وان تكون نظيفة في ثوبها وجسدها وبيتها ، كي لا تقع عينه على ما لا يحبه منها فيكرهها بسببه ، وأن تكون على استعداد لما يطلبه منها ، ومهتمة باصلاح شؤونه وملتزمة الى تربية أولادها ، والنظر في خدمة بيتها ، قليلة الخروج من البيت والذهاب الى الجارات والكلام معهن ، دفعا للشبهة والوقوع في الفساد ، وأهم الحقوق الواجبة للزوج على زوجته الصيانة والعفة والتستر ، وترك المطالبة بما وراء الحاجة الضرورية ، وعليها بالقناعة بما رزقه الله ، وأن لا تحوج زوجها الى ما يخرجه فتأثم ويغضب الله تعالى عليها ، وللزوج على زوجته أن تعرف طباعه وأخلاقه لتستطيع السلوك معه ، فيكون لها عنده المنزل الرفيعة ، والمقام العالي ، وتحصل على رضاه الذي هو من رضاه الله تعالى عنها ، وأن تكون صدوقة ، أمينة ، عفيفة حية ، غيورا على مصالح زوجها وبيتها ، حليلة صبوراء ، واسعة الصدر ، حسنة التدبير ، لينة العريكة حسنة المعاملة لمن هم في بيتها وتحت إدارتها من أولاد وخدم ، لاسيا إذا كان فيهم يتيم فان الاهتمام بأمره له عند الله ثواب عظيم ، والضغط والتضييق عليه عقابه شديد وأن تكون كثيرة الاهتمام بالنظافة وحسن التربية ، ملازمة لبيتها ، غير مستشرقة لرؤية المارين والمارة ، لا تخرج من بيتها إلا لضرورة ، غير متبرجة ولا متزينة ولا متعطرة ، تمشي في المواضع النائية محترزة من أن يقرب منها أجنبي ، أو يسمع صوتها ، أو يعرف شخصها ، وأن تتجنب قراءة كتب السفة والخلاعة المفسدة الاخلاق من مجلات وجرائد ورسائل أغاني وطقاطيق ، فان ضررها عظيم ، وأن تكون مصونة للسان من البذاءة وفحش القول ، وكل ما سمعه مستهجن ، وفعله مستنكر ، وأوضاعه مكروهة ، وفي مقدمة كل حق مراعاة حق الله تعالى من طهارة ، وصلاة ، وصيام ، وغيره من كل واجب عليها ، ولتعلم المرأة وكل شخص رجلا كان أو امرأة ان كل من يقصر بواجب عليه الله تعالى ينتليه الله تعالى بضيق الصدر ، وشتات الامر ، مهما كان منعها في الحال ، ميسورا في المال ، قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) ثم بعد مراعاة حق الله تعالى بأدائه يجب عليها أداء حق زوجها على نحو ما ذكرناه ، فان الاحاديث النبوية في تعظيم حقوق الزوج كثيرة منها حديث : إن عائشة رضی الله تعالى عنها سألت رسول الله ﷺ أي الناس أعظم

حقاً على المرأة ؟ فقال « زوجها » قالت فأى الناس أعظم حقاً على الرجل ؟ فقال « أمه » - رواه الحاكم عن عائشة - وقال في حديث آخر « حق الزوج على المرأة أن لا تمجر فراسه ، وأن تبرقسه ، وأن تطيع أمره ، وأن لا تخرج إلا بأذنه ، وأن لا تدخل إليه من يكره » - رواه الطبراني عن تميم الداري - وقال في حديث آخر « حق الزوج على زوجته أن لا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب ، وأن لا تصوم يوماً واحداً إلا بأذنه إلا الفريضة ، فإن فعلت أثمت ولم يتقبل منها ، وأن لا تعطى من بيتة شيئاً إلا بأذنه فإن فعلت كان له الأجر وعليها الوزر ، وإن لا تخرج من بيتة إلا بأذنه ، فإن فعلت لعننا الله وملائكته الغضب حتى تتوب أو ترجع وإن كان ظالماً » - رواه أبو داود الطيالسي عن عبد الله بن عمر - وقال في حديث آخر « حق الزوج على زوجته لو كانت به قرحة فله حستها ، أو أنثر من خراه صديداً أو دماً فابتلعته ؛ ما أدت حقه » - رواه الحاكم عن أبي سعيد الخدري - وقال في حديث آخر « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لا أمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » وقال في حديث آخر « لو تعلم المرأة حق الزوج لم تقعد ما حضر غداؤه وعشاؤه حتى يفرغ منه » - رواه الطبراني عن معاذ - وقال في حديث آخر « المرأة لا تؤدى حق الله حتى تؤدى حق زوجها كله ، ولو سأها وهى على ظهر قتب لم تمنعه نفسها » - رواه الطبراني عن زيد بن أرقم - وقال في حديث آخر « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » - رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم عن أم سلمة زوج النبي ﷺ - وعن ابن عباس أن امرأة جاءت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إني وافدة النساء إليك ، هذا الجهاد كتبه الله تعالى على الرجال فان يصيبوا أجروا ، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ، ونحن معشر النساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك ؟ فقال رسول الله ﷺ « أبلغى من لقيت من النساء أن طاعة الزوج والاعتراف بحقه يعدل ذلك ، وقليل منسكن من تفعله » وعنه أيضاً مرفوعاً « ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً » وفي رواية « ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة ؛ العبد الآبق حتى يرجع إلى مولاه فيضع يده في أيديهم والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو »

باب

٤٢

فى خدمة الزوجة لزوجها

خدمة الزوجة لزوجها حق واجب له عليها بنظير ما يقوم عليها بالاحصان والانفاق وكفاية ما تحتاج إليه من كل ما يقدر عليه ، إذ هو يجد ويجدح ، ويكد ويكدح ويكسب ويكتسب ، بالصدق والكذب ، فلا بد له من يعينه على قضاء حاجاته التى لا بد له منها ، ولا يحصل عليه إلا بالزوجة الموافقة المطيعة التى تشاركه فى حياته وتقاسمه مكتسباته ، فاذا تأبت وامتنعت عن خدمته عجز عن القيام بما يلزم لها عليه لانصرافه الى تسوية حاجاته الضرورية ، فيختل نظام الزوجية ، فمن ثمة كانت خدمة الزوجة لزوجها أمرا واجبا له عليها عقلا وشرعا ، فعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : كان أصحاب رسول الله ﷺ اذا زفوا امرأة على زوجها يأمرونها بخدمة زوجها ومراعاة حقه ، وكانت النساء الصحايات ومن بعدهن من التابعيات يخدمن أزواجهن ويؤوتهن ، ومن أفضل من فاطمة بنت رسول الله ، بضعة الطاهرة وأم الحسنين الا حسنين ، وزوجة على بن أبي طالب ، بل ومن وأسماء ذات النطاقين بنت سيدنا أبي بكر الصديق ، وأخت سيدتنا عائشة الصديقة الطهرى ، زوجة رسول الله ، واسماء زوجة الزبير بن العوام احد العشرة المبشرين بالجنة ، وام عبد الله بن الزبير خليفة المسلمين فى مكة المكرمة ثلاثا وعشرين سنة ، فهاتان السيدتان وغيرهما من الصحايات ومن بعدهن كن يخدمن أزواجهن ويؤوتهن بأنفسهن. ففي صحيح البخارى عن اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وعنهما قالت : تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ، ولا شئ غير ناضح (جمل يستقى عليه) وغير فرسه ، فكنت اعلف فرسه ، واستقي الماء ، وأخرز القرية ، وأعجن ، ولم أكن أحسن أن أخبر فكانت جارات لى من الانصار يخزن لى ، وكن نسوة صدق . وكنت أقفل النوى من أرض الزبير التى أقطعه إياها رسول الله ﷺ على رأسى وهى من المدينة على ثلث فرسخ الخ ما قالت . فهل بعد خدمة هؤلاء الصحايات الجليلات لأزواجهن تستنكف امرأة ان تخدم زوجها ؟ ! اللهم إلا أن تكون بنت حرام لا خير فيها

وهذه بعض أزواج ملوك أوربا على ما أتاهن الله من الملك والعظمة فيخدمن أنفسهن ويوتهن من غير استعانة بالخدم، مع ما للزوجة عند أهل أوربا من احترام وتعظيم.

باب

٤٣

في حقوق الزوجة على زوجها

وللزوجة على زوجها حقوق كثيرة كما له حقوق عليها ، قال الله تعالى (ولهن) أي للزوجات (مثل الذي عليهن) وذلك ان حق الزوجية لا يتم إلا اذا كان كل واحد منهما يراعى حق الآخر فيما له وعليه ، فيجب على الزوج ان يقوم بجميع ما عليه من حقوق لزوجته ، أو لأزواجه إذا كن أكثر من واحدة ، قال رسول الله ﷺ «الا إن لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حق ، أما حقكم على نسائكم فان لا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، الا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن» وقال في حديث آخر «حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم ، ويكسوها إذا اكتسى ، ولا يضرب الوجه ولا يقبح ، ولا يهجر إلا في البيت» - رواه الطبراني والحاكم عن معاوية بن حيدة - وقال في حديث آخر «أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق لكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم غيركم ، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بأذنكم ولا يأتين بفاحشة ، فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تعضلوهن ، وتهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن (ضربا) غير مبرح ، فان اتتهن واطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان (أي أسيرات) لا يملكن لأنفسهن شيئا أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا»

ويجب للزوجة على زوجها مراعاة الاعتدال ، والأدب في المعاشرة ، والدعابة والسياسة ، والمداواة ، والتعليم ، والتأديب ، والقسم بين الأزواج اذا كان تحته أكثر من زوجة ، ويؤاخذ على الإفراط والتفريط في الحقوق قال رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم « خياركم خياركم لنسائهم » وفي لفظ « خياركم أطفكم بأهله »
 - رواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص - وقال في حديث آخر « عليكم
 باللطف والرفق بنسائكم ، لا تظلموهن ، ولا تضيقوا عليهن ، فان الله تعالى يغضب
 للمرأة اذا ظلمت كما يغضب لليتم » وقال في حديث آخر « أول ما يحاسب الرجل
 على صلاته ، ثم بعد ذلك على نسائه وما ملكت يمينه إن أحسن عشرتهن أحسن الله
 تعالى اليه ، وأول ما تحاسب المرأة على صلاتها ، ثم على زوجها وجيرانها » وقال
 في حديث آخر « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » - رواه ابن عساکر
 عن علي بن ابى طالب - وقال في حديث آخر « من أدخل على أهل بيته سرور
 خلق الله من ذلك السرور خلقا يستغفر له الى يوم القيامة » - رواه أبو الشيخ عن
 جابر - وقال في حديث آخر « المحسن الى نسائه وعياله وأولاده يعطى درجة المجاهدين
 في سبيل الله » وقال في حديث آخر « ما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمت
 ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة ، وما أطعمت نفسك
 فهو لك صدقة » - رواه الامام احمد والطبراني عن المقدم بن معد يكرب - وقال
 في حديث آخر « إذا سقى الرجل امرأته الماء أجر » - رواه البخارى فى التاريخ
 والطبراني عن العرابض بن سارية - وفي حديث آخر - « خدمتك زوجتك صدقة »
 وقال فى حديث آخر « شر الناس المضيق على أهله » - رواه الطبراني عن ابى امامة -
 وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اننى سئى الخلق أوذى
 زوجتي واهل بيتي بلساني ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « المؤذى لأهل بيته لا يقبل الله عز وجل عذره ، ولا
 حسنة من حسناته . ولو صام الدهر ، واعتق الرقاب ، وكان أول من يدخل النار »
 ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الكامل ، والأسوة الحسنة للرجال فى حسن معاشرة
 أزواجه بالمعروف ، والقسمة بينهم بالعدل فى المبيت والنفقة ، واللطف والبر ، واحتمال
 غضبهن وغيرتهن ، وتنازعهن بالاناة والرفق والموعظة الحسنة ، ولقد كان يخدم بيته
 ويقضى حوائجه بيده ، ولم يضرب بيده امرأة ولا خادما ، وكان الين الناس اذا خلا
 بنسائه وأكرمهم ، ضحكا بساما ، ومن أفكه الناس اذا خلا بهم ، وكان اذا اراد السفر

أقرع بينهم ، فمن وقعت عليها القرعة أخذها ، وكان يعظ أهله ويحاملهن ويؤانسهن صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله واصحابه ، وعلى من تخلق بأخلاقه وتأدب بآدابه .

باب

٤٤

في مؤانسة الزوجة وملاعبتها

مؤانسة الزوج وزوجته وملاعبتها ومازحتها بغير باطل ، والكذب عليها لاستئجاب مرضاتها إذا اقتضى الأمر ، حق واجب على الزوج لزوجته لتمكين الألفة بينهما فقد ذكرت قبل هذا الفصل كيف كان يعامل رسول الله ﷺ ، أزواجه وأهله وخدمه وهو القدوة الطيبة ، والأسوة الحسنة ، لمن كان يزوج الله واليوم الآخر وقد ورد في ذلك أحاديث عنه ﷺ منها حديث « كل شيء يلهو به ابن آدم باطل إلا رمي به قوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته امرأته » وفي رواية « كل شيء مليس من ذكر الله لهو ولعب ، إلا أن يكون أربعة ، ملاعبة الرجل امرأته » الحديث - رواه النسائي عن جابر - وحديث « إن الله تعالى ليعجب من مداعبة الرجل زوجته ، ويكتب لها بذلك أجراً ، ويجعل لها بذلك رزقاً حللاً » وفي حديث آخر « كل الكذب مكتوب إلا الكذب في الحرب ، والكذب في إصلاح ذات البين ، وكذب الرجل على امرأته ليرضيها » - رواه ابن السني عن النواس بن سمعان - وفي الاستمتاع بها ثواب للزوج وسرور لهما من غير إفراط قال رسول الله ﷺ « وفي بضع أحدكم صدقة » قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال « أرأيتم لو وضعها في حرام ، كان عليه وزر فكذا ذلك إذا وضعها في الحلال كان له اجر » وأما مجافاة الزوجة ، والأشتغال عنها ولو بالعلم والعبادة ، ففيه إجحاف بحقوقها وتضييع له . ففي تاريخ الخلفاء للجلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١ قال الشعبي (المتوفى سنة ١٠٤) وقتادة (المتوفى سنة ١١٧) جماعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه امرأة فقالت : زوجي يقوم الليل ويصوم النهار . فقال عمر : لقد أحسنت الشاء على زوجك !! فقال كعب بن سوار : لقد شكت ، فقال عمر كيف ؟ قال تزعم أنه ليس لها من زوجها نصيب ، قال فاذ قد فهمت ذلك

فاقضى بينهما . فقال يا أمير المؤمنين أحل الله للرجل أربعاً من النساء ، فلها من كل أربعة أيام يوم ، ومن كل أربع ليال ليلة . قال الكمال أحسن الله تعالى إليه : وهذا هو الحق والحكم ، فليس من العدل أن ينصرف الرجل بوجهه عن زوجته وينسكب على العبادة والاشتغال بالعلم والدرس ، فإن لنفسه عليه حقاً ، ولزوجته عليه حق . كما أنه ليس من الانصاف أن تمنعه بالمرة عن الاشتغال بما يقربه إلى الله زلفى من عبادة ، ودراسة كتب الدين والعلم والأدب ، فإنه عدته التي يبيتها قبل موته لما ينفعه في الآخرة . ويعلى مقامه ، كما قال الله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) . وقد منّا فيما سبق في أحد فصول هذا الكتاب ، أن أكره ما تكرهه الزوجة أن ترى زوجها مشغولاً بدراسة كتب العلم والدين ، ولكن لا عبرة بكرهيتها إلا بما كان مفوتاً لحقها ، وهى أن تستغرق أيامه كلها ، ذلك بخلاف ما اذا وفاها حقها فليس لها أن تعترض عليه وتمنعه ، فإن فعلت كانت ظالمة له والظلم وخيم العاقبة .

باب

٤٥

في القسم بين الأزواج

ومن الحقوق الواجبة للزوجة على زوجها القسم بينهما وبين شركائها فيه فيما إذا كان له أكثر من زوجة ، فإنه يجب عليه القسم بينهن بالسوية ، والعدل في القضية ، ولا فرق بين الجديدة والقديمة والبكر والثيب ، والصحيحة والمریضة ، والغنية والفقيرة والجميلة والقيحية ، والحائض والنفساء والطاهرة منهما ، والحامل والحائض ، والعاقرة والمحرمة فلا يفضل واحدة منهن على الأخرى بالمعاملة مهما كانت فيها ميزات تقتضى التفضيل ، لأنهن كلهن أزواجه لا فرق بينهن في الزوجية فلا فرق بينهن في المعاملة الظاهرة . قال رسول الله ﷺ « من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل » (أى مفلوج) وفي رواية « إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط » رواه أبو داود . والترمذى - ولا مؤاخذه عليه بالميل القلبي إلى واحدة منهن زيادة على الأخرى ، فهذا الميل ليس بيده ، فقد كان رسول الله ﷺ يقسم بين أزواجه ويقول « اللهم هذا قسمي فيما

أملك ، فلا تؤاخذنى فيما لا أملك » يعنى حبه لاحدى أزواجه زيادة على غيرها
منهن وهى عائشة ، فقد كان يحبها بزيادة على غيرها ، وكانت أكثرهن عليه دلالة
ومع ذلك لم يكن يفضلها على واحدة من أزواجه الأخرى فى النفقة ، أو المبيت
أو حسن المعاشرة ، ومن أولى بالعدل من رسول الله ﷺ نعم إن لمن تزوج بزوجة
على من عنده أن يقيم عندها سبعة أيام بلياليها إذا كانت بكرا ، وثلاثة إذا كانت
ثيبا ، ليستألفها وتستأنس به وبأهله ، ثم بعد ذلك يسوي بينها وبين ضرتها فى المعاملة .

باب

٤٦

فى محبة الزوجين وعداوتهما

قال ابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ فى كتابه تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق :
المحبة أربعة أنواع ، منها ما ينعقد سريعا وينحل سريعا وهى المحبة التى تكون بسبب
اللذة فقط ، ومنها ما ينعقد سريعا وينحل بطيئا وهى المحبة التى سببها الخير ، ومنها ما ينعقد
بطيئا وينحل سريعا وهى المحبة التى تكون بسبب المنافع ، ومنها ما ينعقد بطيئا وينحل
بطيئا وهى المحبة التى تتركب من هذه الأنواع كلها وهى محبة الزوجين كل منهما
للآخر ، فان فيها اللذة المشتركة ، والخيرات المتبادلة ، والمنافع المختلطة ، وهما يتعاونان
عليها . فالمرأة تنتظر من زوجها الجلب ، وهو ينتظر منها الحفظ لتثمر فلا تضيع ، ومضى قصر
أحدهما اختلفت المحبة وحدث الخلاف بينهما اه قال الكمال أحسن الله تعالى اليه :
ثم إن صفة المحبة تختلف باختلاف حال المحبوب كما قلت فى كتابى (ثمرات التجاريب)
محبة الإنسان لربه ونبيه محبة هدى وإسلام ، ولوالديه محبة لإجلال واحترام
ولأولاده محبة شفقه واهتمام ، ولاخوته وإخوانه محبة اقتضاء واستلزام ، ولذوي
رحمه محبة صلة وإكرام ، ولأصحابه محبة انتفاع ووفاء ، والحب كل الحب ما بين الزوجين
والسلام . قال الله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها
وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وفى الحديث الشريف
« إن للزوج من المرأة لشعبة ما هى لشيء » - رواه الحاكم وابن ماجه عن محمد بن

عبد الله بن جحش - وفي حديث آخر « إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه نظر الله تعالى إليهما نظر رحمة ، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما » - رواه ميسرة بن علي والرافعي عن أبي سعيد - وفي أول سفر من أسفار التوراة قال الله تعالى : - نخلق بشرا بصورتنا خلق آدم من أديم الأرض ، ونفخ في وجهه نسمة الحياة ، وقال إن آدم لا يصلح أن يكون وحده ، ولكن أصنع له عينا مثله ، فألقى عليه السبات فأخذ إحدى أضلاعه فلائها وسمى الضلع الذي أخذ امرأة لائها من المزم أخذت فقربها إلى آدم فقال آدم : عظم من عظامي ، ولحم من لحمي ، ومن أجل ذلك يترك الرجل أباه وأمه ويتبع امرأته ، ويكونان كلاهما جسما واحدا وباركهما الله وقال أثمروا ، وأكثروا واملأوا الأرض ، وتسلطوا على أنوان (حيات) البحر وطير السماء ، والائعام ، والدواب ، وعشب الأرض ، وشجرها ، وثمرها اه

واعلم أن محبة الرجل لامرأته أقرب إلى الصدق والاخلاص من محبة المرأة لزوجها ، فإنه يراها عامرة بيته ، طابخة طعامه ، كافيته كل ما يحتاج إليه بما لا يتسع له وقته لأن يقوم به بذاته لا اشتغاله بالسعي والكسب ، فلذلك يشفاني في حبها ، ويقدمها ويؤثرها على أهله وولده والناس اجمعين . سيما إذا كان شابا وهي أيضا شابة ، فيرى عندها ما تسكن إليه نفسه وتكفيه كل غائلة وتهلكة لولم تسكن له زوجة . وأما محبة المرأة لزوجها فليست قدر محبة الرجل لامرأته ، لأن محبتها مبنية على حاجات نفسية ، فأذاراته كافيا لها من هذه الجهة أحبه مادام كافيا لها ، فإذا عجز عما تطلبه منه قلبت له ظهر المجن وظهرت له العداوة أو الكراهة بقدر ما ترى فيه من العجز والنقص عن القيام بما تطلبه وتنسى له كل معروف وصنيع جميل مهما كان غاليا عاليا ، والقاعدة الصحيحة لهناء الزوجين ما قاله سيدنا عمر بن الخطاب لامرأة خاصمت زوجها إليه ، وصرحت له بأنها لا تحبه قال : إذا كانت إحداكن لا تحب الرجل منا فلا تخبره بذلك ، فإن أقل البيوت ما بنى على المحبة ، وإنما يتعاشر الناس بالحب والاستسلام . يعنى أن انتظام الحياة الزوجية إنما يكون بالانتماء ، كل من الزوجين لحفظ شرف الآخر والعمل بما يقتضى من الواجبات والآداب بينهما ، ومع هذا ينبغي لكل من الزوجين أن يتكلف التحب إلى الآخر ليصير التطبع طبعاً . قالت عليّة بنت المهدي :

تجنب فان الحب داعية الحب

وفي الأمثال المشهورة ، احبب ودارى واكره ودارى . وعلامة المرأة المحبسة لزوجها أن تكون طوع أمره ، رهينة إرادته في كل ما يأمر به وينهى عنه ، متطلعة إليه متفقدة لحاجاته ، لا ترفع نظرها منه . والمبغضة لزوجها بالعكس من ذلك ، بل تريد عليه أن تحدث له من أقل سبب - بل وبلا موجب - شرا يقاسى منه نكرا ، حتى تلجئه إذا دخل الدار أن يدخل مستغيذا بالله العليم بحاله من شرها ، وإذا خرج خرج مستجيرا من ضرها ، وكيفما كانت المرأة محبة أو مبغضة فانها شر على زوجها ولكن لا بد له منها لأنها إذا أحبت أكلته ، وإن أبغضته أهلكته .

ويلايه إن هي واصلت أو باعدت وقع السهم ونزعن أليم
قال علماء الافرنج : محبة النساء كورد الرياض ، حسن المنظر ، سريع الذبول . وقالوا : مهما أحبتك المرأة فانها رقيب عتيد عليك . وقالوا : محبة المرأة مبنية على المنفعة ، فمن لا منفعة لها منه لا تحبه كيفما كان . وقالوا : شرف المرأة وفضيلتها بحبها لزوجها ، فمن لا تحب زوجها ليست بزوجة . وقالوا : المرأة المستهزئة بزوجها لا تكون محبة له أصلا . قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : فكيف المرأة التي تسب زوجها وتشتمه ، وتلعن أباه وأمه ، وتصمه بعرضه ودينه ، وهو طاهر برى من كل ما تقول فيه ، فهل تكون محبة له ؟ وعداوة المرأة لزوجها ثابتة في القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) ومن لطف الله تعالى وعنايته أن ليست العداوة في الأزواج كل من بل في بعضهم ، بدليل قوله تعالى (إن من أزواجكم) ومن للتبعض . وفي الحديث الشريف « أعدى عدوك زوجتك التي تضاجعك ، وما ملكت يمينك » - رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي مالك الأشعري - ولم يرد في القرآن الكريم ، ولا الحديث الشريف ، ولا في تعامل الناس ، أن الرجل عدو لزوجته ، لأنه لا حاجة له بعداوتها ، فان كانت موافقة له أبقاها على عصمة نكاحه وإن لم تكن موافقة له . إما أن يبقيا إذا رأى ضرورة في إبقائها وعدم تطليقها ، ورجا من الله تعالى إصلاحها أو اجتياحها ، وإن لم ير ضرورة في إبقائها مع عدم موافقتها

له طلقها ، وكفى الله المؤمنين القتال . فلا معنى لأن يكون الرجل عدوا لمرأته بخلاف المرأة فانها تكون عدوا له ، حيث لا تستطيع التخلص منه لأن طلاقها بيده لا يبيدها ، فتضيق عليه وتخاصمه ، وتشاره وتنخص عيشه ، وتترصد به كل تهلكة تحل به ، فتدعو عليه داخلا وخارجا ، وقائما وقاعداً ، ويقظان ونائماً ، شان الأعداء لمن يعادون ، والله المستعان على ما كان منها وما يكون .

باب

٤٧

في حكايات عن محبة النساء لأزواجهن ووفائهن لهن

ومن محبة النساء لأزواجهن وغيرتهن عليهم ، ما حكاه أبو الفرج الأصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦ في الجزء الثالث من كتابه الأغاني في أخبار مرسى شهوات ، إن زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان تزوج سكينه بنت الحسين رضى الله تعالى عنهم . ما فغتب عليها يوماً وخرج الى مال له (مزرعة) فدعت السيدة سكينه أشعب وقالت له : إن عمرا خرج عاتياً على فاعلم لى حاله ؟ وأعطته ثلاثين ديناراً ، فأناه ليلاً فى دار له فوجده على فراش ، فلما رآه نزل عن فراشه الى الأرض وقال له ما جاء بك ؟ قال أرسلتنى سكينه لأعلم خبرك أتذكر منها ما تذكر منك ، قال دعنى من هذا وغنى ، فغناه فلم يطرب ، ثم قال غنى ويحك غير هذا فان أصبت ما فى نفسى فلك حلتي هذه وقد اشتريتها بثلاثمائة دينار ، فغناه بقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي المتوفى سنة ٩٣ :

علق القلب بعض ما قد شجاه من حبيب أمسى هو أنا هو

ما ضرارى نفسى بهجران من ليدس مسيئاً ولا بعيذا نراه

واجتنبى بيت الحبيب وما الخلد بأشهى الى من أن أراه

فقال له ما عدوت ما فى نفسى خذ الحلة ، فأخذها ورجع إلى سكينه وقص عليها القصة ، فقالت له : وأنت الآن تريد أن تلبس حلة ابن عثمان ! لا والله ولا كرامة بل أنا اشتريتها منك ، فاشتريتها بثلاثمائة دينار اه وفى كتاب المستظرف للابشيهي المتوفى سنة ٨٥٢ خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب الى بعض مقابر

الشام ، فاذا امرأة جالسة على قبر تبكي ، قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فحككت شمسها عن متون غمامة ، فوقفنا متحيرين ننظر إليها ، فقال لها يزيد بن المهلب : يا أمة الله هل لك بأمر المؤمنين بعلا ؟ فنظرت إلينا ثم أنشدت تقول :

فان تسألوني عن هواي فانه يجول بهذا القبر يافتيان

وإني لأستحييه والترب بيننا كما كنت أستحييه وهو يراني

وأبت أن تجيبه لطلبه حبا منها بزوجها المتوفى ، ووفاء له بعد موته . ومن ذلك ما روى عن نائلة بنت الفرافصة بن الاخصوص السكبي زوجة سيدنا عثمان بن عفان . رضى الله تعالى عنه وكانت قد قطعت أصابع يديها وهى تدافع عنه يوم قتله ، أن معاوية بن أبى سفيان خطبها فقالت : ما يعجب الرجل منى وأصابعي مقطعة ؟ فقيل لها ثناياك ، فكسرت ثناياها وبعثت بها الى معاوية ، تريد أنها لاتبغى بعثمان بعده بديلا * وفى المستظرف أيضا لما قدم هذبة بن الحشرم للقتل بحضور مروان بن الحكم وكانت زوجته حاضرة ، فالتفت إليها وقال :

فلا تنسكى إن فرق الدهر بيننا أغم انقفا والوجه ليس بأنزعا

يوصيها بأن لاتتزوج بعده بمن هذه صفته ، فانها تدل على البلادة واللؤم ، فقالت لزوجته لمروان : إن لهدبة عندى وديعة فامهلها حتى آتيك بها ، فقال لها مروان اسرعى فان الناس قد كثروا ، فمضت الى السوق ورهنت سوارها على درهمين وأتت قصابا فقالت له اعطنى شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أرددا عليك بعد قليل ، فأخذتها وقربت من حائط ، وأرسلت ملحفتهما عن وجهها ثم جدعت (قطعت) أنفها من أصله ، وقطعت شفيتها ، ووضعت ملحفتهما على وجهها ، وردت الشفرة الى القصاب ، ثم أتت هذبة وهو واقف ينتظر الموت فقالت : أتراني يا هذبة متزوجة بعد ما ترى ؟ ! فقال الآن طابت نفسى بالموت فجزاك الله من حليلة وفيه خيرا اه

وأين هؤلاء النساء الوفيات لأزواجهن فى حياتهم وبعد مماتهم من أولئك الغادرات العاهرات اللاتي يترصن بأزواجهن الدوائر ، وينصبن له حبايل الشر والضر ، وهن ككثيرات أينما توجهت ، وحيثما كنت ، نسمع بهن وعنهن حكايات

غريبات من القديم وفي زماننا هذا ١٤ ففى كتب الأدب أن صخر بن عمرو بن
الشريد أخا الحنساء لا يبيها مرض مرضاً طويلاً ، وكانت أمه وزوجته تمرضانه ، فسئلت
زوجته يوماً عن حالته فقالت - وقد ضجرت منه - لاهو حى فيرجى ، ولا ميت
فيسلى ، فسمعها صخر فتألم من قولها هذا وأنشأ يقول :

أرى أم صخر لا تمل عيادتي ومليت سليمى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمرك قد نهبت من كنان نائماً وأسمعت من كانت له أذنان
وأى امرئ ساوى بأم حليمة فلا عاش إلا فى شقاو هو ان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

باب

٤٨

فى تأديب الرجل امرأته

للرجل أن يؤدب امرأته ، وكل من هم تحت حكمه ورعايته ، لسلامة حالهم ومالهم
من كل ما يضرهم ويؤذيهم فى نفوسهم ، وأموالهم ، وأخلاقهم ، وآدابهم ، ومعاشرتهم
غيرهم . فالتأديب ضرب من ضروب الإصلاح يقدر بقدره لا يتجاوز الحد اللازم
له ، ليس هو نوعاً من التشفى أو الانتقام . وتأديب المرأة على خمسة أوجه ، الوعظ
والهجر ، والضرب ، والتحكيم ، والطلاق . فالوعظ يكون بما يؤثر فى نفسها التخويف
من الله عز وجل فى الآجلة ، وما تؤول إليه حالتها فى العاجلة ، وبذكر ما للرجل عليها
من الفضل ، وما ورد فى ذلك من الأحاديث ، كل ذلك بالرفق واللين حتى تنقاد وتخضع
والهجر إذا لم يؤثر فيها الوعظ ، وهو أن لا ينام معها فى فراش واحد ، لكن بشرط
أن يكون فى الحجرة التى تنام فيها ، وهو أشق عليها من أن يهجرها وينام فى حجرة أخرى
غير التى تنام هى فيها ، فإذا صلح حالها فيها ونعمت ، والا فالضرب . ويشترط فيه
أن يكون غير مبرح - أى غير مؤلم - لأن القصد منه الترهيب والتأديب ، لا الانتقام
والتشفى . وقد ورد عن ابن عباس تفسيره بالضرب بالسواك ونحوه ، ومن الأحاديث

الواردة في جواز الضرب الخفيف دون المبرح - أي المؤذي - قوله ﷺ « لا ترفع عصاك عن أهلك » وقوله « علقوا السوط حيث يراه أهل البيت ، فانه آدب لهم » - رواه الطبراني عن ابن عباس - وقوله « لا تسكنوا النساء الغرف فيشرفن ، ولا تعلموهن الكتابة ، واستعينوا عليهن بالضرب » وقوله « لا يسأل الرجل فيمضرب امرأته » . وفي كتاب حياة الحيوان للدميري المتوفى سنة ٨٠٨ ذكر أبو العباس أحمد بن القاص في مصنفه أن الامام الأعظم أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه سمع صوت امرأة يضربها بعلمها وهي تصيح فقال : صدقة مقبولة ، وحسنة مكتوبة . فقال لرجل من أصحابه : كيف ذاك يا أستاذ ؟ فقال لقوله ﷺ « آدب الجاهل صدقة عليه » وأنا أعرفها جاهلة اه وأنكر رسول الله ﷺ على من يضرب امرأته ضرباً مؤلماً فقال « لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ، ثم يجامعها آخر النهار » - رواه البخاري ومسلم عن عبد الله ابن زمرة - وقال « أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد أول النهار ثم يجامعها آخره » - رواه عبد الرزاق عن عائشة - وقال في حديث آخر « لا تضرب ظميتك (زوجتك) ضربك لأمتك » وسبب هذا الحديث كما في كتب السنن الأربعة لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وفي غيرها أن لقيط بن صبرة قال : يا رسول الله إن لي امرأة ، وإن في لسانها شيئاً (يعني البذاءة) فقال رسول الله ﷺ « فطلقها إذن » قال : يا رسول الله إن لها صحبة ، وإن لي منها ولداً ، قال « فعظم فإن يك فيها خير . فستفعل ، ولا تضرب ظميتك ضربك لأمتك » وقال في حديث آخر « يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل ؟ » قال ذلك على سبيل الإنكار . والضرب الخفيف للتأديب مباح فقد روى البيهقي من حديث أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قالت : كان الرجال نهوا عن ضرب النساء ، ثم شكوهن إلى رسول الله ﷺ أنهن تمردن عليهم ، حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله قد زئ النساء على أزواجهن - أي تمردن - وعتين في النشوز والجرأة ، فخلى بينهم وبين ضربهن . ثم قال : وإن يضرب خياركم (وهذه الرخصة أشبه بالحظر) فإذا لم يفدها الوعظ والهجر والضرب عمد الرجل إلى التحكيم ، وهو أن يؤلف الزوج مجلساً من أهله وأهلها ، فيعرض كل من الزوجين ما يشكوه من الآخر ، وينظر المحكومون فإن رأوا الحق في جانب الزوج حكموا

عليها باطاعته وامثال أمره ، وإن رأوا الحق في جانب الزوجة نهوا الرجل الى كفه عما هو متشدد به وألزموه بالرفق واللين في معاملة زوجته ، فان تمرد المحكوم عليه فرقوا بينهما بالطلاق وهو آخر أنواع التأديب ، كما يقال في المثل : آخر الدواء الكي . ويجوز للزوج أن يصبر على ما يقاسيه من التعب من زوجته توقعا للأجر من الله تعالى على صبره على سره أخلاق امرأته ، كما أنها تثاب هي على صبرها عليه اذا رأت منه ما يشق عليها ، كما جاء في حديث « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون » ويتعين على الصبر والتحمل والحلم وكظم الغيظ اذا كان له منها أولاد صغار ، فان طلاقه لها يضر بهم ضررا كبيرا ، وأحسن ما يفعله الرجل السكوت مهما تقل . قال الشاعر :

إنما المرأة مرآة بها كل ما تنظره منك ولك
فهي شيطان اذا أفسدتها واذا أصلحتها فهي ملك

باب

٤٩

في مسؤولية الرجل عن أهل بيته

قال الامام أبو الليث السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣ هـ في كتابه (قرّة العيون ومفرح القلب المحزون) يجب على الرجل أن يأمر أهل بيته بالصلاة ويضربهن على تركها وأن يعلمهن الوضوء ، والتيمم ، والغسل من الحيض ، والجنابة ، والنفاس ، وحكم الاستحاضة واعتقاد أهل السنة ، وحرمة الغيبة والنميمة ، وتوقى النجاسات ، والصمت عما لا يعنى وملازمة الذكر والآداب ، واجتناب الاثم والسوء . ففى الحديث الشريف « لا يلقي الرجل ربه بذنب أعظم من جهالة أهل بيته »

كما يجب عليه حسن القيام عليهم بالأطعام والكسوة من وجه حلال ، ولا يحل له التفریط فى شيء من ذلك . قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم

ويفعلون ما يؤمرون) وأن أول ما يتعلق بالرجل بين يدي الله تعالى زوجته وأولاده فيقولون يا ربنا خذ لنا حقنا من هذا الرجل فإنه لم يعطينا أمور ديننا ، وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم اه وقال بعض السلف الصالحين : من لم يحفظ أهله من تعدى حدود الله تعالى ، وخروجهم عن طاعته ، فهو ديوث فاسق آثم معذب . وفي الحديث الشريف « إني لغيور وما من امرئ لا يغار إلا وهو منكوس القلب »

باب

في ملازمة النساء وآدابها

للمرأة على زوجها حق الملامسة لها في كل أربعة أيام مرة إذا لم يكن فيه مانع من ضعف أو عجز ، ويأثم بتركها مدة طويلة بلا قرب منها ، حتى إنها تبين منه إذا حلف أن لا يقربها أربعة أشهر وهو ما يسمى إيلاء في الأحكام الفقهية ، فإذا انقضت أربعة أشهر بانتهائه ، ولا تعود إليه إلا بعقد جديد ، ومهر جديد ، وهو منصوص عليه في القرآن الكريم بقوله تعالى (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر) الآية وتتضرر المرأة لانقطاع الملامسة عنها مدة طويلة وفي كتب الأدب أن سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه بينما كان يعس ذات ليلة - أي يتفقد شئون رعيته سرا - سمع امرأة تقول :

لقد طال هذا الليل واسود جانبه وأرقني أن لا خليل ألاعبه
فوالله لولا الله لأرب غيره لززع من هذا السرير جوانبه
ولكن ربي والحياء يكفني وأكرم بعلي أن يوطأ مراكبه
فلما رجع الى منزله سأل عن زوجها فإذا هو غائب في الجهاد ، فدخل على ابنته حفصة زوج النبي ﷺ وقال لها: أي بنية كم تقدر أن تصبر المرأة عن زوجها ؟ فاستحيت وصرفت عنه وجهها ، فقال لها تقولن ، فقالت ستة أشهر. وفي رواية أربعة أشهر. فكتب الى صاحب الجيش أن يسرح من الغزو من مضت عليه هذه المدة اه وللرأة أن تشكو زوجها الى القاضي إذا لم بدن منها ولا مرة ، ويكلفه القاضي بالدنو منها ، بخلاف ما اذا دنا

منها ولو مرة واحدة فليس لها أن تشكوه ، وإنما يأثم هو بتركها بلا دنو منها إذا لم يكن فيه مانع يمنع ، ويستحب ملازمة الزوجة ليلة الجمعة ويومها ، ويبدأ أولاً قبل كشف العورة بالتسمية قائلاً بسم الله العلي العظيم ، اللهم إن قدرت أن تخرج من صلبى نسلاً فاجعله ذرية طيبة ، فإذا قارب الانزال يقول في نفسه من غير أن يحرك لسانه الحمد لله الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً ، ويغضى نفسه وأهله بثوب حتى لا ترى منه ولا يرى منها ، ولا يتجردان تجرد الحمار . قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما رأى منى ولا رأيت منه . تعنى رسول الله ﷺ وقت خلوته بها . ويقدم أولاً التلطف بالكلام والتقبيل ، ويصبر عليها بعد قضاء وطره منها حتى تقضى هى أيضاً وطرها فان لها ماء وشهوة كما للرجل ، ففى الحديث الشريف « إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتنحى حتى تقضى حاجتها كما يحب أن يقضى حاجته » - رواه ابن عدى عن طلق - ولا يستقبل القبلة حالة الملامسة ، ولا يكثر الكلام ففى الحديث الشريف « إذا جامع أحدكم أهله فلا يكثر الكلام ، فانه يورث الخرس (يعنى خرس الولد) ولا ينظر الى الفرج فانه يورث العمى » - رواه الديلمى عن أبى هريرة - ولا يجامعها فى أيام حيضها ولا بعد انقضائه قبل الاغتسال لأنه يحدث عاهة الجذام فى الولد ، ولا فى أيام نفاسها أيضاً ، ويحرم الجماع فى غير الفرج ، ويبول بعد الجماع ولو قطرة ، ويغسل بضعه حتى يأمن من بقاء شئ فيه ربما آذاه فيما بعد ، وللجماع كيفيات متعددة أحسنها وأنفعها مقابلة الوجه للوجه كما هو معلوم بين المتزوجين وتقول العرب : إذا اردت أن يصلب ولدك فاغضب زوجتك ثم قع عليها . وقالوا : أنجب النساء الفروك - أى المبغضة لزوجها كراهية منها فى الرجال - وذلك أن الرجل يغلبها على الغلبة فينتج عنه نجابة الولد .

باب

٥١

فى المجهوب والعنين والضعيف

إذا تزوجت امرأة برجل فوجده مجبوب آلة التناسل ، لها أن تبقى معه على تلك الحالة ، ولها أن ترفع أمرها الى القاضى ، فإذا رفعت فرق القاضى بينها وبينه

بالحال ، لأنه لا فائدة لها بهذه الزوجية ، ولها المهر تاما ، وعليها أن تعتمد احتياطا ولها نفقة العدة . فاذا وجدته عينا - أى لا يقدر على القرب منها - لها أن تبقى معه على تلك الحالة ، ولها أن ترفع أمرها إلى القاضى ، فاذا رفعت أمرها إلى القاضى أمهل زوجها سنة لتمر الفصول الأربعة فلعله ينتعش فى أحدها فيقوى على الدنو منها فاذا مضت السنة ولم تظهر منه قوة تمكنه من القرب منها فرق القاضى بينها وبينه ولها المهر تاما ، وعليها العدة احتياطا ، ولها نفقة العدة . واذا تزوجت يزوج فكان معها على أحسن حال ، ثم عرض له ما أقعده عن القيام بالملامسة لضعف أو كبر سن فليس لها أن ترفع أمرها إلى القاضى تطلب التفرقة بينه وبينها ، لأنه إن سبق أنه دنا منها ولو مرة فإن فيها الكفاية لبقاء الزوجية شرعا ، وإن كان الخصام والنزاع لا يزال مستعرا ومستمرا بينها وبين زوجها بسبب ضعفه عن متابعة ما كان قام به لاسيما إذا كانت شابة وهو متقدم فى السن . ومن أجل ذلك قلنا فيما سبق : إنه يلزم مراعاة السن بين الزوجين خيفة من أن يقع بينهما ما ينغص عيشهما بسبب عدم قدرته على اشباع نهمتها ، ومن اليم ما وقع فى بلدنا طرابلس الشام من حكايات العننين ، أن سبق أن تزوج عظيم من عظمائها بـسيدة من أسرة وجيهة فى بيروت ، وأقامت معه حتى مات من غير أن يشعر احدهما بينهما ، غير أن ذلك العظيم لم يرزق أولادا ، وبعد وفاته سنة ١٣٠١ (أو ٢) تبين أنها أقامت معه بكرا كاهى ، وتزوج رجل من التجار امرأة غنية ، وبعد ما أقام معها مدة تبين أنه عنين فطلقها أهلها منه ، وتزوجها آخر فرزقت منه أولادا عدة أكبرهم اليوم فى عشر الأربعين . وتزوج رجل من أهل العلم شابة جميلة من أسرة مشهورة ، فأقامت معه فوق عشر سنوات على ما هى عليه حتى اتضح منها لأمها أن زوجها عنين ، فراجع أهلها المحكمة وطلقوها منه ، ولكن وقعت بما كانت فيه ، حيث تزوجها آخر فظهر أنه عنين أيضا ، ولكن تحول حال أسرتها من الظهور والعلو الى الانحطاط والخنول اضطرها لأن تبقى معه ، خصوصا قد مات أبواها اللذان كانا سندها وعضديها ، فاستهدفت الى ضياع شبابها وزهرة حياتها ببقائها تحت عصمة نكاح ذلك الرجل حتى اليوم ، واللوم فى هذه الوقائع وأمثالها إنما يقع على الرجال لا شك ولا شبهة ، فانهم مع علمهم بما تقتضيه واجبات المعاشرة

الزوجية أغعضوا أعينهم عنها ، واستبقوا تلك الأزواج أسيرات في أيديهم ليمتعتوا بعشرتهن بقدر ما عندهم .

باب

٥٢

في تعدد الزوجات

هذه مسألة قام لها الكتاب وقعدوا ، وأرغوا وأزبدوا وأنجز باللوم على كل من يقول بتعدد الزوجات رياء منهم للنساء ونفاقا ، في حالة انهم لا يقومون بحقوق الزوجة الواحدة التي يدافعون عنها ، بل يأخذون الصاحبات والخليلات عليها حتى من الأجانب من غير داع لذلك ، حيث يهجرون الطيب المشروع ، ويعمدون الى الخبيث المكروه . وما قيامهم ذلك إلا لمعارضة قول الله تعالى ، وشرية رسوله ﷺ فيما أحله وعمل به ، على أن الله سبحانه وتعالى لم يوجبه إيجابا حتما ، بل قال (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم) فعلق أمر التعدد على العدل بينهن ، ومفهومه انه إذا لم يمكن العدل لم يجز التعدد ، لاسيما قد قال في آية اخرى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم - أي في الحب بينهن - فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) وجاء في الحديث الشريف وعيد من لا يعدل بين أزواجه حيث قال « من كانت له امرأتان فمال الى إحدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل » (اى مفلولج) - رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه واحمد بن حنبل - وتعدد الزوجات من المنافع الاجتماعية فقد كانت العرب تجتذب البعدها ، وتتألف الاعداء بالمصاهرة ، حتى يرجع المنافر مؤانسا ، والعدو مواليا . إذ النكاح سبب من اسباب الالفه لانه استحداث مواصلة ، وتمازج مناسبة ، يصدران عن رغبة واختيار وينعقدان على خير وإيثار . وقد اكثر العرب من الأزواج لذلك ، وهذا سر استكثار النبي ﷺ من الأزواج ، لا كما يقوله الكفرة الذين لا يكادون يفقهون حديثا . ومن أين للكفرة أن يفهموا سر قول نبي وعمله وهم محجربون بما ران على قلوبهم من ظلمات الكفر

بالله ، وظلمات البغض لدين الاسلام ؟! ظلمات بعضها فوق بعض . ومن يقل بوحدة
الزوجة ، مطلقا من غير قيد وشرط فيه شائبة من شوائب أو تلك الكفرة ، والملاحدين
وإن لم يكن منهم . وقد كان في بلدنا طرابلس الشام رجل صالح من بيت إمارة متزوجا
بأربع نساء ، وكان يعاملهن بالعدل في كل شيء ، فكان معه كالأخوات فيما بينهما
لم يسمع عنه أو عنهن أنه حدث بينهن خلاف أو نزاع أو شقاق مطلقا ، والمرأة
إنما تكره زوجها المتزوج بغيرها لما ترى منه من الميل الى ضررتها اكثر منها ، بل ربما
هجرها وأجحف بها كل الاجحاف ، ومن هنا يحصل النزاع وبلقي عن رجل من العوام
في مصر متزوج بزوجتين ، وأنه يعدل بينهما في المعاملة عدلا لا يحدث معه بينهما
أدنى خلاف . فالعدل مألوف محبوب يرضى به الحق والمبطل ، والظلم منفور منه
مكروه يأباه الحق والمبطل . وهذه أبيات لاعرابي متزوج بامراتين يقول فيها :

تزوجت اثنتين لفرط جهلي بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفا أنعم بين أكرم نعجتين
فصرت كمنعجة تضحي وتسمى تداول بين أخبث ذئبتين
رضا هذى يهيج سخط هذى فما أعرى من احدي السخطتين
والقى في المعيشة كل ضر كذلك الضر بين الضرتين
لهذى ليلة ولتلك أخرى عتاب دائم في الليلتين
فان أحبت أن تبقى كريما من الخيرات مملوء اليدين
فعش عزبا فان لم تستطعه فواحدة تكفي جحفلين

باب

٥٣

في حرمة المصاهرة

هذه مسألة مهمة من مسائل الدين ، يغفل الناس عنها ولا يلقون لها بالا . ولكن
الغفلة عنها وعدم المبالاة بها يعود على الناس بضرر معنوي كبير لا يمكن تلافيه ، وتحرير
الكلام عليها أن من مس امرأة أجنبية عنه - أي ليست زوجته - ولا يمن يحرم عليه

التزوج بها ، أو نظر إلى داخل فرجها بشهوة في الصورتين ، أو زنا بها فقد حرمت عليه أصولها وفروعها ، لاهي إذا لم تكن متزوجة . وكثير من بائعي أشياء التحف والزينة يقعون في ذلك ولا يشعرون ، وذلك أن المرأة تأتي عندهم لشراء جورب أو حذاء أو غير ذلك مما له علاقة باللبس ، فيأخذ صاحب المحل - أو خادمه - باحضار ما يلزم ويتولى هو بذاته إلباس ذلك لتلك المرأة ، ولا بد له من أن يمسه بلا حائل من يدها أو رجليها أو عضو آخر من جسمها ، والنساء في أكثر أحوالهن متبرجات كاسيات عاريات وخدمة محل التجارة شبان ، فيحصل لهم من ذلك التماس ابتباه في الحس الشهواني يسبب لهم الوقوع في الشبهات فربما تزوج واحد منهم بواحدة هي من اصول شدة أو فروعها وهو لا يعلم ولا عذر له في الجهل فيما يجب عليه معرفته من أحكام الدين ، فيكون زواجه فاسدا ، أو معاشرته لزوجته محرمة ، والناس غافلون عن ذلك بحكم الجهل الفاشي بالرغم من ادعاء العلم ، ومن لاط بغلام حرمت علي اللائط به أم الملوط به وبنته عند الائمة الأربعة بخلاف في الائم ، وعند الامام احمد بن حنبل في البنت ، ووجه تحريم الأم بالواط بولدها كونها محل لولادته فلا فرق في الحرمة بين الانثى والذكر .

باب

٥٤

في الطلاق

الطلاق هو رفع القيد الثابت شرعا بالنكاح ، وقد اتفقت الائمة الأربعة والتابعون لهم بخير وإحسان على أن الطلاق مكروه في حال استقامة الزوجين . بل قال الامام الأعظم أبو حنيفة رضى الله عنه بتحريمه في إحدى الروايات عنه ، واتفقوا ايضا على تحريم الطلاق في الحيض للمدخول بها ، أو في طهر وجامعافيه ، مع عدم الخلاف في وقوعه . واتفقوا أيضا على حرمة جمع الطلقات الثلاث مرة واحدة ، مع الاتفاق على وقوعه بخلاف الخارجين عن التقيد بوجوب اتباع أحد المذاهب الأربعة ، أو المدعين للاجتهاد دعوى بغير دليل فانهم قالوا بعدم وقوع الطلاق الثلاث دفعة واحدة ، بل يقع طلاق واحد

خلافا لما عليه إجماع الأمة منذ خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ويدعون
 بسطاء العقول الى اتباع مذهبهم لتكثير أولاد الحرام ، خصوصا في وقت صار فيه
 الطلاق بالأنف لا بالثلاث فقط من أسهل شيء على الحق والسفهاء فعوضا عن ان
 ينزجروهم ويضيقوا عليهم بايقاعه عمدوا الى التخرص بعدم وقوعه ، والله لا قوا لهم سامع
 وعلى أفعالهم رقيب . والطلاق مع جوازه لضرورة بغض الى الله تعالى لما فيه من
 تفرق الأهل ، وتششت الشمل ، والأضرار بالنسل . ففي الحديث الشريف « تزوجوا
 ولا تطلقوا فان الطلاق يهترمه العرش » - رواه ابن عدي عن علي بن ابي طالب -
 وفي حديث آخر « أبغض الحلال الى الله الطلاق » - رواه ابو داود وابن ماجه
 والحاكم عن عبد الله بن عمر - ويكره للزوجة أن تطلب من زوجها أن يطلقها لغير
 ضرورة قطعية . فقد جاء في الحديث الشريف « إن المختلعات من المنافقات
 وحرمت الله ربح الجنة على امرأة سألت زوجها الطلاق » - رواه الطبراني عن عقبة بن
 عامر - وفي حديث آخر « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها
 رائحة الجنة » - رواه الامام احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان
 والحاكم عن ثوبان - وكفي بالمرأة خسة وضعة ، وسقوط أخلاق ، ونقص مروءة
 أن تطلب من زوجها أن يطلقها من أجل أنه لا يقوم بكفائها كما تريد من غير أن تنظر
 الى حاله ووضعته معها كانت وضعيتها وحالها تدعوها الى الاستكثار منه ، فان
 القصد من الزواج تنظيم امور الحياة واذا لم يكن بد من الطلاق فليكن تدريجا
 لعله يحل الوفاق بينهما بعد وقوع طلبة واحدة فتكون تأديبا لها وله ايضا ، فاذا
 استحسنت الشقاق وتعذر الوفاق بأن كانت امرأة سوء ، وعجز عن إصلاح حالها
 بالوعظ فاهجر فالضرب فالتحكيم ، فلأمانع من الطلاق ، وآخر الدواء الكي .
 ففي الحديث الشريف « ثلاثة يدعون الله تعالى فلا يستجيب لهم ، رجل كانت عنده
 امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه ، ورجل آتى سفيها
 ماله » وقد قال الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) - رواه الحاكم عن أبي موسى
 الأشعري - وعلى المتزوج أن يحفظ لسانه من الحلف مطلقا لاسيما بالطلاق ، مخافة أن يقع
 بما لا يخلص له منه ، ولا يجوز الاستحلاف به أيضا ، ففي الحديث الشريف « ما حلف

بالطلاق مؤمن ، ولا استخلف به إلا منافق » - رواه ابن عساكر عن أنس - وبعض النساء تتخذ الطلاق حرفة يحترفن بها لما يجرن وراءها من مغنم النفقة ، لاسيما وقتما كانت مدتها سنتين بدعوى أن أكثر مدة الحمل سنتان ، فكانت المرأة تطلق وتأخذ النفقة سنتين بدعوى أنها حبلى بعد من مطلقها ، ثم قر القرار في مصر على أن تكون مدة النفقة سنة واحدة فقط تخفيفاً على الرجال المظلومين ورحمة بهم ، ومن يدخل المحاكم الشرعية يجدها تعج بأنواع النساء ، ما بين مطلقات وطالبات نفقة والغالب عليهن أنهن يجدن من يأخذ بناصرهن ، ويرحم بكاهن وصياحهن فيحكم لهن بما يوافق طلبهن على أزواجهن الذين طلقوهن ، ويكثر في النساء المتزوجات بأكثر من زوجين ، وأكثرهن من نوع المطلقات لامن نوع مات عنهن أزواجهن واني أعرف كثيراً من اللاتي يترددن على زوجتي من ذوات صحبتها ومعرفتها كلهن من سبق لهن أن تزوجن مرتين أو أكثر ، ولقد ذكرت جريدة الاهرام بتاريخ (١٥) ربيع الثاني سنة ١٣٥١ و ١٧ اغسطس سنة ١٩٣٢ ان نسبة الطلاق في مصر اثنان وخمسون في المئة ، أى أن أكثر من نصف اهل مصر يقع منهم الطلاق ، وعدددهم من المسلمين فقط نحو خمسة عشر مليوناً ،

وقد ذكرت الاحصائيات الحكومية أنه حصل في ظرف سنة ١٩٣٠ ميلادية ١٣٤٩ هجرية ثمانية وعشرون ألفاً وسبعمائة وخمسة وسبعون عقد نكاح في كافة أنحاء القطر المصري ولكن حصل في مقابل ذلك خمسة عشر ألفاً ومئة وسبعة وستون طلاقاً لأسباب شتى ، وبعد مدد متفاوت ما بين سنة من دوام الحياة الزوجية الى خمس وعشرين سنة فما فوق كما هو مبين أدناه :

٦٠٨٤	طلاقاً بين من كانت مدة حياتهم الزوجية لم تطل أكثر من سنة
٥٦٩٥	طلاقاً بين من كانت مدة حياتهم الزوجية من سنة الى أربع سنوات
١٩٩٢	طلاقاً بين من كانت من خمس سنوات الى تسع سنوات
٠٧١٣	طلاقاً بين من كانت من عشر سنوات إلى أربع عشرة سنة
٠٢٥٢	طلاقاً بين من كانت من خمس عشرة سنة الى تسع عشرة سنة

٢١٨٠	طلاقا بين من كانت من عشرين الى أربع وعشرين سنة
٢١٣٠	طلاقا بين من كانت من خمس وعشرين سنة الى مافوقها
١٥١٦٧	

وأساباب هذه الطلاقات ترجع إما للزوج ، أو للزوجة ، أو لهما معا . أما الطلاق الحاصل بسبب الزوج فثمة :

٩١٦٠	طلاقا بسبب إهمال الزوج مصالح الزوجة
١٣٦٥	طلاقا بسبب سوء معاملته لزوجته
٩١٩٠	طلاقا بسبب إغساره وعدم قدرته على النفقة على زوجته
٦٨٩٠	طلاقا بسبب تزوجه على زوجته الأولى
١٢٩٩	طلاقا بسبب إدمان الزوج على المسكرات والمخدرات
٢١٢٠	طلاقا بسبب المقامرة
٥٤٠٠	

والطلاقات الحاصلة بسبب الزوجة :

٥٣٨١	طلاقا بسبب إهمال الزوجة مصالح زوجها .
٩٦٥٠	طلاقا بسبب سوء أخلاقها .
٨٤٨٠	طلاقا بسبب عقرها - أى عدم حصول الولد منها -
٥٠٩٤	طلاقا بسبب مرضها .
١٠٩٨	طلاقا بسبب عدم طاعتها لزوجها .
٥٨٤٠	طلاقا بسبب خيانتها لزوجها .
٨٥٧٠	

والطلاقات الحاصلة بسببهما معا :

١٥٥٩	طلاقا بسبب إهمال كل من الزوجين مصالح الآخر .
٣٨١٠	طلاقا بسبب الإخلال بالشروط من الطرفين .
٣٠٠٠	طلاقا بسبب النزاع والخلاف بينهما .

١٠٤. طلاقات بسبب كراهية أحدهما للآخر

٥٠٩. طلاقات بسبب عدم الموافقة والامتزاج .

٩٢٣. طلاقا بسبب سوء المعاشرة .

١٤١. طلاقا لاسباب شتى .

١٥١٦٧. الجملة

باب

٥٥

في النفقة

تجب النفقة للزوجة على زوجها مادامت في قيد نكاحه ، وتحت عصمة زواجه وفي مدة معينة بعد طلاقها ، وهي قدر ما تحيض وتطهر ثلاث مرات اذا كانت من أهل الحيض ، أو مدة أربعة أشهر وعشر ليال إذا لم تكن تحيض ، أو مدة حملها حتى تلد بحسب مقدرته وطاقته من نفسه ، أو بفرض المحكمة عليه فاذا ادعت المطلقة أنها حامل منه تصدق دعواها الى سنة من ابتداء تاريخ الحكم لها بالنفقة ، وقد كانت تصدق الى سنتين بحجة أنها أ كثر مدة الحمل في المذهب الحنفى المعمول به في المحاكم الشرعية في البلاد العثمانية وما انفصل عنها ، واذا كانت المطلقة كاذبة في دعواها الحمل تأثم بأخذها النفقة المفروضة لها ، لانها تكون محتالة خائنة . وقد جرت العادة في بعض المحاكم أنها تحلف المطلقة المدعية للحمل في كل شهر ، ولكن كثيرا من المطلقات يتجرأن على الله تعالى ويحلفن أنهن حاملات وماهن بحاملات ، ولكنهن كذابات ، وعلى رهن حسابهن .

باب

٥٦

في الاحداد أو الحداد

الاحداد بوزن الامداد أو الحداد بوزن المداد ، هو ترك الزينة والطيب والكحل ، ولبس الجديد لكل امرأة طلقت طلاقا باتا ، أو مات عنها زوجها مدة حيضها إذا كانت من ذوات الحيض ، وكانت مطلقة ، أو أربعة أشهر قمرية وعشر ليال إذا كان مات عنها ، سواء أ كانت من ذوات الحيض أولا . هذا حق من حقوق الزوج عليها بعد طلاقه لها ، أو موته عنها ، لما فاتها من نعمة الزواج الذي كان سببا لصونها وكفاية مؤنتها ولو كان فراقها بطلبها فيما إذا طلقت ، أو كانت تذكره وتتمنى موته وتفرح به قال رسول الله ﷺ « المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ، ولا الممشق ، ولا الحلى ، ولا تختضب ، ولا تكتحل » - رواه الامام احمد وأبو داود والنسائي - فاذا مات لها من هو غير زوجها لا يجوز لها أن تحد عليه أكثر من ثلاثة أيام فقط . قال رسول الله ﷺ لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام ، إلا على زوج فانها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا » (أي عشريال) - رواه الستة - وتعتد المطلقة والميت عنها زوجها في البيت الذي حصل فيه الطلاق أو الموت ، ولا تخرج منه إلا لحاجة ضرورية كأن ينهدم ، أو تتم مدة إجارته ، أو يخرجها ورثة الميت . والقصد من إلزامها المحل الذي وقع فيه ما يوجب العدة حفظها وصيانتها ليعلم هل هي حامل أولا ، دفعا للشبهة عنها ، فيما لو اعتدت حيث أرادت ، ولصيانة النسب أن يدخله من ليس منه

فصل في الأرملة

هي المرأة المطلقة ، أو الميت عنها زوجها الى أن تتزوج بآخر ، والرجل أرملا كذلك . قال جرير المتوفى سنة ١١٠ من قصيدة :

هذي الأرملة قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الأرملة الذكر ولما كان فقد المرأة زوجها بطلاق أو موت ، أمرا فجميعا لما فيه من فوات

نعمة الزوجية ، وما يتفرع عليها من الخير المتواصل مادة ومعنى مدح الشرع الشريف الاسلامی الاثرمة الصابرة على ما أصابها من فقد تلك النعمة ، كما جاء في الحديث الشريف « الاثرمة الصالحة سميت في السماء شهيدة » - وفي حديث آخر « اتقوا الله في الضعيفين المرأة الاثرمة والصبي اليتيم » - رواه البيهقي عن أنس - والترمذ للمرأة كاليتيم للأطفال من حيث أن وقعه أليم ، إلا أن اليتيم يرجى له أن يتزعر ويكبر ويخرج عن طوق اليتيم ، والاثرمة قد تبقى على ترملها ، وكلما تقدمت بها الأيام قلت فيها الرغبة ، فهي من هذه الجهة أشد حالة من اليتيم . فلذلك جاء الحديث الشريف بما لها من ثواب .

باب

٥٧

في موت الزوجة والتعزية بها

موت الزوجة من أعظم الشدائد التي تنزل بالزوج ، لاسيما اذا كان له أولاد صغار منها ، لما يترتب على موته من تبدل نظام المعيشة ، وطرز الادارة ، والنظر الى الأولاد بنظر من فقد ركنا قويا كان يأوى اليه في الشدة والرخاء ، حيث أن الولد اذا رأى أو أصابه ما يكره قال بطبيعته يا أمي ، لأنها أقرب إليه ، وأعطف عليه ، وحينئذ يضطر والدهم أما الى استخدام الخدم لتربيتهم وليس في تربية الخدم شرف ولا آداب ، وإما الى أن يتزوج بزوجة لترعاهم برعايتها ، وتعطف عليهم باعتبار أنها بحسب الظاهر أهمهم وبالحقيقة رابتهن ومؤدبتهن ، ولكن من يضمن له أن تكون تلك امرأة شريفة رقيقة القلب ، ذاعطف وشفقة ، تنظر لأولئك الأيتام نظرة العطف والحنان ، ومن كانت بهذه الصفات من الرابات قليل ، فهذه الاعتبارات يكون موت الزوجة من المصائب الفادحة التي تنزل بالرجل وأولادها منه ، ولا ينبغي مثل خير . كما أن موت الزوج كسر لظهر الزوجة ، وفقد في عضد الأولاد ، لاسيما اذا كان الزوج فقيرا ليس له إلا ما كان يكتسبه بسعيه وجده من قوته بعرق جبينه على ضوء صحته وعافيته ، فاذا مات انقطع ذلك المورد الذي كانت الزوجة والأولاد

يخترفون منه بالشكر أو بالكفر، وأصبحت الأولاد في أشد الحالات، ولا سيما أن الرحمة قد نزلت من القلوب، وفقد العطف والشفقة من القريب والبعيد، فرحمك الله بمن هذه حالتهم، لا تفجعهم بموت كآسبهم رحمة منك بهم، يا كريم يا رب العالمين يا الله والتعزية لمن أصابته مصيبة مطلقا سواء أكانت مونا أو غيره سنة، وحدها ثلاثة أيام لمن كان حاضرا، والعلم بها لمن كان غائبا متى ما علم، ولا تكرر لما في تكرارها من التذكير بالمصيبة، وتجديد الحزن بسببها. وهي حمل المصاب على الصبر بوعده الأجر من الله تعالى لمن صبر، والدعاء للبيت أو للمصاب بما فيه العفو والمغفرة، والرحمة للمتوفى، وحسن التعويض للمصاب عن إصابته وفائدتها تهوين المصيبة على المعزى، وتسليته عنها، وحضه على التزام الصبر، واحتساب الأجر والرضا بالقضاء، والتسليم لأمر الله العزيز الحكيم. ويقال في التعزية بوفاة الزوجة: بلغنى مضى كبيرة البيت، وقرينة الخير، فقاسمتك الهم، والقلق الجم. وتصورت ما ورد عليك من وحشة فراقها بعد تطاول الصحبة، فلا تنس ما أجمع عليه أهل الحكم من أن تقديم الحرم من النعم، وستر العورات من الحسنات. وأحسن من هذا اتباع ما ورد في الشرع من جمل التعزية كأن يقول: إن الله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، وفيه خلف عن كل أحد ودرك لكل رغبة، ونجاة من كل مخافة، وعزاء عن كل مصيبة، غفر الله لميتك وتجاوز عنه، وتغمده برحمته، ورزقك الصبر على مصيبتك، وأجرك على موتك. وهذه الجمل من كلام النبي ﷺ وفيها البلاغ والكفاية. وإنما يعزى الصابرون (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) لا الذين يكثرون الصياح، ويتفننون في النواح ويشقون الشياح، ويضربون الصدور، ويدعون بالويل والثبور، ثم يصبرون وإنما الصبر عند الصدمة الأولى. وفي النساء أوفياء لرجالهن، مراعات لحقوقهم في حياتهم ومماتهم كما تقدم في غير هذا الفصل، كما أن في الرجال من يفنون لأزواجهم من بعد وفاتهن، ويدكرونهن بالخير، ويترحمون عليهن، ويتصدقون بالصدقات المادية والمعنوية على أزواجهن، وإن كانوا من أهل العلم والأدب ذكروهن في

مؤلفاتهم ، ورثوهم بأشعارهم تخليداً لذكرهن ، واعترافاً بقدر سابق صحبتهن لهم :
 وهاك بعضاً من ذلك

باب

٥٨

في رثاء الأزواج لزوجاتهم

قال عبد السلام بن رغبان المشهور بديك الجن الحمصي المتوفى سنة ٢٣٥ من قصيدة يرثي بها امرأته :

قل لمن كان وجهها كضياء الـ شمس في حسنه وبدر منير
 كنت زين الاحياء اذ كنت فيهم ولقد صرت زين أهل القبور
 بأني أنت في الحياة وفي المـو ت وتحت الثرى ويوم النشور
 وقال فيها أيضاً :

أشفقت أن يرد الزمان بغدرها أو أبطلت بعد الوصال بهجرها
 عهدي بها ميتاً كما أحسن نائم والحسن يسفح عبرتي في نحرها
 لو أنها تدري بماذا بعدها بالحى حل بكت له في قبرها
 وقال مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني المتوفى سنة ٢٠٨ يرثي زوجته
 من قصيدة :

دعاني وإفراط البكاء فأنسي أرى اليوم فيه غير ماتريان
 غدت والثرى أولى بها من وليها إلى منزل ناء بعينك داني
 فلا حزن حتى تنزف العين ماءها وتعترف الأحشاء للخفقان
 وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها وسهماهما في القلب يعتلجان
 وقال محمد بن عبد الملك الزيات المتوفى سنة ٢٣٣ من قصيدة يرثي بها زوجته :
 يقول لى الخلان لو زرت قبرها فقلت وهل غير الفؤاد لها قبر
 علي حين لم أحدث فاجهل فقدتها وهل أبلغ السن التي معها الصبر
 وقال يرثيها أيضاً ويذكر حال ابنه بعدها :

ألا من رأى الطفل المفارق أمه بعيد الكري عيناه تنسكبان
 رأى كل أم وابنها غير أمه يبيتان تحت الليل ينتجيان
 وبات وحيدا في الفراش تجنه بلابل قلب دائم الخفقان
 فلا تلحياني إن بكيت فأنما أداوى بهذا الدمع ماتريان
 فهبني عزمت الصبر عنها لأنني جليل فنه بالصبر لابن ثمان
 ضعيف القوى لا يطلب الأجر حسبه ولا يأتسى بالناس في الحدثنان
 فلم أر كالأقدار كيف تصيني ولا مثل هذا الدهر كيف رمانى
 أعيني إن لم تسعدا اليوم عبرتي فبئس اذا مافى غد تعدان

قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : وما يقول ابن الزيات وقد ماتت زوجته
 الأولى والثانية وكتاهما بنت ثلاثين سنة ، وقد تركت لى الأولى بنتا عمرها ثمان
 سنوات ، وابنا عمره ست سنوات ، وتركت لى الثانية بنتا عمرها سبعة أشهر ، ليس
 مصابي بهما أشد من مصابه بزوجته !!

ما من عظيم راح يحذره الفقي إلا وعند الله أعظم منه

وقال الشريف الرضى المتوفى سنة ٤٠٦ :

على أى غرس آمن الدهر بعدما رمى فادح الأيام فى الغصن الرطب
 ذوى قبل أن تنوي الغصون وعهده قريب بأيام الديلة (١) والخصب
 كفى أسفا للقلب ما عشت أني بكفى على عيني حثوت من الترب
 جرت خطرة منها وفى القلب عطشة رفعت لها رأسى عن البارد العذب
 وقلت لجفنى رد دمعاً على دم وللقلب عالج قرح ندب على ندب
 وما يطيب النفس بعدك أني على قرب من ماء وردك أو قرب
 خلا منك طرفي وامتلا منك خاطري كأنك من عيني نقلت الى قلبي

وقال الطغرائى المتوفى سنة ٥١٤ :

أعني جودا بالدماء وأسعدا فقد جل قدر الرزء عن عبرة تجرى

بنفسي من غايت فيها بمهجتي وجاهي وما حازت يداي من الوفر
فكانت كما شاء المنى واشتهى الهوى كما لا ونبلًا في عفاف وفي ستر
فنافسني المقدر فيها فلم يدع سوى مقلة مطروفة ويد صفر
وما كنت أرجو أن يكون اجتماعنا قصير المدى ثم البعاد مدى العمر
فما لي كما يامقلتي وللكرى ونور كما قد غاب في ظلمة القبر
ويا صبر زل عني ذميا وخلني ولوعة وجدى والدموع التي تجري
فما هي إلا نعمة الله لم تدم على لعجزي عن قيامي بالشكر
وقال :

يا بؤس منفرد عمن يضاجعه مشرد النوم بين الأهل والمال
يزيد حر حشاه برد مضجعه ويملا القلب شجوا ربه الخالي
يبكى ويندب طول الليل أجمعه فلا يقر ولا يهدأ على حال
وقال معلى الطائي يرثي امرأته واسمها وصف :

ياموت كيف سلبتني وصفا قد متهوا وتركتني خلفا
هلا ذهب بنا معا فلقد ظفرت يدك فسمتني خسفا
وأخذت شق النفس من بدني فقبرته وتركت لي النصفا
هلا رحمت شباب غانية ربا العظام وشعرها الوحفا
ورحمت عيني ظيية جعلت بين الرياض تناظر الخسفا
خليتني فردا ورحت بها ما كنت قبلك حاملا وكفا
أسكنتها في قعر مظلمة بيتا يصافح تربه السففا
ياقبر أبقي على محاسنها فلقد حويت البر والظرفا

وقال الأستاذ محمد افندي الأزهري المحامي في مصر يرثي زوجته من قصيدة :

عليك سلام الله ما غبت زينب فما كان عهدي أن يطول التغيب
لقد كنت مملوء الفؤاد بأنسا ولم أدر أن البين يوما يشعب
تعجلها ريب المنون على الصبا وليس لها ما قضى الله مهرب
فضائلها شتى ومن كان مثلها يعز علينا أن تموت ويصعب

سقى قبرها صوب من المزن واكف ويرحمها الرحمن ما ضاء كوكب
وقال (مؤلف هذا الكتاب) يرثي زوجته قدسية بنت الشيخ جمال الدين القاوقجي :

عيوني لا تحف من البكاء وقلبي لا يكف عن العناء
وحزني لا يخف برغم صبري ومن لي بالتصبر والعزاء
ولم أحزن على أحد كحزني على قدسية امرأتي الضياء
لقد ماتت فهدت صرح صبري وكان ممرداً على البناء
فقدت حياتها أهسى فتاة وما أن جاوزت حد الفتاة
تمر بي السنون وإن حزني عليها دائم دون انقضاء
وزاد تحسري أبداً عليها مصابي بالحميدة في النساء
فأضحي مؤنسى عنى بعيدا كبعد الأرض من أفق السماء
عليها رحمة الرحمن تترى وجاد ضريحها صوب الرضاء

وقال فيها أيضا

يا طول حزني ويا شتاتي من بعد قدسية الفتاة
كنت بها في هناء عيش من غير بأس ولا شكاة
لم أدر ما قدرها الي أن عاجلها الله بالوفاة
فبدلت حالتي بعكس أحاط من سائر الجهات
ضائق على الحياة حتى كأنني لست في الحياة

وقال يرثي زوجته حميدة ويذكر زوجته المتوفاة قبلها رشيدة :

سلام على ذات الكمال حميدة ورحمة رب فضله ليس يحسم
سلام عليها بل وألف تحية على قبرها كالغيث بهمي وبسجم
أحن إليها كل وقت وساعة حيننا به قلبي الشجي محطم
لئن غاب عن عيني محبوب شكلها فقلبي به تلك الحقيقة ترسم
إلى قبرها أسعى لألثم ترابه ويسقى ثراه من دموعي عندهم
أكل امريء أواه يفقد زوجه حزين كحزني با كياتالم

ومن قبلها ماتت كما هي زوجة فتية عمر مثل در ينظم
 وكتاهما دون الثلاثين حجة كأنهما في الدين والخلق مريم
 فأسكنهما ربي بفضلك جنة بها كل شخص صالح يتنعم
 ونولهما يارب عفوا ورحمة فغفوك ياربى أجل وأعظم

باب

٥٩

فى تقدير المرأة العربية قدر زوجها ورثائها له
 قالت امرأة من العرب غاب عنها زوجها فلم تقف له على خبر :

طاف يبغي نجوة (١) من هلاك فهلك

ليت شعري ضلة (٢) أى شيء قتلك

أمريض لم تعد أم عدو ختك (٣)

أم تولى بك ما غالى في الدهر السلك (٤)

والمنايا رصد للفتى حيث سلك

أى شيء حسن لفتى لم يك لك

كل شيء قاتل حين تلقى أجلك

طالما قد نلت فى غير كد أملك

إن أمراً فادحا عن جوايى شغلك

سأعزى النفس إذ لم تحب من سالك

ليت قلبى ساعة صبره عنك ملك

ليت نفسى قدمت للمنايا بذلك

رحم الله هذه المرأة الطيبة التى تعرف لزوجها حقه ، وتقدره قدره . وأين منها

(١) نجوة خلاصا (٢) ضلة بفتح الضاد حيرة (٣) ختك خدعك (٤) السلك

بوزن عمر فرخ القطا أو الحجل تعنى هل عدا عليك من هو أقوى منك فأسرك .

فسأواني هذا الزمان ؟! وكم قد سمعنا عن نساء كثيرة خن أزواجهن أو قتلنهم ، أو
استبدلن بهم غيرهم . والكلمة المحفوظة على رأس لسان المرأة اذا خالفها زوجها أدنى
مخالفة : ما رأيت منك في طول عمرى خيراً !!

وقالت لبانة بنت ربيعة بن علي ترثي زوجها (من أبيات) ولم يكن دخل بها :

أبكي على سيد فجعت به أرملنى قبل ليلة العرس

أبكيه لا للنعيم والأنس بل للعالي والرمح والفرس

وقالت اعراية ترثي زوجها :

كننا كغصنين في جرثومة بسقا حيناً على خير ماتمى به الشجر

حتى اذا قيل قد طالت فروعهما وطاب قنواهما واستمطر الثمر

أخنى على واحد ريب الزمان وما يبقى الزمان على شيء ولا يذر

وقال الأصمعي : دخلت بعض المقابر ، فاذا بامرأة عليها من الحلى والحلل

مالم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة وصوت شجي وتقول :

يا صاحب القبر يامن كان ينعم بي بالا ويكثر في الدنيا مواساتي

قد زرت قبرك في حل وفي حلل كأننى لست من أهل المصيبات

أردت آتيك فيما كنت أعرفه أن قد تسر به من بعض هياتي

فن رأني رأى عبرى موهمة عجيبة الزى تبكى بين أموات

قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : وهكذا فعلت باخوتي على أثر وفاة والدى رحمه الله

فقد زينتهم وخرجت بهم لزيارة قبره في صبح أول يوم عيد مر على وفاته ، حتى

يراهم فيسربهم وهوميت ، كما كان يسربهم وهو حي . ولم أعبأ بقول الناس فيما قالوه .

وهكذا فعلت بولدي في زيارتي لأمهما ، حيث توفيت وتركتهما يتيمين صغيرين

لا سرها برؤيتهما متزينين غير حزينين .

باب

٦٠

لمن الزوجة فى الآخرة

من تزوج بامرأة لم يسبق لها أن تزوجت بغيره قبله وماتت وهى تحت عصمة نكاحه أو مطلقة منه ، أو مات عنها ولسكنها لم تزوج بعده بغيره ، فهى زوجته فى الآخرة قولاً واحداً ، فإن كانت متزوجة بغيره من قبله أو تزوجت بعده بغيره فلن هى فى الآخرة ؟ خلاف بين العلماء فى الحديث « المرأة لآخر أزواجها فى الجنة » - رواه الطبرانى عن أبي الدرداء والخطيب عن عائشة - وفى حديث آخر « ليس من امرأة أطاعت ربها وأدت حق زوجها وتذكر حسنه ولا تخونه فى نفسها وماله إلا كان بينها وبين الشهداء درجة واحدة فى الجنة ، فإن كان زوجها مؤمناً حسن الخلق فهى زوجته فى الجنة ، وإلا زوجها الله من الشهداء » وفى هذا الحديث إطلاق عام يشمل من كانت فى الدنيا ذات زوج واحد ، أو ذات عدة أزواج . إذ العمدة فيه على حسن أخلاقه ومعاملته لها وصلاح الزوج مفيد فى الآخرة لزوجته حيث تكون معه فى درجته وإن لم تكن بدرجة تقواه وصلاحه فى الدنيا ، بدليل قوله تعالى (أتم وأزواجكم تحبرون) وقد كان رجل يقرأ فى القرآن حتى بلغ هذه الآية فقال : اللهم لا تفعل ، اللهم لا تفعل ، اللهم باعد بينى وبينها فى الدنيا والآخرة ، وأخذ يتهل ويتضرع الى الله تعالى . فلما رآته زوجته بهذه الحالة - وكانت امرأة سوء - قالت له : ماذا أصابك ؟ فقال لها إن الله تعالى يقول فى قرآنه الكريم إنكم تنعمون فى الجنة أتم ومعكم أزواجكم ، فأنا أدعو الله تعالى أن لا يكون ذلك بينى وبينك فى الجنة حيث يكفينى ما أقاسيه منك فى دار الدنيا ، فنجلت وإنكسفت وقالت : لا تدع ربك وقد تبنت مما كنت عليه .

باب

٦١

في الرابة

الرابة بوزن دابة هي الزوجة التي لزوجها ولد أو أولاد من غيرها ، وسميت رابة لأنها تربيتهم وتقوم عليهم كما تقوم الام على أولادها ، وأكثر ما تكون مطلقة أو ميتة عنها زوجها من قبل ، وقد تكون متقدمة في السن في الغالب ، وذات ولد في الاغلب . ومن القليل أن تكون شابة ليست بذات ولد ، فان تزوجت بزواج له أولاد من زوجة أخرى فان كان تزوجه بها لتطليقه من قبلها ففي غالب الأحوال لا تكون الحياة بينها وبينهم حياة هدوء وسكون ، لما يحدث في الأولاد من معاكسة رابيتهم بما توسوس إليهم المهم المطلقة بالذات أو بالواسطة ، إلا أن يكونوا كبارا يعرفون أن يميزوا بين ما ينفعهم وما يضرهم ، وإن كان تزوجه بها لموت زوجته من قبلها ففي غالب الأحوال تكون الحياة بينها وبينهم حياة هادئة ساكنة ، لا يعتريها ما يشوه وجهها نظراً لأن الأولاد مكسور ظهريهم بسبب وفاة أمهم ، لاسيما إذا كانوا صغاراً لا يعرفونها حق المعرفة فانهم يرون أن رابيتهم هي أمهم حقيقة فيحترمونها ويهابونها ، ويراعونها ، كما ينبغي ، وإن كانوا كباراً فانهم أيضاً يراعونها مادامت تراعيهم ، ويودونها مادامت تودهم ، إلا إذا رأوا منها تجاوزاً عليهم وامتهاناً لهم فينتد يناصبونها العداوة ، حيث يرونها حالة محل أمهم ، ومستولية على كل شيء كان لها وربما منعهم من إبداء ما تكن صدورهم من جهتها ما يرونها من تحيز أبيهم إلى جهتها وعطفه بزيادة عليها . وعلى كل حال فان الرابة في أكثر الأحوال تسيء معاملة أولاد زوجها كيفما كانوا صغاراً أو كباراً ، لاسيما إذا كانت شريرة في حد نفسها ، فاسدة في طبعها ، أجازنا الله من أمثالها وأشكالها . وفي الرابات من تتسلط على زوجها وأولاده فتسليمهم سوء العذاب ، وتستبد بهم ، وتعاملهم معاملة قاسية من إهانة وتحقير ، وتعريه وتجويع ، وغير ذلك مما لا يطاق معه الصبر والتحمل . والرجل في ذلك الحال ضعيف أو مستضعف لا يقدر أن يدفع عنه ولا عن أولاده شرها وضرها ، وتزداد عليه عتوا

وقسوة فتمنعه أن ينظر الى أولاده ، أو يكلمهم ، أو يواكلهم ، أو يشاربهم ، وأن يأتهم بشيء . يتحفظ بهم منها كان قليلا تافها . وتغضب وتستخط اذا ذكر أحداً منهم بشيء . أما ما ليستعطفها عليه ، فيرى منها كل شدة وغلظة ، ولكن لتعلم من كانت هذه الحال حالها مع أطفال لزوجها استرعاها إياهم أن الله سبحانه وتعالى يغار عليهم فيأخذهم بحقهم منها ، ويرى عاقبة سوء فعلها ، فانه حكم عدل لا يضيع لأحد مثقال ذرة من عمله خيراً كان أو شراً ، وكل شيء عنده بمقدار (وقد فعل) وفي ذكر هذه الحكاية الآتية أكبر عظة لكل ظالمة لا تؤمن بيوم الحساب :

(عبرة مؤثرة لكل ربة متسلطة متجبرة)

حدثني صاحب لى أثق بصدق مقاله ، لما أعرف من صلاح أفعاله ، وحسن أحواله ، أنه كان متزوجاً بـ زوجة من أسرة طيبة ، وأقام معها نيفاً وعشر سنين بهناء وراحة بال ، وكان طالع زواجه بها سعداً عليه ، وقد ولدت له عدة أولاد مات منهم من مات ، وبقي من بقي . ثم اقتضت إرادة الله تعالى أن تموت تلك الزوجة الموافقة الهادئة رحمة الله تعالى عليها . وأن يضطر الى التزوج بعدها بغيرها لتقوم مقام المتوفاة بأمور البيت ، ورؤية مصالح من فيه . ولكن القضاء والقدر شاء أن لا تكون صالحة موافقة مريحة له من التعب ، فأخذ يقاسى منها كل شدة وضيق مارأى عشر معشاره من زوجته المتوفاة ، وامتد شرها الى أولاده الأيتام ، فكانت تضغط عليه وعليهم ضغطاً يمنعهم من تنسم نسيم الراحة والهدوء ، وكان كلما وعظها وحذرهما وزجرهما وذكرها تزداد عتوا وقسوة وفجوراً وشروراً ، كأنه يطفى النار بالحطب اليابس . وحار في أمره معها حيث لم ينفع معها وعظ ولا تذكير . ولا هجر ولا ضرب ، فعمد الى أهلها ليستنجد بهم لينصفوه منها فكان كما المستجير من الرمضاء بالنار ولم يكن في إمكانه تطليقها حيث حصل له منها نسل أشفق عليه أن يبقى في حضانتها الى نهاية المدة التي يستحق أخذها عندها ، كما أنه ليس باستطاعته أن يقوم بما تفرضه عليه المحاكم من النفقة لها ولنسلها ، وأكثر ما تراعى المحاكم جهة المرأة لاسيما أن شهداء

الزور كثير يشهدون من غير أن يعلموا بيسر الزوج واستطاعته بأكثر مما يستطيع فصبر ولجأ الى الله تعالى يدعوه ويستغيث به أن يجعل له من أمره وأمر أهله فرجا ومخرجا ، فكان يصلى وفى كل صلاة يقنت داعيا أن يصلحها الله أو يحتاجها ، وطال عليه الأمر وهى لا تزدد إلا شدة وقسوة حتى كاد ييأس من روح الله تعالى لولا أن تداركه الله بالعناية فابتلاها بمرض حار معه نطس الأطباء ، وعذبها به فى حياتها حتى ماتت غير مأسوف عليها ، تاركة له يتيمين منها ، فأصبح أبا أيتام عدة ولكن كان موتها أسهل وأخف عليه من يتم ولديه منها نظرا لما قاساه من عنتها وشدتها وبذاءة لسانها وقبح أفعالها ، ففرح بموتها فرحا زائدا ، وشمته بها وإن يكن ليس فى الموت شماتة ، ولكن تظاهرها بالحزن والسكابة أمام أهلها ، وقام بغير اختياره بكل ما يلزم من تجهيزها وتكفينها ودفنها من عادات متبعة فى هذه البلاد ، ولكن فى قلبه غير ما يظهر حيث كان يتردد على قبرها فى كل خميس وجمعة لأنه فى ذنك اليومين يكشف لليتين فيرون زائرهم ويقول لها من غير سلام عليها : إيه يا زوجتى السليطة الشريرة ، قولى لى هل وجدت ما وعدك به ربى حقا من العذاب والسخط ، حيث كنت تسيئين لى وأنا زوجك الذى له عليك الحقوق الجمة ، هل لقيت جزاء سوء عملك ومعاملتك لأولادى من غيرك ، لاشك عندى أنك لقيت ذلك كله ، فان الله حكم عدل لا بد أن يجزى المحسن بالاحسان ، والمسيء بالعذاب ، لاسيما أن حقوق العباد لا يغفرها الله تعالى إلا بأدائها أو التسامح بها ، ولكننى لا أسأحك بالاصالة عن نفسى ، والنيابة عن أولادى حتى أرى فى المنام ما فعل الله بك ، وبعد مدة رآها فى المنام بأقبح ما يرى ميت ، وقد جاءت تبكى وتتضرع ليعفو عنها ، ويسأحها لشدة ما تلاقيه من العذاب ، فاستيقظ وقد رثا لحالها وما أصابها فساأها ، وأسقط حقه وحق أيتامه عنها ، وقال ياربى هذا فيما يتعلق بى ، وأما من جهة حقوقك عليها وقد كانت مقصورة فيها كل التقصير فأنت وفضلك أو عدلك ، لك الأمر لا احتكام عليك . ثم إنه رآها مرة ثانية فكانت بحالة حسنة هاشة باشة وقالت له : جزاك الله عنى خيرا يا زوجى . ثم قال لى ومن مؤثر ما أحكيه لك أنها بعد ماتت وانقضت ضجة العزاء بانتهاء ما يعمل للأموات ، جاءت بنتى من زوجتى الأولى وهى فى السنة الثالثة عشرة من سن

حياتها تبسكى وتتوقع على يدي قبلها وتقول لى : أرجوك يا أبى أن لا تزوج بعدها
لئلا تأتيننا بما ما تظلم أخوى ذين ، كما كانت أمهما تظلمنا ، وأنا أقوم بخدمة أخوى
وتربيتهم ولا يكن لك فكر من جهتهما ، فطبيت خاطرهما وقبلتها وقلت لها لا والله
يابنتى ما عدت أتزوج ولا أحدث نفسى به ، ولو عرضت على الحور العين لشدة
مالاقيت من (ماما) فكونى مطمئنة مرتاحة يابنتى الله يبارك بك وبأخوتك ، ويرحم
أمك ويعفو عن (ماما) (لقب الرابة بلغة الاطفال) ثم إن بنتي قامت بخدمة إخوتها
لاسيا من (ماما) أحسن القيام ، وكانت تعطف عليهم أحسن عطف وتحبهم أصدق
حب ، وتقدمهم على إخوتها الاثني عشر لها ، وهذا أمر عجيب وسر غريب بالنسبة لما كانت
من قبل تعاملها به رابتها (زوجة أبيها) وأبلغ من هذا أنها لما بلغت ست عشرة سنة
جاءها طالب فعرضت عليها الا مرفقالت كلا يا أبى لا أتزوج وأتركك وما عندك من
يتفقد أمورك وأمور إخوتى وهم صغار بعد ، عندى وقت بعد طويل للزواج فاني مازلت
صغيرة ، ولما بلغت العشرين كان إخوتها كبروا وأمكن أن يروا أمورهم بنفسهم ، فجاءها
طالب أحسن من الطالب الذى جاءها بالمرّة الاولى من كل جهة يرغب بها ، فتزوجها
فكانت معه وكان معها على أحسن ما تكون عليه الا زواج والزوجات يركة
حسن نيتها وطيب قلبها ، هذا مع أنها ما كانت تغفل تفقد إخوتها يوما ، وكان زوجها
عونالها على تفقدهم أيضا ، وهذه حالها حتى يومنا هذا . نسأل الله تعالى دوام الستر علينا
بمنه وكرمه اه فاذا تقول الرابات الظالمات لا ولاد أزواجهن ، المتطاولات بالتسلط
على أزواجهن فى هذه القصة الواقعية الحقيقية ، هل يعتبرن ويتعظن بها فيرجعن عن
ظلمهن وعتوهن ، أم ينتظرن أن يحل بهن مثل ما حل بتلك الرابة الظالمة لنفسها
بالحقيقة أكثر من ظلمها لزوجها وأولاده ؟

وليكن هذا آخر الكتاب بعون الله العلي الأعلى الوهاب والحمد لله الذى
بنعمته تم الصالحات ونسأل الله دوام الستر والعافية فى الحياة وبعد الممات .

ترجمة حال مؤلف الكتاب محمد كمال الدين الأدهمي

هو أبو عبد الرحيم وأمة الرحيم ودرية هبة الكريم الحاج محمد كمال الدين بن الحاج محمد بن الحاج عبد القادر بن الحاج علي صهر اسحاق منلا افندي شيخ الاسلام في عهد الدولة العثمانية ابن أبي الفضل محمد نقيب أشراف طرابلس الشام وخطيب مسجد ها الجامع الكبير المنصوري ابن احمد مفتي الديار المصرية ونقيب أشرافها ابن صالح بن منصور نقيب أشراف ايالتى بيروت وصيدا ابن محمد بن عمرو قاضي طرابلس الشام ونقيب أشرافها بن عبد الحفي بن محمود بدر الدين الحسيني الأدهمي وزير الملك المعظم ارغون شاه ملك مصر وأمير طرابلس الشام نيابة عنه وناظر مسجده الجامع الذي أنشأه غربي طرابلس الشام المشهور بجامع أرغون شاه (والعوام يقولون الغنشا) كما هو مسطر في وقفيته الشرعية المنقوشة فوق باب ذلك الجامع حيث فيها التصريح بالعهد بنظارته (للحسيب النسيب السيد محمود بدر الدين الحسيني الأدهمي) وتراجم بني الأدهمي مذكورة في تاريخي لبنان ودمشق وفي خلاصة الاثر للبحر المتوفى سنة ١١١١ وسلك الدرر للهرادي المتوفى سنة ١٤٢٦ وفي الرحلة النابلسية للشيخ عبد الغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣ والمشهور بأن نسبهم ينتهي للسيد السبط الحسين بن الامام علي ابن أبي طالب من زوجته الطاهرة فاطمة الزهراء بنت سيد العالمين محمد صلى الله عليه وسلم وعمود النسب الأدهمي المتصلة رجاله من المؤلف للسيد الحسين بن علي وكتاب وقف الأخوين احمد ومحمد ابني صالح بن منصور الأدهمي (والاول مفتي الديار المصرية والثاني مفتي الديار الحلبية) والبراءات السلطانية والوثائق الشرعية تؤكد صحة انتساب الاسرة الأدهمية للحضرة الحسينية العلوية حقق الله ذلك.

ولد المؤلف (محمد كمال الدين) في منزل والده بسوق العطارين في محلة المهاترة بطرابلس الشام في أحد شهرى جمادى سنة ١٢٩٦ هـ وسنة ١٨٧٨ م وهو اليوم وقد مضى نصف سنة ١٣٥٣ حتى يرزق في عشر الستين بحمد الله تعالى على نعمه ما ظهر منها وما بطن .

ونشأ في بلاده طرابلس الشام وفيها تعلم أكثر ما تعلمه من علوم وفنون حيث قرأ القرآن على والده المرحوم الحاج محمد الأدهمي المتوفى سنة ١٣٢٠ جزاه الله تعالى عنه خيراً وتعلم الخط على الشيخ عبد القادر الحداد المشهور بالأشبه المتوفى سنة ١٣١٩ في مدرسته التي هي في حارة الشهدا ثم دخل مدارس الحكومة العثمانية من ابتدائية ورشدية وإعدادية فتعلم فيها اللغات التركية والفرنسية والفارسية مع العربية والعلوم والفنون التي تدرس فيها ثم انصرف لتحصيل العلوم العقلية والشرعية والأدبية آخذاً من كل علم أحسنه بقدر ما أمكنه حتى حصل منه على ما هو مزية عند الأوام وزينة بين الأنام وميزة بين الخاص والعام وكاد يكون الأستاذ الفاضل الجليل أبو المعالي الشيخ عبد الكريم العالم الأزهرى الطرابلسي ابن التاجر الكبير الحاج محمد عويضة أستاذه الوحيد في تعلم ما تعلمه واستفادة ما استفاده منه حسبة لوجه الله تعالى من غير أجر إلا ما كان من حمد أو شكر أو دعاء له بحسن الخاتمة عند نهاية العمر أحياءه الله الحياة الطيبة وأعاد على متعلميه من عوائد بر كاته الصيبة ومن مشايخه الذين قرأ عليهم واستفاد منهم كثيراً وقليلاعمه العالم الفاضل الأديب الحاج عبد القادر الأدهمي المتوفى سنة ١٣٢٥ والعالم الفاضل الجليل الشيخ عبد اللطيف نشابة المتوفى سنة ١٣٥١ والعالم الفاضل النبيل عبد المجيد أفندي المغربي المتوفى سنة ١٣٥٣ والعلامة الدكتور أستاذ الفها مئتان الشيخ عبد الباقي البشاوري الأفغاني السائح المشهور المتوفى سنة ١٣٢٠ والشيخ عبد الله البشاوري الأفغاني رئيس العلماء في البصرة المتوفى سنة ١٣٣٥ وسليل بيت المجد اسماعيل حقي أفندي المغربي قاضي تعز والحديدة والبصرة وغيرها المتوفى سنة ١٣٣٠ (وهو زوج أخت المؤلف) والشيخ عبد القادر ابن الشيخ عبد الغنى الرافعي المتوفى سنة ١٢٣٦ والشيخ محمد الشهبال المتوفى سنة ١٣٢٠ والشيخ أبو النهي بن الشيخ محمد أبي المحاسن القاوقجي المتوفى سنة ١٣٥٣ والشيخ بدر الدين بن الشيخ عبد الرزاق الرافعي وهو حي اليوم وسمع دروس كثير من العلماء والفضلاء في مختلف الجهات والبلاد كبير وت والشام وحمص وحماة والبصرة والحجاز وأدرنة وإستانبول ومصر في سياحاته التي ساعها منذ ١٣٢١ حتى استقر في مصر سنة ١٣٤٤ ثم دخل في سلك التعليم في مدارس الحكومة العثمانية أولاً في مدرسة بانياس الابتدائية ثم المدرسة التهذيبية في ميناء طرابلس الشام ثم عين مديراً (ناظراً) لمدرسة البصرة الرشدية ثم لمدرسة

نصيين في ولاية ديار بكر ومعان في الشام ثم معلماً للعلوم الدينية واللغة العربية في مدرسة طرابلس الشام الاعدادية ثم معلماً لآداب اللغة العربية في المدارس السلطانية في أدرنه ثم في استانبول وهي مدرسة استانبول ومدرسة اسكدار ومدرسة قاضي كوي ومدرسة الوفا. وفي مدارس دار الخلافة باستانبول وقام بوظيفة الخطابة في جامع السلطان محمد الفاتح (وهو أول من خطب بالتركية باستانبول فيه وفي غيره من الجوامع) وقام بعضويات بعض اللجان (انجمن) في وزارة المعارف حتى كان ما كان من تبدل شكل الدولة العثمانية وقيام الحكومة التركية فقلبت ظهر المجن لمن كانوا مستخدمين عندها من رعيته العرب فهاجر منها الى مصر سنة ١٣٤٤هـ وسنة ١٩٢٥م ولم يزل مقيماً فيها حتى يومنا هذا يعمل بيده على ضوء بصره مستمداً من زيت علمه المودع في مشكاة قلبه فيكسب ما يقوت به عياله وأولاده منقلباً مع الريحين زرع ورخاء متقلباً في الحالين يؤس ونعماء ولا عيب في ذلك ولا غضاضة إذ

لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله

وذلك بسبب أن مؤهلاته العلمية ومكتسباته الأدبية ليست كافية في نظر وزارة المعارف المصرية وإدارة المعاهد الأزهرية لأن يكون في عمل يقوم به كما كان قائماً به في بلاد الدولة العثمانية وذلك بسبب اختلاف الجنسية وتباين نظم البلاد ولكل قوم هاد مؤلفاته - وله جملة من المؤلفات في علوم شتى لم يطبع منها غير خمسة وهي لوامع الاسعاد في جوامع الاعداد وتخمين لامية ابن الوردي وكتاب التذكير في المرجع والمصير وكتاب الفوائد الكمالية في المنافع الدينية والدينية وكتاب مرآة النساء (وهو هذا)

وأما غير المطبوع منها فهو

- (٦) مراسم العبودية لمراحم الربوبية (٧) حثيث جيد العالمين الى حديث سيد العالمين ﷺ
- (٨) القول الحق في علم حديث خير الخلق ﷺ (٩) ردالكذب المقول على لسان
- حضرة الرسول ﷺ (١٠) تقريب الأذهان من فهم معاني القرآن (١١) حسن المثابة الى فضائل الصحابة (١٢) منبر الاجادة والاصابة في جامع الخطب والخطابة (١٣) خيرة
- الهام الأملعي في سيرة الامام الشافعي (١٤) الروض النضر في الكلام على الخضر

(١٥) الشفقة الأبوية على العلقمة النبوية (١٦) صاحب بالجنب فيما رائده العين ومريده القلب (١٧) صرف اللسان إلى نحو بديع المعاني والبيان (١٨) معين الأدب ومعين من كتب وشعر وخطب (١٩) حياض الفوائد في رياض القواعد (٢٠) المشوى في المشترك اللفظي والمعنوى (٢١) اللحظ السكيل في الحظ القليل (٢٢) سلامة المآل في عقيدة الكمال (٢٣) عنوان الفضل وترجمان لسان الأدب والنبيل (ديوان شعر) (٢٤) كمال الكلام في كلام الكمال (مجموعة نثر) (٢٥) سخيمة الاندحار في جريمة الانتحار (٢٦) جامعة الأعلام من كل من له ميزة أو مزية بين الأنام (٢٧) الجمع الوافي للقوافي (٢٨) إبراز لطائف الانغاز (٢٩) التنويه في محاسن المراجعة والتوجيه (٣٠) الأسفار عن ماجريات الأسفار (رحلة منظومة) (٣١) جامعة اللطائف من تالذ الآداب والطرائف (أرجوزة أدبية) (٣٢) ثمرات التجاريب في كل قول مصيب (٣٣) ميوه خوشك في العرب والترك (٣٤) خرج الزمان فيما زان وشان (٣٥) الابتيار والابتهار في سواد الليل وبياض النهار وهذه المؤلفات نتيجة ما تعلمه واستفاده وإن يكن لم يستفد من مطبوعها فائدة بحسن السكوت عليها إلا بقاء الذكر وحصول الثواب والاجر (إن شاء الله تعالى) فان المتصدى إلى التأليف في هذا الزمان عرضة للمشقات والشدائد إلا اذا كان له معضد من شهرة أو مسند من قوة مال لا يبالي معها أراج كتابه أوبار وما عدا ذلك فان الكتاب لا يروج إلا أن يكون لمؤلف قديم العهد أو كان مقررأ في المدارس الرسمية أو كان من الكتب المنافية للجد وأصحاب المكاتب والمطابع لا يأخذون بناصر من ألفت كتابا ليستفيد منه على وهم أن يتماذى به الحال فيزاحمهم على عملهم وعدو كل إنسان من يعمل بعمله ولولا أن الله تعالى يسرلى هذا الرجل الطيب السريرة الحسن السيرة محب الخير والمعين عليه محمود افندى على صبيح صاحب المكتبة المحمودية بساحة الجامع الأزهر فأعاد طبع لوامع الاسعاد وتخمس لامية ابن الوردى وقام بطبع كتابى هذا (مرآة النساء) ووعدنى بطبع غيره من مؤلفاتي حسب التدريج والاقضاء لما كان ظهر من كتبي هذه شىء فى عالم المطبوعات لضعف الحال وقلة ذات اليد فجزم الله عني خيرا وقد تبين أنه المعنى بقولى قبل أن أعرفه بعشر سنين وذلك فيما

كتبته على كتابي لوامع الاسعاد وقت سنة ١٣٤٣ :

يا كتابي لو استطعت طبعتك ولنفع الأنام بالرخص بعتك
غير أني كما علمت مقل ليس في الوسع أن تراني أذعكت
فاتنظر مثلما رفاقك أمسوا بانتظار وإن أكن أوجعتك
فبكرهي ورغم أنفي مني أن تراني على الرفوف رفعتك
غير إنني جمعت شملك معهم فتأمل لا تحسبني أضعتك
وعسى أن يهيء (ابن حلال) لك بالطبع حين يأتيه نعتك
فتكون انتشرت والنفع أضحى من كلينا نفعتني ونفعتك

فقد تبين أن محمود علي صبيح هو ابن الحلال الذي قصده في قولي من قبل أن أعرفه حين كنت في استانبول وهو في مصر شكر الله سعيه على أنني وإن فاتني ربحها لم يفتني ربحها بل لي في الدنيا ذكرها وفي الآخرة أجرها والآخرة خير وأبقى ففي الحديث الشريف «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له بخير» وحسبي الله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

يقول مصححه عفا الله عنه : تم بحمد الله وعونه طبع كتاب مرآة النساء فيما حسن منهن وساء لمؤلفه الفاضل صاحب الترجمة وكان ذلك في أوائل شهر رجب الفرد سنة ١٣٥٣ الموافق شهر أكتوبر سنة ١٩٣٤ بالمطبعة المحمودية الكائن مركز إدارتها بالساحة الأزهرية في مصر الحمية

﴿ فهرست الكتاب وما اشتمل عليه من الفصول والأبواب ﴾

صحيفة

- ٢٩ عناية الاسلام بشأن المرأة
 ٣٢ باب في ذكر ما جاء من ذم النساء
 والأمر بمعاملتهم بالشدة والجفاء
 .. كون النساء شهوة
 ٣٣ كون عقولهن ناقصة
 ٣٤ عجزهن عن القيام بأمورهن
 .. كون إحصانهن من غيرهن
 .. نسبة حصول المنكرات لهن
 ٣٥ إذاعتهم للأسرار
 ٣٦ خيانتهم لأزواجهن
 .. كيدهن
 ٣٨ قوة الشهوة فيهن
 .. الوقاحة والافتراء
 .. المكر والدهاء
 ٣٩ باب فيما جاء من الأحاديث في
 ذم النساء
 ٤٢ باب فيما جاء من ذم النساء عن الحكاء
 ٤٦ جوامع أعدادها بزم النساء اعتداد
 ٤٨ أقوال الأفرنج في ذم النساء
 ٤٩ باب في ذم المرأة من حيث أنها
 زوجة حمقاء جاهلة الخ
 ٥٠ باب في بيان ما تدل عليه مادة النساء
 ٥٢ باب في كراهية العرب للنساء
 وما لذلك من سبب واقتضاء
 ٥٤ باب في أن النساء سبب المفساد
 والفتن في كل مكان وزمن

- ٢ خطبة الكتاب وفيها بيان ما اشتمل
 عليه وما يدعو اليه
 ٦ باب في ذكر بعض ما ورد في مدح
 النساء والأمر بالرفق بهن والاعتناء
 ٩ فصل في معنى أحاديث الرفق بالنساء
 ١٠ أقوال الأدباء في مدح النساء
 ١١ باب في مدح النساء من حيث أنهن
 أناث وللحياة من أنفع الأناث
 ١٢ أقوال الشعراء والأدباء في البنات
 ١٥ باب في مدح المرأة من حيث أنها
 زوجة عاقلة وربة بيت فاضلة
 ١٧ المرأة الصالحة الموافقة
 ١٨ باب في مدح المرأة من حيث الحمل
 والولادة وما تجرى فيه بذلك العادة
 ٢٠ فوائد لتسهيل الولادة
 ٢٢ فصل في الحبل والعقر والعقم
 والاجهاض والحيض
 ٢٣ فوائد للحبل وحفظ الجنين من
 السقوط
 ٢٤ باب في حسن المرأة وجهها وأدبها
 وكالها
 ٢٥ تفصيل جمال النساء
 ٢٦ ترتيب سن المرأة
 ٢٧ مباراة الجمال بين الفتيات
 .. ذكر جوامع أعداد لها بمدح النساء
 اعتداد

صفحة	صفحة
٧٤ السيدة عائشة النبوية بنت جعفر الصادق - الحنساء	٥٥ فصل في كثرة النساء وقلة الرجال
٧٥ بكاره الهلالية - الحرة بنت النعمان	٥٦ باب في ذكر ما في النساء من طبائع بعض الأشياء
٧٦ رابعة العدوية - شيرين -	.. معرفة عمر المرأة من الطعام الذي ترغب فيه
٧٨ فاطمة بنت عبد الملك - الخيزران	٥٧ باب في ابتلاء الأخيار بالنساء الإشرار
٧٩ أم هارون الرشيد	٥٩ صورة شكوى منهن لعالم السر والنجوى
٨٠ السيدة زبيدة	.. آيات يشكوها قائلها زوجته الى الله تعالى
٨٠ عليّة بنت المهدي - بوران	٦٠ قصيدة لقائلها يتبرم فيها من زوجته
٨١ قطر الندى	٦١ آيات رجل مرضت امرأته فانت
٨٢ ولادة - شجرة الدر	.. آياته على أثر موتها
٨٣ عائشة الباعونية	٦٢ حكاية النداب المصري الذي ماتت زوجته
٨٤ عائشة التيمورية - السيدة قدسية	٦٣ ثواب الصبر على سوء حال الزوجين لكل منهما
٨٦ حميدة احمد فهمي	.. باب في عزة الكمال في النساء دون الرجال وفيه ترجمة حال ٢٨ امرأة
٨٩ نداء الى إخواننا النساء	٦٥ آسية بنت مزاحم - مريم ابنة عمران
٩١ باب في مباينة النساء للرجال في كثير من الأحوال	٦٦ آمنة بنت وهب - خديجة بنت خويلد
٩٢ معاملة الافرنج للنساء	٦٨ عائشة الصديقة
٩٣ كلمة حق من بعضهن	٦٩ فاطمة الزهراء
.. مباينة المرأة للرجل بحسب علم التشريح	٧٠ السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب
٩٤ مباينة المرأة للرجل من حيث علم النفس	٧١ السيدة سكينة بنت الحسين -
٩٥ مباينة المرأة للرجل من حيث الطباع	.. تنبيه لقمويه
٩٧ مباينة المرأة للرجل من حيث الشرع	٧٢ السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين
.. تفصيل ما أجمل من أحكام النساء	٧٣ السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد
١٠١ باب في جماعات النساء وما يدور بينهن من أحاديث وأبناء	
١٠٣ كلام النساء عن أزواجهن	
١٠٥ باب في أمثال النساء	
١٠٧ باب في النساء وأحكام الله من	

الاقطار

- ١٢٥ البعثات النسائية لاوروبا
 ١٢٦ الرد على الشيخ محمد عنارة
 ١٢٨ غض الاُبصار وحفظ الفروج
 ١٢٩ لزوم الاحتجاب من الاعمى
 والمحبوب
 ١٣٠ ماهو الخير في حق المرأة
 ١٣١ الحجاب والسفور
 — فوائد الحجاب
 ١٣٢ استهجان الاجانب للسفور
 (حديث مخبر جريدة معر جل انكليزي)
 ١٣٣ دفاع النساء عن السفور - الرخصة فيه
 ١٣٤ عجوز يحب عجوزة
 — أبيات الشيخ محي الدين الملاح
 في السفور
 ١٣٥ قصيدة عبد الحميد افندي الرافي
 في الحجاب
 ١٣٦ حكمة وجوب الحجاب (فصل
 نفيس من فصول الرسالة الحميدية)
 ١٣٧ تخصيص الاُما كن للزواني
 ١٣٨ اختلاط النساء بالرجال وما في
 ذلك من الضرر والوبال
 — المحترفات بالفحش في فرنسا
 ١٣٩ أعمال كاترين والاتحاديين
 ... أحوال شبان جزيرة صقلية وشواهبها
 ١٤٠ أحاديث في التحذير من اختلاط
 النساء بالرجال
 ١٤١ صون الدين بمجانبة النساء
 ١٤٢ التبرج والترجل

أوامر ونواه

- ١٠٧ النساء وحظهن من العلم بالدين
 ١٠٨ النساء والتربية والتعليم
 ١٠٩ أقوال العقلاء بما يجب على النساء
 ١١٠ التعليم المدرسى ومتعلوه
 — ما يلزم تعليمه للنساء وما لا يلزم
 ١١١ النساء ورغبتهن بآلات اللهو والغناء
 ١١٢ رجال المسارح ونسائهما
 — الاُحاديث الواردة في النهي عن
 الغناء وآلات اللهو
 ١١٣ أقوال العقلاء في التنفير من الغناء
 ١١٤ فائدة الغناء وضرب الاُوتار
 ومضارهما
 ١١٥ النساء وتدير أمور المنزل
 ... عاقبة أولاد المتقين والفاسقين
 ١١٦ النساء وملازمة البيوت
 ١١٧ كثرة الثياب مضرّة بالنساء
 ١١٨ إثم خروج المرأة من بيتها
 ١١٩ حكاية الميت والدها
 ١٢٠ النساء وسكنى الغرف
 — معاملة الصحابة للنساء
 — النساء وحضور الجمعة والجماعات
 ١٢١ حكاية الزبير مع امرأته
 ١٢٢ النساء واتباع الجنائز
 ١٢٣ السر في منع الزيارة
 — النساء ودخول الحمامات
 ١٢٤ مفاصد دخول الحمامات
 — النساء والأسفار حتي لاُشرف

١٤٣ قص الشعور من نقص الشعور

١٤٤ تقصير السراويل - اللباسات -

فعل قلبى المروءات

... النساء وما قال عنهن يوسف بن

محمد البلوي في زمانه سنة ٦٠٠

١٤٥ آباء البنات حيال بناتهم اليوم

١٤٦ باب في أن غاية أمر المرأة الزواج

وإن هناه بما يكون منها من نتاج

١٤٧ كيف يلزم أن يكون الزوج

... حكاية همام بن مرة مع بناته الثلاث

١٤٨ حسرة المرأة في عدم زواجها

وقول قسمونة الأندلسية في ذلك

... فوائد الأولاد وتأثيرهم في تقوية

روابط الزوجية

١٤٩ باب في الزوج والعزوبة وما

فيها من مرارة وعذوبة

... خوف النمر من الديك

١٥٠ فوائد النكاح

١٥١ فضيلة النكاح وأقوال من ذمه وكرهه

١٥٣ ذكر من هجا أباه وسب أمه

١٥٤ أقوال مؤلف الكتاب في الزواج

١٥٦ الأحاديث الواردة في النكاح

١٥٧ الفرق بين وفيات العزاب

والمتزوجين

١٥٨ باب المهر معجلا ومؤجلا

١٥٩ ما يلزم من العناية في الزوج والتزويج

١٦٠ وجوب اختيار الزوجة الموافقة

١٦١ الغفلة في خطبة البنات

١٦٢ قصيدة جمال الدين الملاح في عاقبة

الخطبة المغشوشة

١٦٣ نقص وسائط الخطبة

١٦٤ باب فيما تحبه النساء من

أزواجهن وما يكرهنه

١٦٤ القتاء والغنى أصل الألفة بين

الزوجين

١٦٥ الشيب والافلاس عدو المرأة

١٦٦ نعمت المرأة زوجة خدش

... حكاية الصيف ضيعت اللبن

١٦٧ سخرية الشباب المصطنع

... البخر وعلاجه

... حكاية من كرهت زوجها

فوقعت بشرمته

١٦٩ الخنساء وردها لخطبة دريد ابن

الصمة

... طلبات بعض البنات

١٧٠ حساب الوفاق بين الزوجين

وخرافته

١٧١ تعرض النساء للزواج وفعل

العرب في هذا الخصوص

١٧٢ باب في التزوج من الغرائب

١٧٤ باب في التزوج من غير المسلمات

١٧٥ باب في بناء صرح الزواج على

قواعد الحب

١٧٦ أقوال الافرنج بالزواج عن حب

١٧٧ باب في تزويج المرأة نفسها

من غيرها

١٧٨ باب في خصائص النساء

- ٢٠٠ باب في حقوق الزوجة على زوجها
... وصية النبي ﷺ بالنساء
٢٠١ فضل الاحسان للنساء والاؤلاذ
٢٠٢ باب في مؤانسة الزوجة وملاعبتها
٢٠٣ باب في القسم بين الازواج
٢٠٤ باب في محبة الزوجين وعداوتهم
٢٠٥ كيفية الهناء بين الزوجين
٢٠٦ ماهية الحب بين الزوجين
٢٠٧ باب في حكايات عن محبة النساء
لازواجهن ووفائهن لهم
٢٠٩ باب في تأديب الرجل امرأته
٢١١ باب في مسؤولية الرجل عن أهل بيته
٢١٢ باب في ملازمة النساء وآدابها
٢١٣ باب في المحبوب والعين والضعيف
٢١٤ حكاية المتزوجة بعينين
٢١٥ باب في تعدد الزوجات
٢١٦ باب في حرمة المصاهرة
٢١٧ باب في الطلاق
٢١٩ نسبة الطلاق في مصر
٢٢١ باب في النفقة
٢٢٢ باب في الاحداد
... فصل في الأرملة
٢٢٣ باب في موت الزوجة والتعزية بها
٢٢٥ باب في رثاء الازواج لزوجاتهم
٢٢٩ باب في تقدير المرأة العربية قدر
زوجها ورثائاله
٢٣١ باب لمن الزوجة في الآخرة
٢٣٢ باب في الرابة

- ١٧٩ باب في الثيبات والأبكار
١٨٠ سبب ترجيح الثيب على البكر
١٨١ وصف كل من الثيب والبكر
للحريري
١٨٢ معنى البكر والثيب والأرمل
والأيم والأعزب
١٨٣ باب وصايا العرب لمن يزوجون
١٨٤ باب في التهنئة بالزواج وأحسن
عبارات التهناني
١٨٥ وليمة العرس . أنواع المظاعم
وأسمائها
١٨٦ العرس والعروس والعريس
أسماء الزوجة
١٨٧ باب في أن الرجل سيد زوجته
وليست هي سته
١٨٨ باب في يمن المرأة وشؤمها
١٨٩ باب في طاعة الزوج وعصيانه
وشكره وكفرانه
١٩٠ مقام الزوج من زوجته والزوجة
من زوجها
١٩١ إخلاص المرأة اليابانية لزوجها
١٩٢ تصرف الزوجة وأحكامها
١٩٣ باب في إطاعة الرجال للنساء
١٩٤ حكاية صاحب الدعوات الثلاث
١٩٥ باب في ذكر الحقوق المتبادلة
بين الزوجين
١٩٦ باب في حقوق الزوج على زوجته
١٩٩ باب في خدمة الزوجة لزوجها

٢٣٦ ترجمة مؤلف الكتاب

٢٤١ فهرست الكتاب

٢٣٣ عبرة مؤثرة لكل رابة متجربة

وهي خاتمة الكتاب

— فهرست ما في هذا الكتاب من الأعلام —

— أعلام الذكور —

(حرف الهمزة)

- | | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| أحمد بن طولون ٨١ | آدم عليه السلام ٥٤ - ٧٥ - ١٦٥ |
| أحمد فهمي ٨٦ | الآلوسي (المفسر) ٣٩ - ١٢٦ |
| أحمد بن القاص ٢١٠ | الآلوسي (محمودشكري) ١٤٢ - ١٧٢ |
| أحمد أبو النصر ٨٥ | ابراهيم عليه السلام ٥٧ - ١٥٧ |
| اختيار الدين الحسيني ١٨١ | ابراهيم (ابن رسول الله) ١٩ - ٦٧ |
| إدريس عليه السلام ٦٥ | ابرويز ٧٦ |
| أرسطو ٤٨ | الابشيهي (صاحب المستطرف) ٤٣ |
| ثمة زوب ٤٨ | ١٤٨ - ٢٠٧ |
| أسامة بن زيد ٤٠ | إبليس ٣٧ - ٤٠ - ٤١ |
| اسحاق منلا افندي ٢٣٦ | الاتحاديون ١٣٩ |
| اسماعيل باشا خدوم مصر ٨٦ | الأتراك ٤٣ - ١٣٢ - ١٥٩ - ١٧٧ |
| اسماعيل افندي المغربي ٢٣٧ | أحمد باشا تيمور ٨٤ |
| أشعب ٢٠٧ | الامام أحمد بن حنبل ٧ - ٨ - ١٠ |
| الأصمغ بن عبد العزيز ٧١ | ١٤ - ١٨ - ١٩ - ٢٧ - ٢٩ - ٤٠ - ٤١ |
| الأصمعي ١٦ - ١٦٠ - ١٧٨ - ٢٢٦ | ٥٥ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ١١٣ |
| الافرنج ٢٠٦ | ١٢٦ - ١٣٠ - ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٣ |
| أكثم بن صيفي ١٦٠ | ١٤٤ - ١٤٥ - ١٥١ - ١٥٩ - ١٨٥ |
| امروء القيس ١٨٣ | ١٨٨ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٤ |
| الشيخ امين الجندي ١٨٢ | ٢٠١ - ٢١٥ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢٢٢ |
| امين ناصر ١٣٤ - ١٥٥ | أحمد رفعت بك ٦٢ |
| الانباري ١٠١ | أحمد شوقي بك ١٣٤ - ١٧٥ |
| أنس بن مالك ٧ - ٨ - ١٠ - ١١ - ١٤ | أحمد بن صالح الأذهمي ٢٣٦ |

ابن العميد ١٠
 ابن قتيبة الدينوري ١٤ ، ٢٠ ، ٢٣
 ابن القرية ١٦ ، ١٨٤
 ابن ماجه ١١ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩
 ٢٨ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٢٢
 ١٢٦ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٩
 ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٨
 ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٨
 ابن منظور ١٧
 ابن النجار ١٢٦ ، ١٥٩
 ابن الوردي ٢٢٩ - (الكنى الابوية)
 أبو اذينة ١٩٠
 أبو الاسود الدؤلي ١٦٠
 أبو أمامة ١٥ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٦٤ ، ١٥٧ ، ٢٠١
 أبو برده ٦٩
 أبو بكر الصديق ٦٨ ، ١٠٨ ، ١٢٣
 ١٢٦ ، ١٩٩
 أبو بكرة ٤١
 أبو تمام ٣٧
 أبو حمزة ١٣
 الامام الاعظم أبو حنيفة ١٦ ، ١٣٤
 ١٨٥ ، ٢١٠ ، ٢١٧
 أبو داود السجستاني ٧ ، ٨٦ ، ١٢٦ ، ١٨٤
 ١٩ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ١١٣ ، ١٢٢
 ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٥٠
 ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٨٥ ، ١٩١
 ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢١٠
 ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٢
 أبو داود الطيالسي ١٩٨
 أبو الدرداء ١٨٤ ، ٢٣١

٢٧ ، ٤٠ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ١١٢
 ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٦
 ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٨٤ ، ١٩٠
 ١٩٩ ، ٢٢٣
 الانكليز ٤٨
 جريدة الاهرام ١٥٧ ، ٢١٩
 أيوب عليه السلام ٦٣ ، ٢١١
 (الأنباء)
 ابن أبي الدنيا ٢٨ ، ١١٣
 ابن أبي الزناد ١٦
 ابن أبي طالب الانصاري ٢٤ ، ١٧٨
 ابن أم مكتوم ١١٩
 ابن الاثير ١٤٢
 ابن إياش ٥٥
 ابن بسام ١٥٣
 ابن حبان ١١ ، ١٥ ، ١٩ ، ٣٦ ، ٤٧
 ١١٣ ، ١٩٠ ، ٢١٨
 ابن حجة الحموي ٥٤ ، ٨٣
 ابن خزيمة ٤٧
 ابن الرومي ٥٦
 ابن السني ٢١ ، ٢٠٢
 ابن الشبل البغدادي ١٥٦
 ابن عبد البر ٦٨
 ابن عبد ربه ٢٣ ، ٤١ ، ١٧٨ ، ١٨٢
 ابن عدى ٨ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٦٤ ، ١٠١ ، ١١٥
 ١١٨ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٩٠ ، ٢١٣
 ٢١٨
 ابن عساكر ٨٦ ، ١٤٤ ، ١٩٦ ، ٢٨٤
 ٣٩ ، ٤١ ، ١١٢ ، ١٨٨ ، ١٩٠
 ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢١٩

الامام البخاري ٨ - ١١ - ٢٨ - ٤٠

٤١ - ٤٢ - ٥٥ - ٦٤ - ٦٥ - ٨٣ - ١٣٠

١٤٠ - ١٤٣ - ١٤٥ - ١٥٠ - ١٥٩

١٨٨ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٤ - ١٩٩ - ٢٠١

٢١٠

الشيخ بدر الرافي ٢٣٧

بديع الزمان الهمداني ١١٤

البراء ١٥٩

البزار ٨ - ٣٦ - ١٥٧ - ١٩٠

بزر ج مهر ١٤٦

بشر الحافي ١٥٢

بشار بن برد ٣٥

البغوي ١٩١

البلوي ٤٤ - ١٤٤ - ١٦٨

البهاء زهير ١١

بهز بن حكيم ٨

بيلقو ٤٨

البيهقي ٤ - ٧ - ١٤٨ - ٢٠ - ٢٧ - ٢٨

٣٩ - ٤١ - ٤٧ - ٦٣ - ٦٤ - ١١١ - ١١٣

١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٦ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٧

١٥٧ - ١٥٩ - ١٦١ - ١٩٠ - ١٩٣

٢١٠ - ٢٢٣

(حرف التاء)

الترمذي ٨ - ١٠ - ١٢ - ١٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢

٥١ - ٦٤ - ٦٥ - ١١٣ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٤٠

١٤٣ - ١٤٥ - ١٤٧ - ١٥٠ - ١٥٩ - ١٨٥

١٨٩ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٤ - ١٩٨ - ٢٠٣

٢١٠ - ٢١٨

جريدة تصوير أفكار ١٣٢

تقي الدين السروجي ٥٤ - ١٠٥

أبو داف العجلي ١٨٢

أبوزرع ١٠٣

أبو سعيد الخدري ١٢ - ٦٤ - ١١٣

١٢٦ - ١٩٨ - ٢٠٥

أبو سلمان الداراني ١٥٢

أبو الشمقمق ١٦٥

أبو الشيخ بن حبان ٤ - ١١ - ١٩٠

١٨٨ - ٢٠١

أبو الشيص ٤٦

أبو الضحى ٦٩

أبو العلاء المعري ١٤١ - ١٥٣

أبو الفتح البستي ١٥٣

أبو الفرج الاصبهاني ٢٥ - ٥٣ - ١١٣

١٦٩ - ٢٠٧

أبو الليث السمرقندي ٢١١

أبو مالك الاشعري ١٥٢ - ٢٠٦

أبو مليكة ٥٣

أبو موسى الاشعري ٤١ - ٤٩ - ٥٥

٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٩ - ١١٢ - ١٤٣ - ٢١٨

أبو نعيم ٢٤ - ٤٠ - ١٤١ - ١٨٩

الشيخ أبو النهي القواقبي ٢٣٧

أبو هريرة ١٠ - ١٤ - ١٦ - ١٨ - ٢٧

٢٨ - ٣٦ - ٦٨ - ١٢٦ - ١٣٠ - ١٤٢

١٤٧ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠

١٨٥ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩٤ - ٢١٣

أبو يعلى ١١٥ - ١٢٢ - ١٥١ - ١٥٧

١٥٨ - ١٨٥

(حرف الباء)

الباعوني ٨٣

البيضا ١٤

الحجاج ١٦، ٤٢٠، ١٧٨٠

الحريرى ١٦، ١٨١٠

الحسن البصري ٣٩، ١٥٢٠

الحسن والحسين ٦٦، ٧٠٠

الحسن بن زيد ٧٣

الحسن السبط ٦٣، ١٤٧٠، ١٦٠٠، ١٦١٠، ١٩٤٠

الحسن بن سفيان ١٩

الحسن بن سهل ٨٠، ٨١٠

الحسن المثني ٧٠، ٧٢

حسن محمد قاسم ٧١

الشيخ حسين الجسر ٦٦، ١٣٦

الحسين السبط ٦٤، ٧١٠، ٧٢٠، ٧٣٠

١٤١، ٧٤

حطان بن معلى ١٢

الخطيئة (جرو) ١١٣، ١١٣٠

الحكيم الترمذى ١١٢، ١٤١٠

﴿حرف الحاء﴾

خالد بن صفوان ١٥٣

خداش بن حابس ١٦٦

الخرائطى ١٢١

خسرو (كسرى) ٧٦

الخضر عليه السلام ٥، ٢٣٩

الخطيب البغدادي ٦٤، ١٨١، ١٤٤

١٥٧

خلاق الله ٨٥

خمارويه ٨١

﴿حرف الدال والذال﴾

الدارقطنى ١٤٤، ١٩٤

داود عليه السلام ١٦، ٤٢٠، ٥٥٠، ٦٤٠، ١٥٧٠

م - ٣٣ مرآة

تمام ٦٤

تيسم الدارى ١٩٨

الشيخ توفيق البكرى ١٠٩

﴿حرف الثاء﴾

الثعالبي ١٤، ٢٦، ٤٢٠

الثقفى ٤٠

ثوبان ٣٦، ٢١٨

﴿حرف الجيم﴾

جابر بن عبد الله ١٩، ٢٤٠، ٤٧٠، ٥٧٠، ١١٣٠

١٢٣، ١٣٠، ١٥٧، ١٧٩، ١٨٨٠، ٢٠٢٠، ٢٠٣٠

الجاحظ ٣٥، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥، ١٦٠

جبريل عليه السلام ١٢٣

جرو (الخطيئة) ٥٣

جيرير ٨٢، ٢٢٢

جعفر الصادق ٧٣، ٧٤

جعفر بن موسى ٧٩

الجلال السيوطى ٥، ٢١٠، ٤٤٠، ٥٧٠، ٢٠٢٠

الشيخ جمال الدين القاوقجي ٨٤، ٣٣

جمال الدين الملاح ١٦٢

جورجى هربرت ١٠٩

جيجه رون ١٥٣

﴿حرف الحاء﴾

الحارث بن عمرو ٥٣

الحارث بن هبولة ٥٣

الحاكم ٧٠، ٨٠، ١٠٠، ١٤٠، ١٧٠، ١٨٠، ١٩٠، ٢٧٠

١١١، ١٨٦، ٢٨٠، ٦٣٠، ٤٩٠، ٤٦٠، ٤١٠، ٣٦٠

١٤٧، ١٤٥، ١٤٤، ١٤١، ١٢٢، ١١٣

١٨٩، ١٩٠، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١٨

حبيب ١٥٨

الزهرى ٦٩

زيد بن ارقم ١٨٩ ، ١٩٨

زيد بن عمرو ٧١ ، ٢٠٧

زين العابدين بن علي ٧٣ ، ٧٤

(حرف السين)

سعدى الشيرازى ١٨٠

سعد بن مسعود ١٤١

سعد بن أبي وقاص ٧٥

سعيد بن مسلم ١٣٠

سعيد بن أبي هلال ١٥٠ ، ١٥٧

سفيان بن عيينه ١٠١

سقراط ٥٧ ، ٤٤

سليمان عليه السلام ١٦ ، ٥٥ ، ١٥٧

سليمان اعوان ٢٦

سليمان بن عبد الملك ٧١ ، ١١٣ ، ١١٤

٢٠٨ ، ٢٠٧

سليمان غزالة ٤٦

سليمان بن يسار ١٩٠

سن غره غوار ٤٨

سهل بن سعد ١٨٨ ، ١٩٤

(حرف الشين)

الامام الشافعى ٧٣ ، ١٣٤ ، ١٨٥

الشريشى ٢٠ ، ٢١

الشريف الرضى ٢٢٨

الشعبى ٢٠٢

شعيب عليه السلام ١٤

شكسبير ٤٨

الشهاب محمود ٥٤

شمس الدين الغريانى ٣٠

شونهور ٤٨

دريد بن الصمة ٧٤ ، ١٦١ ، ١٦٩

الدلال (الخنث) ١١٣

الدميرى ١٦٨ ، ٢١٠

الدولابى ٦٨

ديده زو ١٠٩

الديلى ١٤٠ ، ٢٨٠ ، ١٦٤ ، ١٢١

١٢٦ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ٢٠٦

٢١٣

ديك الجن الحصى ٢٢٦

ذو الاصبغ العدواني ١٦٩

(حرف الراء والزاء)

رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٠٢ ، ٤

١٠٠ ، ٩٠ ، ١١٠ ، ١٧ ، ١٩٠ ، ٢١٠

٣٧ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١

٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧

٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ١٠٣ ، ١٠٧

١١٠ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٢

١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩

١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥

١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١

١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٨٥

١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨

١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨

الامام الرافعى ٢٠٥

الشيخ رشيد رضا ٢٩ ، ١٠٩

زاغاره بيللا ٤٨

الزبير ١٢١ ، ١٩٩

زكريا عليه السلام ٤٤ ، ٤٧

الزحشرى ٤٣

عبد الرحيم كمال ٨٥

عبد الرزاق الصنعاني ٢٦، ١٥٠، ١٥٧

٢١٠

عبد الغنى النابلسي ٨٣، ٢٣٦

الحاج عبد القادر بن علي الأدهمي ٢٣٦

الشيخ عبد القادر الأدهمي ٢٣٧

الشيخ عبد القادر الاشبه ٢٣٧

الشيخ عبد القادر الرافي ٢٣٧

عبد الكريم كمال

الشيخ عبد الكريم عويضة ٢٣٧

الشيخ عبد اللطيف نشابه ٢٣٧

عبد المجيد أفندي المغربي ٢٣٧

عثمان بن عفان ١٠٠، ٢٠٨

العرباض بن سارية ٢٠١

عروة بن الزبير ١٦، ١٥٧

عطاء الخراساني ١٤١

عقبة بن عامر ٣٩، ٢١٨

عقيل بن أبي طالب ١٨٤، ١٨٥

العقيل ١١٧، ١٤٤

عكاف بن وداعة ١٥٧

علاء الدين البرهانقوري ٥

الحاج علي الأدهمي ٢٣٦

علي بن الجهم ١٨١

علي بن زيد بن جدعان ١٠٢

علي بن أبي طالب ١٩٧، ٢٨١، ٤٤٠، ٤٤٤

٧٥٦، ٧٣٧، ٧٢٦، ٧١٧، ٧٠٦، ٦٩٦، ٦٤٦، ٦٣٧

١٩٩، ١٨٩، ١٤٩، ١٣٢، ١٢٢، ٩٥

٢١٨، ٢٠١

العجم ٤٢

العرب ٤٢

عامر بن الظرب ٧٥

عمار بن ياسر ٤٧

عمران بن حصين ٣٩، ١٤٠

عمران بن حطان ١٢، ١٦٨

عمر بن الخطاب ٥٧، ١١٨، ١٢٣، ١٤١

١٤٧، ١٥٠، ١٦٤، ١٦٧، ١٧٨، ١٩٤

٢٠٢، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١٢

عمر بن عبد العزيز ٧٨، ١١٣

عمر بن أبي ربيعة ٢٦، ٢٠٦

عمر بن عبد الحلي الأدهمي ٢٢٦

عمرو بن حجر ١٨٣

عمرو بن الشريد ٧٤

عمرو بن العاص ١٢

عوف بن محلم ١٨٣

عون بن عبد الله بن جعفر ٧٠

عيسى عليه السلام ١٠، ٢٠، ٤٤، ٥٧

١٥٢، ٦٥

﴿حرف الغين﴾

الغرس بن عمير ١٦١

الغزالي ١٥٩

الغزي ٨٣

﴿حرف الفاء﴾

فرعون ٦٣، ٦٥

الفرنساويون ٤٩

فضالة بن عبيد ٤٩

فوزي الغزي ٣٦، ٧٧

الفيروز آبادي ١٤٧، ١٦٦

﴿حرف القاف﴾

قاييل وهايل ٥٤

القاسم (بن رسول الله) ٦٧

قتادة ٢٠٢

القسطا في ٨٣

القضاعي ١٩٤

قطقي ٣٧ ، ٣٩

القليوبي ١٨٧

قونفوشيوس ١٠

(حرف الكاف)

كسرى نوشيروان ٧٦

كعب بن زهير ١٠ ، ٢٥٦

كعب بن سوار ٢٠٢

الكمال ٩ ، ١٠٦ ، ١٣٦ ، ٣٠٦ ، ٣٩٦ ، ٤٥٦

١٢١ ، ١١٤ ، ١٠٤ ، ٦٨٦ ، ٦٠٠ ، ٥٩٠ ، ٥٢

١٦٠ ، ١٥٦ ، ١٥٤ ، ١٤٦ ، ١٤٤ ، ١٤٣

٢٠٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ١٩٥ ، ١٨٣ ، ١٧٣

٢٣٦ ، ٢٢٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦

الشيخ كمال القواقجي ٨٥

السيندي ١١٤

الكوأكي ٤٥

(حرف اللام)

لقمان الحكيم ٤٢ ، ١٩٤

لقيط بن صبره ٢١٠

لوط عليه السلام ٥٥

(حرف الميم)

الامام مالك ١٩ ، ١٨٥ ، ١٨٨

المأمون ٤٢ ، ٨٠ ، ٨١

المتنبى ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٥٦

المحيي ٢٣٦

مجاهد ١٤٤

الحاج محمد الادمي ١١٩ ، ٢٣٦

محمد الأمين ٧٩ ، ٨٠٦

محمد الازهرى ٢٢٩

محمد الباقر ٧٣ ، ٧٤

محمد أبو الفضل الادمي ٢٣٦

محمد بن حاطب ١٥٧

محمد بن عمر الادمي ٢٣٦

محمد بن عبد الله بن جحش ١٧ ، ٢٠٤

محمد المهدي ٧٨ ، ٧٩

محمد أبو الفضل الادمي ٢٣٦

الامام محمد ١٦٤

محمد بن عبد الملك الزيات ٢٢٧

الشيخ محمد عبده ١٠٩

الشيخ محمد عناره ١٢٦

الشيخ محمد القواقجي ٨٤

محمد القنطارجي ٨٤

الشيخ محمد مصطفى المراغي ٣١

محمود بدر الدين الادمي ٢٣٦

محمود علي صليح ١ و ٢٣٩ و ٢٤٠

محي الدين بن عربي ٤٣

الشيخ محي الدين الملاح ١٣٤

مروان بن الحكم ٢٠٨

المستكفي بالله ٨٢

مسروق ٩٦

المراذى ٢٣٦

المسعودي ٤٢

الامام مسلم ٨٠ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١٤٦ ، ٢٨٦

١٢٣ ، ١٠٣ ، ٦٤ ، ٥٥ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩

١٥٠ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤٠ ، ١٣٠ ، ١٢٦

٢١٠ ، ١٩٢ ، ١٩٠ ، ١٨٨ ، ١٥٩

مسلمة بن مخلد ١١٨

مسلمة بن عبد الملك ١٧

الشيخ مصطفى الحماني ١٩٤

مصعب بن الزبير ١٨

معاذ بن جبل ٤١ ١١٨٦ ١٥١٦ ١٧٩٠

١٩٨٠ ١٩٢

معاوية بن أبي سفيان ١٢ ٤٣٦ ٦٩

٢٠٨٦ ١١٣

معاوية بن حيدة ١٨ ١١٣٠ ٢٠٠٠

المعتضد بالله ٨١

معقل بن يسار ١٤٠

معلي الطائي ٢٢٩

معن بن أوس ١٢

المقتدر بالله ٨١

المقدام بن معديكرب ٢٠١

المقوقس ٦٧

جريدة المقطم ١٣٩

المنصور ٧٩

منصور بن محمد الأدهمي ٢٣٦

مهيار الديلمي ١٦٥

موسى عليه السلام ١٤ ٦٥ ٦٦

موسى شهوات ٢٠٧

موسى الكاظم ٧٤

موسى الهادي ٧٨

ميسرة بن علي ٢٠٥

(حرف النون)

نابليون ١٠٩ ١٤٨٦

نعم الدين أيوب ٨٢

النسائي ٨٦ ١٤ ١٩٠٦ ٢٨٠٣٦

٤٠ ٤١ ٤٥٥ ١٢٢ ١٣٠ ١٥٠٦

١٥٩ ١٨٨ ١٨٩٦ ١٩٠٦ ١٩٤٦ ٢٠٢٦

٢٢٢٠ ٢١٥٠ ٢١٠

النواس بن سمعان ٢٠٢

نوح عليه السلام ٣٣-٥٥

(حرف الهاء)

هاروت وماروت ٥٤

هارون عليه السلام ٦٦

هارون الرشيد ٧٨-٧٩-٨٠

هبار ١٨٥

هدبة بن الحشرم ٢٠٨

همام بن مرة ١٤٧

(حرف الواو)

واثلة بن الأسقع ١٨٨

الوليد بن عبد الملك ٤٢

وولته مكوت ٤٨

(حرف الياء)

يحيى بن زكريا ٤٤٦-٤٧-١٤٦-١٥٢-١٥٣

يزيد بن المهلب ٢٠٧-٢٠٨

يزيد بن الوليد ١١٣

يعقوب عليه السلام ١٤

يوسف عليه السلام ٣٢-٣٨-٣٩-٥٥

يوسف الخفاف ٤٠

اليهود ٢٣-١٣٩

(أعلام الاناث)

آسية امرأة فرعون ٤١-٦٣-٦٥-٦٦

٢١١ ٦٠

آمنة أم النبي ﷺ ٢-٦٦

امراة العزيز ٣٢-٣٨-١٨٧

امراة لوط ١٨٧

امراة نوح ١٨٧

زبيدة (زوجة هارون الرشيد) ٧٩
 زليخاء (امراة العزيز) ٣٨ - ٣٩ - ٥٥
 زينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم ٢١
 السيدة زينب بنت سيدنا علي ٧٠
 زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ٦٧
 مارة (زوجة ابراهيم عليه السلام) ٥٧
 السيدة مكيمة بنت الحسين ٧١ - ٧٢ - ٢٠٧
 سلامة (حاضنة ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم) ١٩
 شجرة الدر ٨٢
 شيرين ٧٦
 عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ٢ - ٨ - ١٢ - ٣٢
 ٤١ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٨٦ - ١١١ - ١٢١
 ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣٢
 ١٤٢ - ١٤٤ - ١٤٧ - ١٥٧ - ١٦١
 ١٧٩ - ١٩٠ - ١٩٤ - ١٩٧ - ١٩٨
 ٢١٠ - ٢١٣ - ٢٣١
 السيدة عائشة النبوية ٧٤
 عائشة بنت معاوية ١٢
 عائشة الباعونية ٨٣
 عائشة التيمورية ٨٤
 عاتكة بنت زيد ١٢١
 عبدة بنت أبي شوال ٧٦
 علية بنت المهدي ٨٠ - ٢٠٥
 فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ٢ - ٢١ - ٤١ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦
 ٦٧ - ٦٩ - ٧٠ - ١٣٠ - ١٩٩ - ٢٣٦
 فاطمة النبوية ٧٢
 فاطمة بنت عبد الملك ٧٨
 فضل المتوكلية ١٨٢
 قاته رين ١٣٩

أم إياس ١٨٣
 أم الدرداء ٣٥
 أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ٨ - ٢١٠ - ٦٣٠
 ١٢١ ، ١٨٩ ، ١٩٨
 أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم ٦٧
 أم كلثوم بنت أبي بكر ٢١٠
 أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ٧٠
 أمة الرحم كال ١٣ ، ٨٥
 بكارة الهلالية ٧٥
 بوران زوجة المأمون ٨٠
 تماضر (الخنساء) ٧٤ ، ٧٥ ، ١٦١ ، ١٦٧
 الثريا بنت علي بن عبد الله ٢٦
 الحرقة بنت النعمان ٧٥
 حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ٢١٢
 حميدة فهمى ٦٨ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٢٣٠
 حوريه جمال ٨٤
 حواء أم البشر ٧٥ ، ١٦٥
 خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ٢ - ١٦٥ ، ٦٤
 ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠
 الخنساء (تماضر) ٧٤ ، ٧٥ ، ١٦١ ، ١٦٧
 خولة بنت النعمان ١٠١
 الخيزران أم هارون الرشيد ٧٨ ، ٧٩
 درية كال ١٣
 رابعة العدوية ٣٥ ، ٧٦
 راحيل بنت خال يعقوب عليه السلام ١٤
 راعيل (امراة العزيز) ٣٨
 الرباب ١٦٦
 رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ٦٧
 زانبي (زوجة سقراط) ٥٧

مريم (أم عيسى عليه السلام) ٤١-٥١
 ٦٤-٦٥-٦٦، ٧٠
 معاذة القيسية ٣٥
 ميمونة زوج النبي ﷺ ١٢٩
 نائلة (زوجة عثمان بن عفان) ٢٠٨
 السيدة نفيسة ٧٣
 هند بنت الحنيس ١٤١
 ولادة بنت المستكفي بالله ٨٢

قدسية جمال الدين ٣٣-٦٨
 ٨٤-٢٢٩
 قسمونه الأندلسية ١٤٨
 قطر الندى ٨١
 لايتل ماتن ٩٢
 لبانة بنت ربيعة ٢٢٦
 لطيفة الياقني ٣٦-٧٧
 ماربة القبطية ٦٧

أغلاط مطبعية وصوابها

صواب	خطا	سطر	صفحة
وأربعة	أربعة	٥	١٠
العجبة	العجبة	٥	١٣
الحبية	الحبيبة	١٨	٢٥
فائرات	فاترات	١١	٦١
لابأس	لايأس	٢١	٨٨
يهمي ويسجهم	يهمي ويسجهم	٢٠	٢٢٨
سنة ١٢٢٦	سنة ١٤٢٦	١٣	٢٣٦

المطبعة والمكتبة المحمودية التجارية بميدان الجامع الأزهر الشريف بمصر
 على استعداد تام لطبع وإرسال كافة ما يطلب
 منهما من المطبوعات والكتب العربية

DATE DUE



396:A23mA:c.1

الادهمي، كمال الدين محمد بن محمد

مرآة النساء فيما حسن منهن وساء

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01023892

396:A23mA

الادهمي - محمد كمال الدين

مرآة النساء فيما حسن منهن وساء

OCT 31

3165

APR 2

5247

NOV 18

396
A 23mA

